الجزء الأول | المجلد الرابع والعشرون

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة كل جزء في ١٦٠ صفحة

١ كانون الثاني سنة ١٩٤٩ م

٢ ربيع الأول ١٣٦٨ هـ

دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي — في سورية ولبنان ٨٠٠ قرش سوري

الدفع مقدماً — وفي جميع الأقطار ١٠٠٠ « «

مطبعة الترقي بدمشق

الألفاظ السريانية في المعاجم العربية

- ٢ -

زَبُون : حريف وهو معامل الرجل في حرفته · وفي شرح المقامات لسلامة الانباري : الحريف كلمة مولدة ليست من كلام أهل البادية · وفي ذيل كتاب تجارب الأمم للوزير ظهير الدين الروذراوزي ص ٦١ « فان زبون الحلاوي سيعدل اليك » وفي الحوادث الجامعة لابن الفوطي البغدادي ص ٦٧ « فاذا عرف بقعوده على الدكة وصار له الزبون قام يدور ويدخل الدور » وفي ذيل أقرب الموارد ص ٢٨١ عن اللسان : زبون طيّب أي سهل في معاملته · وهي سريانية الاصل ܙܒܘܢܐ zobouno معناها المشتري ·

الزُّجاج : مثلثة ، جوهر صلب سهل الانكسار وشفاف يُصنع من الرمل والقِلي ، وفي القرآن (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة) سريانية ܙܓܘܓܝܬܐ zghoughitho زغو غيثو كذا القطعة والاناء منه · والزّجاج بائعه : ܙܓܘܓܝܐ zghoughoio ويقال له القواريري (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم لمحمد المقدمي البشاري ص ٣١) ·

زَجْر : سمك عظيم الجثة صغير الحرشف ، سريانية ܙܓܪ ، ܙܓܪܐ zghar zaghro [1] ·

الزَّرَجون : الخمرة معرب زركون اي لون الذهب ، كذا في شفاء الغليل ، وفيه : وقال النضر : هو شجر العنب بلغة أهل الطائف ص ٩٨ ـ وفي أدب الكاتب لابن قتيبة الدينوري ص ٢٦٢ « الزرجون الخمر وأصله بالفارسية زركون أي

---

(١) زرجه بالرمح : زجّه به ، قال ابن دريد وليس باللغة العالية . زرجه ، شجّه ، قال ابن دريد ، ليس بثبت ـ قلنا ورد في السريانية ܙܪܛ zrat بمعنى : شرط ، خدش ، شجّ ·

لون الذهب» قلنا الكلمة سريانية الأصل ومنها عربت لا من الفارسية كما ذهب ابن قتيبة والأصمعي : ففي السريانية القديمة ܙܪܓܘܢܐ zargono ، فرع ، اصل الكرمة المدفون ، وفي سفر العدد : ١٣ : ٢٣ «وقطفوا من هناك زرجونةً» وهي واحدة الزرجون . ولا تزال عامة بلاد الشام ولبنان تسمي قضبان الكرم التي تُكسح ، (جرزون) مقلوبةً ، بتقديم الجيم على الزاء . وفي القاموس : «الزرجون محركةً ، الخمر والكرم او قضبانه» والمزرّج : النشوان أخذاً من هذا الحرف قال الراجز :

هل تعرف الدار لامّ الخزرج — منها فظلْتَ اليومَ كالمزرّجِ

و ܙܘܪܓܘܬܐ zorgoutho : لون الخمر و ܙܘܪܓܐ zorgo خمريّ اللون [1]

وفي معجم الأدباء ١٠ : ١١٦ قال الحسين بن عبد الله بن أبي حصينة المعرّي في بعض قصائده :

وكأنما زَرَجونة جاءت بها — سُقيَت مُذابَ التِّبرِ عند غِراسِها

وفي كتاب المعرب للمطرّزي : إنامة الزراجين : دفنها وتغطيتها بالتراب ، مجاز .

زُرنوق : في القاموس : الزُرنوقان : بالضم ويفتح منارتان تبنيان على جانبي رأس البئر ، وزاد أقرب الموارد : فتوضع عليهما النعامة وهي الخشبة المعترضة عليهما ثم يُعلَّق بها البكرة ويُستقى بها . والزرنوق أيضاً النهر الصغير . والجمع زرانيق ، قال احمد بن واضح المعروف باليعقوبي في كتاب البلدان ص ٣١٣ «وبها آبار يسقى منها النخل والمزارع ، تجرها النواضح ، وهي الابل التي تعمل

---

(١) نستدرك على الأستاذ بطرس البستاني قوله : الزروار والزروزار : البطرك ، وهو غلط بيّن صوابه . الزُرزار : البطريق بمعنى قائد الجيش والجمع زرازرة . وفي التكملة الزراورة ، كذا في القاموس ٢ : ٣٩ والشرح على الهامش . وكثيراً ما يغلط طبقة من الكتاب المعاصرين لنا بخلطهم بين لفظة (البطرك والبطريك) الذي هو رئيس رؤساء أساقفة المسيحيين ، وهو حرف يوناني معناه اللفظي رئيس الآباء ، وبين البطريق ومعناه باللاتينية قائد الجيش ولعلها سرى اليهم من استعمال الترك لو من تقدمهم ، كأبي الفداء في قوله : «ومن كتاب ابن سعيد المغربي قال «البطارقة» للنصارى بمنزلة الأئمة ، (تاريخه ١ : ٩٠) .

في الزرانيق » ومن مرادفاتها : دولاب (وحذّانة) (أحسن التقاسيم للمقدسي البشاري ص ٣١) • وفي أقرب الموارد ١ : ٤٦٣ زرنق فلان : استقى على الزرنوق بالاجرة • وفي القاموس : ودير الزرنوق على جبل مطلّ على دجلة بالجزيرة • وفي السريانية : ܙܪܢܘܩܐ بالفتح : zarnouqo مدلوله: سطل ، دلو لاستقاء الماء •

زُعرور : جنس شجر من فصيلة الورديات ܙܥܪܘܪܐ ، ܙܥܪܘܪܐ zaarouro zaaroro •

زُغلول : معناه في العربية : الخفيف من الرجال السريع والطفل • وجاء في الدميري : الزغلول بضم الزاي فرخ الحمام ما دام يُزَقّ ، يقال أزغل الطائر فرخه اذا زقّه • وورد هذا الفعل في أقرب الموارد ١ : ٤٦٦ وأصل الكلمة سرياني ܙܘܓܠܐ ، ܙܘܓܠܐ zoughalo , zoughlo معناها: فرخ الحمام والحجل خاصة[1] •

زفت : جاء في شفاء الغليل ص ٩٩ الزفت هو القار ، قال الدريدي : معرّب تكلموا به قديماً ، وفي الحديث نهى عن المزفّت اهـ • هو سرياني : ܙܦܬܐ zefto : قير ، وفي نبوة اشعيا ٣٤ : ٩ « ان آدوم تتحول أوديتها لزفت ، وعُفرها لكبريت » والفعل ܙܦܬ zafète زفّت ، طلى بالزفت والمفعول ܙܦܝܬܐ zafito : مزفّت مقيّر •

زِق : جلد للشراب وغيره ، واسم عامّ للظرف جمعه زقاق : حرف سرياني ܙܩܐ ، ܙܩܘܬܐ : zéqo , zéqoutho • وفي سفر يشوع ٩ : ١٣ « زقاق الخمر التي ملأناها [2] » •

(١) فصيحه الجَوزَل وهو فرخ الحمام قبل أن ينبت ريشه وعليه المثل : هو اهزل من الجوزل . ويستعمل أيضاً لما ينبت ريشه . وقال الدميري « الجوزل بفتح الجيم فرخ الحمام والقطا وأنواعها والجمع جوازل ، قال الشاعر : يا ابنة عمي لا أحب الجوزلا » . كذا في الدليل لرشيد عطية ص ١٦٥ — ١٦٠ . قال ابن فارس في مقاييس اللغة ١ : ٥٠٤ « ومما شذّ عن الباب (باب جزل) الجوزل وهو فرخ الحمام قال :

قالت سليمى لا أحبّ الجوزلا ولا أحبّ السكات مأكلا »

(٢) زقاقاً : أوردها البشاري في أحسن التقاسيم ص ٣٢ من جملة الألفاظ التي يختلف فيها أهل الأقاليم ، قال : صاعداً زقاقاً ، منحدراً شبالا . وهي —

زَمَرتا : زمّارة ، القصبة التي يُزمّر بها ، والزامرة بها ، كلمة سريانية ܐܰܙܡܳܪܬܳܐ ، ܙܰܡܰܪܬܳܐ zamorto , zamarto · وردت في كتاب « افوريسما ابقراط » ص ٢٣ وفي ترجمة اثناسيوس الثاني البطريرك الانطاكي السرياني المعروف بالبلدي ، لكتاب « ابود يقطيقي » من اليونانية للسريانية وكانت تتداول في مدينة منبج ، فأوردها البحتري الشاعر المشهور في بيت من قصيدة له يهجا بها أهل بلده قال :

مُقوّسين على البوبندرِ يُطربهم سَجْعُ الزمرتا واصحابُ الطواحينِ

(ديوانه جزء : ٢ ص ٦٦٣ طبع بيروت) وقال الأب دورم ص ٢٩٨ zammeru في اللغة البابلية تعني : مرنّم ·

مَزمور : والجمع مزامير وهو سفر داود النبي · وفي الأساس : مزامير جمع مزمار ، كأنّ في حلقه مزامير لطيب صوته ، أو جمع مزمور من مزمورات داود عليه السلام · وفي سفر الأعمال ١ : ٢٠ « لأنه مكتوب في سفر المزامير ܡܰܙܡܽܘܪܳܐ mazmouro من فعل ܙܡܰܪ zmar ومعناه زمّر ، رنّم ، سبّح ، غنّى[1] ·

زُنّار : نطاق ، حزام ، سريانية ܙܢܳܪܳܐ ، ܙܘܢܳܪܳܐ zounoro , znoro والفعل زنّر ܙܰܢܰܪ zanar ، وفي سفر اللاويين ٨ : ٧ « ونطّقه بزنّار الرداء » · وفي الأساس ١ : ٤٩ « شدّ الزنار والزنارة على وسطه ، وتزنّر النصراني » وذلك ان بعض الخلفاء كانوا يتعسّفون المسيحيين بشدّ الزنارات في أوساطهم اذلالاً لهم وامتهاناً كما أثبت التاريخ ، وورد في كتاب الخراج للقاضي ابي يوسف ص ١٥٢ « ويؤخذوا بان يجعلوا في اوساطهم الزنارات مثل الخيط الغليظ يعقده في وسطه

— ܙܳܩܽܘܦܳܐ zoqoufo : رافع ، ناصب ، من فعل ܙܩܰܦ zqaf ، وشبالا من فعل ܫܦܰܠ shfale · بمعنى سفل ، انحط ·

(١) زمرّد ، حجر كريم شديد الخضرة شفاف ويقال له زبرجد ، او هو نوع منه ، معرب ، ومما يستدرك على المعاجم انه معرب من اليونانية وأخذته العربية بواسطة السريانية ܐܙܡܰܪܓܕܳܐ zmargdo وباليونانية smaragdos مقالة الأستاذ بنفلي جوزي : مجلة مجمع اللغة العربية ص ٣٤٢ ·

كل منهم» والكلمة ومشتقاتها سريانية[١] قال صاحب الجاسوس على القاموس ص ٢٤٨ «وفي الجمهرة تزنر الشيء . اذا دقّ ولا أحسبه عربياً صحيحاً» فان كان للزنار اشتقاق فمن هذا ان شاء الله .

زَنيم : لئيم معروف بلؤمه ، وفي القرآن «ولا تطع كل حلاّف مَهين ... بعد ذلك زنيم» ولا فعل له بالعربية فترجح انه حرف سرياني ܙܠܝܡܐ zlimo ومعناه الأعوج المنحرف ، وفعله ܙܠܰܡ zlam .

زَوْرَق : سفينة صغيرة ، معبَر ܙܘܪܩܐ zourqo[٢] .

زُوفى : نبت له ورق كورق الصعتر الدقيق طيّب الرائحة ܙܘܦܐ : zoufo وفي المزمور ٥١ : ٧ « اغسلني بالزوفى فاطهر» .

زِيّاح : طواف كنسي ، احتفال ، مصدر من فعل ܐܙܝܚ zaiah : حمل شيئاً وطاف به بابّهة ، بجّل ، عظّم ܙܘܝܚܐ zouioho كلمة يتداول المسيحيون استعمالها للتعبير عن حفلاتهم الدينية ، وفي المجدل لماري بن سليمان ص ١٤٣ «وزيّح العيد بحضور ابن الحداد الاسقف» .

* * *

حرف السين

سابا : الشيخ ، حرف سرياني ܣܒܐ sobo وتسمى به المسيحيون . أورد التاج ٣ : ص ٢٤ قال ابن العديم في تاريخ حلب «معنى دير سابان بالسريانية دير الجماعة بمعنى دير عمان دير الشيخ وكلا الديرين من اعمال حلب» وهو غلط صوابه ، ان دير سابان يعني دير الشيخ ودير عمان : معناه دير الجماعة .

(١) زنديق : ملحد ، دهري . قال ابو حاتم هو فارسي معرب ، وورد في الدليل ܙܕܘܩܐ zadouqo وفي معجم ابن بهلول ܙܕܘܩܝܐ zadouqoio بمعنى ، فلا نقطع بصحة أصله .

(٢) زفيزف : شجر وثمره وبالسريانية ܙܘܙܦܐ zouzfo أورده كنز اللسان السرياني ص ٢٦٢ وقال فيه الخوخ الشامي ؟ ولم ترد الكلمة في معجم الألفاظ الزراعية .

سابوع: اسبوع، لفظ سرياني ܫܒܘܥܐ، ܫܒܘܥܬܐ، ܫܒܘܥܐ shabouo shobouto , shobouo وفي نبوة دانيال ٩ : ٢٥ « يأتي عليه وعلى قومه سبعون سابوعاً » (الدين والدولة ص ١١٧) وقال البيروني ص ١٦ : والسابوع سبع سنين مجموعة [1] .

السامة : الذهب والفضة أو عروقها في الحجر، جمعه : سام (القاموس ٤ : ١٣٣ واقرب الموارد ١ : ٥٦٠) وذكر الزمخشري في كتابه الفائق في غريب الحديث ص ٥٥٩ — ٥٦٠ « ان ابن قتادة فسر قول رهط من اليهود في سلامهم على الرسول : السأم عليكم يا أبا القاسم، انه يعني تسأمون دينكم، ورواه غيره، السأم وهو الموت . قال الزمخشري فان كان عربياً فهو من سام يسوم اذا مضى لأن الموت مضيّ، ومنه قيل للذهب والفضة سام، لمضائهما وجولانهما في البلاد » اه .

قلنا نحسب اللفظة معربة من السريانية ܣܐܡܐ simo وتكتب بالألف (سامو) ومعناها : فضة، نقود . وقال ابن بهلول عمود ١٢٩٣ نقلاً عن ابن سروشويه، وأحياناً نطلق هذا الاسم على الذهب والفضة معاً، والفعل ܣܐܡ saème : فضّض، طلى بالفضة . فتأوّل الزمخشري لهذا الحرف معنى المضاء والجولان اجتهاد غير موفق .

سُبّار : بشارة السيدة مريم بحمل السيد المسيح . قال البيروني ص ٣٠٩ « وكالسُّبّار، وهو بشارة مريم بحمل المسيح » وابو نصر التكريتي السرياني في كتابه المرشد قال « وسُبّار التي لا يكون بالمعجز فقط » كلمة سريانية ܣܘܒܪܐ souboro مصدر فعل ܣܲܒܲܪ sabar بشّر .

السبت : بالسريانية والعبرية معناه الراحة والقطع، اسم اليوم السابع من الأسبوع، وفي سفر الخروج ٢ : ٨ اذكر يوم السبت لتقدسه ܫܲܒܬܐ shabtho .

(١) الساج : شجر يعظم جداً لا ينبت الا ببلاد الهند وخشبه اسود رزين لا تكاد الأرض تبليه . ذكر في التوراة . وهو بالسريانية ܫܓܐ chogho .

سبّح : سبح الله وسبح له : حمده وقدّسه وأثنى عليه ، وقال سبحانَ اللهِ ونزّهه عمّا يقول الجاحدون . وهذا أصحّ تعريف لمعنى الكلمة . وزاد صاحب المصباح ص ٤٠١ وغيره «ويكون اللفظ بمعنى الذِكر والصلاة» ولا وجهَ لقول الفيروزابادي (١ : ٢٢٦) ان معنى سبحانَ اللهِ السرعة اليه والخفة في طاعته . والمادة سريانية وعبرية فالفعل ܫܰܒܰܚ shabah ومعناه : سبّح ، رنّم ، مجّد ، عظّم ، حمد ، أثنى ، والمصدر ܫܽܘܒܳܚܳܐ shouboho ومدلوله : حمد ، تسبيح سبحان ومثله الاسم ܫܽܘܒܚܳܐ shoubho : حمد ، تسبيح ، تمجيد ، ومنه ܬܶܫܒܽܘܚܬܳܐ teshbouhto : تسبحة ، حمد . و ܫܒܺܝܚܳܐ و ܡܫܰܒܚܳܐ , shbiho mshabho سُبُّوح بضم السين وفتحها من صفاته تعالى لأنه يُسبَّح . وفي المزمور ٨٤ : ٤ «في بيتك أبداً يسبّحونك» وفي سفر الخروج ١٥ : ١ «حينئذ سبّح موسى وبنو اسرائيل بهذه التسبحة للرب وقالوا» «الترجمة الموصلية والشدياقية» وفي نبوة اشعيا ٥٤ : ١ «سبّحي أيتها النزور الرقوب واغتبطي بالحمد أيتها العاقر ، فقد زاد وُلد الفارغة المجفية على وُلد المشغولة الحظية» [الدين والدولة ص ٩١] وقال عدي بن زيد :

ليس شيءٌ على المَنونِ بباقِ   غيرُ وجهِ المسبَّحِ الخلّاقِ

وعمّ استعمال المادة المسيحيين في أثناء أدعيتهم من ذلك «التسبحة لله» في كتاب الناموس للروم والفاظ شتى في كتب صلواتهم . وأقر الزمخشري وابن الأنباري والسيوطي واحمد فارس أنها سريانية التجار ، وزاد الأخير في الجاسوس ص ١٥ «ان التقديس والتسبيح لفظتان سريانيتان واخذ التسبيح من هذا المعنى أولى من قول بعضهم انه من معنى السباحة لأن المسبّح يمد يديه كما يمد السابح يديه في السباحة» اهـ!

سِبْط : قبيلة ، وفي الاساس ١ : ٤١٨ هو سبط ، وهم اسباط ، ويقال قبائل العرب وأسباط اليهود ، قال الزجاج : القبيلة من ولد اسمعيل كالسبط من ولد

اسحق . وفي سفر التكوين (٤٩ : ١٦) اسباط اسرائيل : كلمة سريانية وعبرية ܫܒܛܐ shabto ومدلولها بالسريانية أيضاً ، سوط ، قضيب .

سجد : خضع وانحنى . كلمة سريانية ܣܓܶܕ sghède : سجد ، ركع ، عبد . وفي سفر التكوين ٢٤:٢٦ « فخرّ الرجل وسجد للرب . قال أمية بن أبي الصلت الثقفي :

ملائكة لا يفترون عبادة   كروبية منهم ركوع وسجّد

وقال المضرّس الأسدي : (معجم البلدان ٤ : ٣٧٥) :

وسخال ساجية العيون خوازل   بجماد لينة كالنصارى السجّد

ولينة ماء لبني غاضرة . ومنه :

المسجد : والجمع مساجد : ܡܣܓܕܐ masghdo قال الزجّاج ، كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد (اللسان ٤ : ١٨٨) وفي حديث البخاري ٢ : ٨٣ (اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وروى سيبويه عن بعض الشيوخ : (التاج ٥ : ٤١٩) :

فاختر لنفسك مسجداً   تخلو به أو صومعه

ويستدرك على السيوطي في قوله عن الواسطي « وادخلوا الباب سجّداً » أي مقنعي الرؤوس بالسريانية (الاتقان ص ١٠٥) لا صحة لهذا وصوابه راكعين ساجدين خافضي الرؤوس .

سحتوت : وسحتيت : سويق قليل الدسم ، سريانية ܫܚܛܝܛܐ ، ܫܘܚܛܘܬܐ shehtito , shohtouto وردت في سفر راعوث (النسخة السريانية البسيطة فصل ٢ : عد ١٤) وفي ترجمان ابن السني (١) .

(١) ذكر الشرتوني ١ : ٥٠٠ انسحق القلب انكسر وتذلل ، نصرانية . قلنا هي لفظة معربة من السريانية تداولها المولدون : ܐܫܬܚܩ eshthèqe مدلولها تندم على ما أسلف من خطايا . وصحيحها خشع ، ولا يقال في آية من المزمور ٥١ « القلب المنكسر » لكن القلب الخاشع » . من الألفاظ التي يتداولها عامة أهل حمص (سحل) بمعنى سيل ، مجرى ماء قليل ، وفي العربية عن الاصمعي : « باتت السماء تسحل ليلتها » أي تصبّ (أقرب الموارد ١ : ٥٠٠) والأساحل : مسايل الماء . وفي السريانية ܫܚܠܐ shehlo ܫܘܚܠܐ shohlo ساحل ، سيل مجرى الماء .

سَخْلَة : ولد الشاة ما كان : ܣܰܟܠܬܐ sakhlto .

سِربال : سراويل وفي الاسكافي ٤٢ السراويل مؤنثة وتجمع سراويلات .
ܫܰܪܒܠܐ ، sharbolo , serbolo ومنه فعل ܫܰܪܒܶܠ sharbel
سرول و ܐܶܫܬܰܪܒܰܠ eshtarbal سُرول .

سُرادِق : السرادق الفسطاط الذي يُمدّ فوق سطح البيت ج سرادقات ،
سريانية ܣܪܳܕܺܝܩܳܐ sarodhiqo : ستر حجاب وليس معرّباً من الفارسية .

سَرِيس : الذي لا يأتي النساء ، الذي لا يولد له ، عِنّين (ابو عبيد ٥ : ١٥)
خصيّ . وفي التاج ٤ : ١٦٧ السَّرِس والسَّرِيس ، وسَرِس الرجل اذا عنّ ،
وسَرِس كان سريساً والجمع سرساء ، المادة سريانية ܣܳܪܺܝܣܳܐ ، ܣܪܺܝܣܳܐ :
soriço , sriço باسكان السين وفتحها وضمها ، والفعل ܣܰܪܶܣ و ܣܪܶܣ
sarèce , srèce خصى .

سُرْم : طرف المعي المستقيم ، كلمة مولدة ، (قاله التاج عن الجوهري) هي
سريانية ܫܘܪܡܐ shourmo .

سَرْو : جنس شجر حَرَجي وللتزيين من فصيلة الصنوبريات (الشهابي ص ٢٠٧)
ܣܰܪܘ ، ܣܰܪܘܳܐ sarwo , sarou وفي نبوة اشعيا ٤٠ « ... واغرس في
القاع الصفصف السرو البهيّة » (الدين والدولة ص ٨٩) .

السِّطام والإِسطام : المسعار لحديدة مفطوحة تُحرَّكُ بها النار . قال الأزهري
لا أدري أعجمية أم عربية (التاج) ܐܶܣܛܳܡܳܐ stomo فولاذ ، حديد ، صلب ، سطام .

سَطر : خط ، كتابة ، كلمة سريانية الأصل ܣܘܪܛܳܐ ، ܣܶܪܛܳܐ serto ,
sourto والفعل ܣܪܰܛ srat سطر ، خطّ ، رسم . وفي التاج روى لبعضهم ٣ : ٦٧٢

اني وأسطار سُطرنَ سطراً لقائل يا نصرُ نصراً نصراً

سَعَرَ المرضى : عادهم وافتقدهم واعتنى بهم ، قال ابن ابي أصيبعة (١ : ٢٢٧)
وكانا جميعاً يسعران المرضى ، والكلمة سريانية ܣܥܰܪ saar (سعار) ومنه :

الساعور: قيّم المرضى، وقيم البيمارستان ܣܥܘܪܐ soouro . قال ابن أبي أصيبعة ١ : ٢٩٨ «وكان سعيد بن اثردي ساعور البيمارستان العضدي» وكذلك كان أمين الدولة ابن التلميذ (معجم الأدباء لياقوت ١٩ : ٢٧٦) وبسبب تقلد المسيحيين وظيفة الساعور عرّف الفيروزابادي وغيره الكلمة فقال ٢ : ٤٨ الساعور مقدّم النصارى في معرفة الطب . وكذا في التاج ٣ : ٣٦٨ ، والجمع سواعير ، وللكلمة معنى ثان وهو :

ساعور : الاسقف وهو خليفته الذي يتفقد القرى ويشرف على أحوالهم من قبله ويسمى باليونانية ܦܪܝܘܕܘܛܐ periodoto بريودوط ، وجاء في كتاب المجدل ص ١٠٥ « وجعله عبديشوع في تلك البلاد ساعوراً والمصدر الساعوروث ܣܥܘܪܘܬܐ sooroutho وفيه ص ١٢٥ «وأنفذ من بعده في الساعوروث الى جزائر البحر .

ومن المعنى الأول أو كليهما تطلق عامة نصارى ما بين النهرين لفظة الساعور على قيّم البيعة وهو السادن والواهف أو الوافه ، ويسميه أهل بلاد الشام قندلفت وهي لفظة يونانية تعني : خادم البيعة [1] .

سِفر : بكسر السين واسكان الفاء : كتاب و ج أسفار . قال يعقوب ابن الصليبي مطران آمد السرياني المتوفى سنة ١١٧١ م في تفسير سفر التكوين اللفظي

(١) السعانين والشعانين : عيد دخول السيد المسيح الى اورشليم قبل عيد الفصح بسبعة أيام لفظة عبرانية مدلولها التسابيح ومنها أخذ السريان فقالوا ܐܘܫܥܢܐ ouchaané ومن السريان اخذها العرب ، وجمعت جمع النون فقيل فيها ܐܘܫܥܢܝܢ ouchaanine وصاغوا منه فعل shaanène : عيّد عيد السعانين . وفي ابن أبي اصيبعة ١ : ١٦١ «خرج في يوم الشعانين» وفي تاريخ أبي الفداء ١ : ٩٦ «ومن أعيادهم الشعانين الكبير وتفسير التسبيح» . وأورد صاحب مسالك الأبصار ص ٣١٦ ان الثرواني أنشد في دير الخرق بالحيرة :

خرجنا في شعانين النصارى وشيّعنا صليب الجاثليق

و ܐܘܫܥܢܐ اوشعنا : كلمة عبرية معناها اللفظي ، ارجوك أن تغنني ، واستعملوها لهتاف التسبيح والابتهاج وينشدها المسيحيون في عيد الشعانين وفي أثناء القداس الالهي بمعنى التمجيد والتسبيح .

ص ١ «السفر لفظة عبرية معناها بالسريانية كتاب» ومثله قال يعقوب البرطلي مطران أذربيجان ودير مار متى المتوفى سنة ١٢٤١ م في المسئلة الثانية عشرة من المقالة الرابعة من كتابه الموسوم بالمسائل والأجوبة ، وكلا المصنفان المخطوطان مصونان في خزانتنا . ومن العبرية أخذتها السريانية ܣܦܪܐ sefro ومعناها : سِفر ، كتاب ، لغة ، كتابة ، قراءة . ومن السريانية اقتبسها العرب . واشتق منها السريان فعل ܣܦܰܪ sfar : درس ، كتب ، تفقه ، تعلّم . ويراد بالاسفار خصوصاً الكتب المقدسة أي اسفار العهدين العتيق والجديد . وورد في سفر التثنية ٢٩ : ٢٨ «المكتوبة في هذا السفر» وبالمعنى نفسه وردت في القرآن في سورة الجمعة ٥ «مثل الذين حمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً» وفي الحديث (وروى البكري في معجم ما استعجم ص ٣٦٩ دخول الحسين بن ضحاك الى أحد ديارات النصارى بينا كان الراهب يقرأ سفراً من أسفارهم) . وفي القاموس : السفر الكتاب الكبير أو جزء من أجزاء التوراة . ومثله في أقرب الموارد . وفي الأساس ١ : ٤٤٢ «وسَفَرَ الكتاب كتبه ، والكرام السَفَرة : الكتبة ، وحملوا أسفار التوراة ، وله سفر من الكتاب وأسفار منه ، وحطّمني طولُ ممارسة الأسفار ، وكثرة مدارسة الاسفار . وجاء في الاتقان ص ١٢٨ «قال الواسطي في الارشاد : الأسفار هي الكتب بالسريانية ، واخرج ابن ابي حاتم عن الضحاك قال هي الكتب بالنبطية» .

سَفَرَة : قال السيوطي في الاتقان ص ١٣٩ «اخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قول القرآن : بايدي سفَرَة ، قال بالنبطية القرّاء ، والسافر ج سفرة : الكاتب قال ابن سيدة ١٣ : ٥ عن العين : أصله بالنبطية سافرا (كذا) صوابه : السَفَرَة الكتّاب ج ܣܳܦܪܐ sofro ومعناه : كاتب مسجّل ، فقيه ، استاذ ، رئيس جمعه ܣܳܦܪ̈ܐ sofré وقال ابن بهلول ٢ : ١٣٧٦ «السفرة هم الذين يعلمون أسفار التوراة ويكتبون» ومنه ܣܳܦܪܘܬܐ sofroutho معناها : حرفة الكاتب ، فقه ، علم ، حذاقة .

سِفسير: سمسار : ܣܦܣܝܪܐ قاله مار افرام المتوفى عام ٣٧٣م (اللباب للقرداحي) safsiro : والفعل ܣܦܣܪ safsar : ماكس، ساوم - وفي شفاء الغليل ص ١٠٤ سفسر بمعنى سمسار معربة .

سَفَط : وعاء كالجوالق أو كالقفة ، وفي (اللسان) السفط الذي يعبّى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء ܣܦܛܐ sfoto .

السَّفوف : كل دواء يؤخذ غير ملتوت ، غير معجون ܣܘܦܘܦ soufouf ورد في الكتب الطبية .

السُّكّان : ذنب السفينة لأن به تقوّم وتُسكّن ويعرف عند المولدين بالدفّة : ܣܘܟܢܐ saucono .

سَفِلة : في أقرب الموارد : سِفلة الناس وَسَفِلتهم ، أسافلهم وغوغاؤهم وسُقّاطهم ، قيل استعيرت من سفلة البعير ، يقال هو من السَّفِلة ولا يقال هو سَفِلة لأنها جمع ، وقيل يجوز . وسَفَلة البعير قوامه ، وفي الكليات : السفلة الكافر أو الذي لا يبالي بما قال وبما قيل له - وفي اللسان نقلاً عن الجوهري يقال هو من السَّفِلة ولا يقال هو سَفَلة لأنه جمع . قال ابن الأثير وليس بعربي . هو سرياني : ܫܦܠܐ ، ܫܦܠ ، ܫܦܝܠ shaflo , shfèl , shfal ومعناه سافل ، دنيّ ، حقير . والفعل ܫܦܠ ، ܫܦܠ shfale , shfel : سفل ، ذلّ ، خسّ .

مَسْكَبة : وجاء في المخصّص ، سَكَبة ، وفي معجم الألفاظ الزراعية ٥٠٢ و ٣٠٨ (مشارة) وتستعمل : مسكبة في دمشق والغوطة ، قال رشيد عطية في دليله ص ١٧٥ «وفي لبنان المسكبة وهي عندهم قطعة أرض صغيرة أمام البيت تزرع فيها البقول ، وفصيحها : الوديقة ، والوديقة أرض فيها بقل أو عشب ويرادفها الضفينة والضيمة ، قال أبو ساعد الكلابي : يقال ضفينة من بقل وعشب اذا كانت الروضة ناضرة متخيلة» والمسكبة كلمة سريانية ܡܫܟܒܬܐ mashcabthro .

سَكَرَ الباب وسكّره : سدّه وأوصده . وفي القرآن : انما سُكِّرت أبصارنا ، قال ابن سيدة ٩ : ١٥٣ : سكرتُ النهر سددته ، قال ابن دريد أصله من سَكَرَت الريح : سكن هبوبها ! وفي فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٠١ فجهد ابرويز ان يسكّرها فغلبه الماء ، فليس الحرف من سكرت الريح ولكنه سرياني النجار ܣܟܰܪ ، ܣܟܰܪ sacar , scar ومدلوله أغلق ، سدّ ، أطبق ، ومنه: السِّكْر : وهو السدّة والحاجز ، ما سُدّ به النهر والجمع سكور ، وفي كتاب تجارب الأمم لابن مسكويه ، الجزء السادس ص ٢٦٩ : لحقت المدود وغلب الماء والسيل علاجَ السكور .. فاذا أحسّ بالمدّ ومجيء السيول ، احتال في تخريب ما بنى له من السكور ، وفي الحوادث الجامعة لابن الفوطي ص ١٨٦ : او انتقل أهلها الى وراء السكر ، وكذا ص ٣١٨ و ٣١٩ ܣܟܳܪܳܐ ܣܟܪܳܐ scoro , secro ويقال أيضاً ܡܰܣܟܳܪܳܐ و ܡܰܣܟܽܘܪܳܐ mascouro , mascoro .

سِكّي : مسمار ، أورده ابن سيده ١٢ : ٢٦١ وجاء فيه (١ : ٤٣١) درع مشدودة السَّكّ وهو مسمارها ، الحرف سرياني ܣܶܟܬܳܐ ج ܣܶܟܶܐ : sékthoo , seké الوتد والرزّة ، والفعل ܣܰܟܶܩ saqèqe ومدلوله : سمّر .

سَكِينة : بمعنى تابوت ، وعرش ، ومنبرالله ، سريانية ܫܟܺܝܢܬܳܐ shkintho! خلت منها المعاجم العربية[1] وأوردها المبرّد في الكامل ص ٥٩٩ من طبع اوربة قال : وقد كان عند المختار كرمي قديم العهد فغشاه بالديباج وقال : هذا الكرمي من ذخائر أمير المؤمنين علي بن ابي طالب فضعوه في (براكاء) الحرب وقاتلوا عليه ، فان محله فيكم محلّ (السكينة) في بني اسرائيل » اه يريد محل تابوت العهد . والبراكاء هو موضع اصطدام القوم . نقله الدكتور مصطفى جواد في

(١) جاء في المصباح ص ٤٣٢ « السكينة بالتخفيف : المهابة والرزانة والوقار ، وحكى في النوادر تشديد الكاف قال ولا يعرف في كلام العرب فعّيلة مثقل العين الا هذا الحرف شاذاً » وفي القاموس ٤ : ٢٣٥ « والسَّكينة والسِّكّينة بالكسر مشددة الطمأنينة » وقال الراغب في مفرداته « السكينة والسكن واحد وهو زوال الرعب » .

مجلة المجمع ١٩ ص ١٥٦[1] . ووردت في خطبة ليشوعياب بن ملكون النفيسري مطران نصيبين الكلداني قال « وفقكم لفعل المآثر ورفع المعاثر بحَيْل سكينته » يريد بقوة ضريحه أي ضريح القديس أوجين الناسك (التراجم السنيّة طبعة الموصل ص ١٦٨) .

سَلَّة : معروفة ، قال السيوطي لا أحسبها عربية : قلنا هي سريانية ܣܠܛܐ salto والذي نقله السيوطي هو عن ابن دريد (تكملة ذيل أقرب الموارد ص٣٢)

تَسَلَّق : قال البيروني : ٣٠٨ تسلّق المسيح مصعداً للسماء ، ومنه تسلق الجدار تسوّره : سرياني ܐܣܬܠܩ estalaq ومنه كلمة :

السُلاّق : قال البيروني « وبعد الفطر (أي الفِصح) باربعين يوماً عيد السُلاّقا ويتفق أبداً يوم الخميس وفيه تسلّق المسيح مصعداً الى السماء من طور زيتا »[2] . وفي كتاب البكري ص ٣٧٠ قال بعضهم :

بحرمة الفصح وسُلاّقكم يا عاقد الزنّار في الخصْرِ

وكان استعمال هذه الكلمة السريانية ܣܘܠܩܐ souloqo ومدلولها : صعود عاما عند نصارى المشرق ومنهم الروم الملكيون فقد ورد بلفظه مقروناً مع اللفظ اليوناني وهو : (الاناليبس) في كتاب الناموس وهو مجموعة قوانينهم في نسخة عتيقة جداً ترقى الى القرن التاسع او العاشر للميلاد وهي مصونة في خزانتنا .

السَلوقيّة : مقعد الاشنيام مثل المتلمظة - قال ابن عباد في كتابه المحيط ونقل نصّه الصاغاني في العُباب وأورده الفيروزابادي في قاموسه والشرتوني : « السلوقية مقعد الرُبان من السفينة » ، ذكر هذا الأب الكرملي وقال انها عندي من الارامية من فعل ܣܠܩ sléq لأن الرُبان يكون في أعلى موضع من سفينته ليرقب ما حواليه من متسع البحر . (المجلة ٢٧ : ٤٢٤) فهي ܣܘܠܩܘܩܐ

(١) اوردها ايضاً ابن قتيبة في عيون الأخبار ٢ : ٢٧٤ قال « أو ما رأيت تابوت السكينة » .

(٢) وهكذا أبو الفداء في تاريخه .

solouqoutho : تسلّق ، ارتفاع أو ܣܘܠܩܬܐ souloqtho ارتقاء ، عروج ، وليست ܣܘܠܩܐ souloqo .

السَّلْوى : جاء في القاموس وفي أقرب الموارد ١ : ٥٣٧ « طائر ابيض مثل السُّماني واحدته سَلْواة ، وقال الراغب الاصفهاني في مفرداته ص ٢٤١ وقيل السلوى طائر كالسُّماني وقال ابن عباس السلوى طائر » وهذا التعريف صواب ومثله أورد الحسن ابن بهلول في معجمه السرياني مج ٢ عمود ١٣٥٢ و ١٣٥٣ قال السلوى طائر يشبه القطا وزاد المروزي السماني وقال ابن سروشويه هو نوع من الطير يكون فوق بحر الحبش ويسمى أيضاً المُرج . ولكن مازعمه أيضاً الراغب الاصفهاني وهو « وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى أصلها ما يسلّي الانسان ومنه السلوان والتسلّي ، وقول الفيروزابادي والشرتوني « وقيل السلوى العسل ويسمى السلوى لأنه يسلي الانسان عن سائر الآدام » فهو تمحك باطل فان اللفظة ܣܠܘܝ salway عبرية ومن العبرية أخذتها السريانية ثم العربية وفي سفر الخروج ١٦ : ١٣ « ولما كان العشاء ارتفعت السلوى وغطت المحلة »

سَلِيح : رسول السيد المسيح : لفظة سريانية ܫܠܝܚܐ shliho من فعل ܫܠܚ shlah أرسل ، بعث ، وجمعها سَلِيحون وهي كلمة مسيحية ، وفي مقالة ليحيى بن عدي « وكتاب السَّليح بولس » [١] ، وفي العنوان المنبجي ص ٢٤١ « أرسل توما ، ادّى السَّليح احد السبعين » وص ٢٤٢ « فلما توفي توما السليح » وعمّ استعمالها فِرقَ النصارى فوردت في كتاب الناموس للروم وفي كتاب « مصباح الظلمة » للقس ابي البركات ابن كبر القبطي الذي كان موجوداً سنة ١٣٥٣ م ص ١٠٩ و ١١٠ « سمعان السليح ورسائل السليح بولس » وص ١٢١ « بطرس السليح » . وتجاوز بها الى معنى رسائل القديس بولس الرسول ، من ذلك ما ورد في كتاب المرشد لأبي نصر التكريتي في الباب الحادي والثلاثين

(١) مقالات ليحيى ابن عدي نشرها ونقلها الى الفرنسية أوغسطين بيريه سنة ١٩٢٠ ص ٥٣ .

« ويقرأ السليح والفراكسيس » يريد الرسائل المذكورة وكتاب اعمال الرسل ، المجدل ص ١٣٦ « وقرأ السليحَ اسقف النعانية » واكثر البيروني من استعمالها في ص ٢٩٩ الى ٣١٢ ومنها « وهو شمعون الصفا رئيس السليحين وهم الحواريّون » وفي الثالث من (تموز) « ذكران توما السليح » ص ٢٩٩ وقال أبو الفداء ١ : ٩٢ « ولهم صوم السليحين » .

سمخان : مجالس ، صوامع ، ورد في تاريخ الطبري ٢ : ٤٢ في خبر اصحاب الكهف « حتى انتهوا الى الكهف فضرب الله على سمخانهم فلبثوا دهراً طويلاً » . وسمخان التي خلا منها القاموس سريانية ܣܘܡܟܐ somkho ومدلولها : عماد ، مجلس ، و ܣܘܡܟܐ و ܣܘܡܟܐ somkho , soumokho تعني : سماك ، سند ، عمود ، صومعة الراهب وكوخه ، وفي رسالة الكرم للأستاذ سليم الجندي « السماك ما سُمك به الشيء اي رفع ، حائطاً كان او سقفاً ، وفي المخصّص عن ابي حنيفة : وكل ما رفع به الكرم فهو مسماك وسماك : (مجلة المجمع ١١ : ٣٧٠) وفي عامية اهل الشام : سومك السقف أي سنده بساموك (عمود) .

سامور : قال الفيروزابادي السامور الماس ، وقال مؤلف الجاسوس ص ٢٢٥ « لم أجد السامور في التهذيب ولا في الصحاح ولا في المحكم ولا في العباب ولا في اللسان ، وانما وجدت الشمّور كتنّور في الكتابين الاخيرين » وقال أيضاً ص ٢٢٤ « قال الفيروزابادي : الشمّور كتنّور الماس ، قال الخفاجي في شفاء الغليل ص ١٣ : الماس بتمامه كلمة غير عربية ولم يرد في كلام العرب القديم وعربيته سامور . قال في السامي (يريد السامي في الاسامي لأبي الفضل احمد الميداني النيسابوري) السامور سنك الماس ، أي حجر الماس » وأردف قوله ص ٢٢٦ « والعجب من مؤلف طراز اللغة [1] لقوله واسمه بالعربية : شامور وشمّور » اه .

قلنا الراجح عندنا ان سامور او شمّور معرب من السريانية ܫܡܝܪܐ و ܫܡܘܪܐ

(١) هو السيد علي خان

shomouro , shomiro : سامور ، حجر الماس . وليس هو من الانشبار ، وهو المضيّ والنفوذ كما زعم الزمخشري في كتابه « الفائق ١ : ص ٦٧٦ » .

سَندان : سندان القَين : ما يطرق عليه الحديد . سريانية ܣܕܢܐ sadono ، أما الشرتوني ورشيد عطية فقالا انها معربة من الفارسية وزاد الأخير : ويراد فيها في العربية القلاة .

سَنوط : خفيف العارض ، كوسج : سريانية ܣܢܘܛܐ sanouto وفيها لغات : ܣܢܛܐ ، ܣܘܢܘܛܐ ، ܣܢܘܛܐ santo , sonouto , sounoto والفعل ܣܢܛ snat سنط .

سَنَوَّر : بيضة ، خوذة (سلاح حديد) وفي نبوّة اشعيا ٥٩ : ١٤ : ووضع على رأسه سَنوَّر الاعانة ، (الدين والدولة ص ٩٤) سريانية ܣܢܘܪܐ sanouro و ܣܢܘܪܬܐ sanourto و ܣܢܘܪܬܐ sanwarto وفي الجواليقي ص ٢٠٠ السَّنَوَّر : معرّب وهو الدرع وقيل كل سلاح يتقى به فهو سَنَوَّر .

سِنَّور : قِطّ ، هِرّ ، سريانية : ܣܢܘܪܐ ، ܣܢܘܪܬܐ ، ܫܢܘܪܐ shanouro , sanourto , sanouro وفي المصباح ١ : ٤٤٤ : السِنَّور الهرّ والانثى سِنَّورة . قال الأنباري وهما قليل في كلام العرب ، والأكثر أن يقال هِرّ ، ضَيوَن والجمع سنانير .

سَهَر : جاء في الجمهرة ٢ : ٢٣٩ « السَّهَر : القمر بالسريانية ، فأما الساهور فقد ذكره أمية بن ابي الصلت ، وزعموا انه القمر ، وقال قوم دارة القمر ، وكان أمية يستعمل السريانية في شعره كثيراً لأنه قرأ الكتب . وقال أيضاً ٣ : ٣٩٠ « والساهور القمر ، وقالوا الموضع الذي يغيب فيه القمر » وفي كتاب الاشتقاق ص ٤١ « والسهر والساهور زعموا القمر ، لغة سريانية ، وقد جاءت في الشعر الفصيح » وقال ابن قتيبة في طبقات الشعراء ص ٢٧٩ — ٢٨٠ في ترجمة أمية « وكان يحكي في شعره قصص الأنبياء ويأتي بالفاظ كثيرة لا تعرفها

العرب بأخذها من الكتب المتقدمة ، وبأحاديث من أحاديث اهل الكتاب ، ثم قال : والساهور في ما يذكر أهل الكتاب : غلاف القمر يدخل فيه اذا كُسف » وقال الاسكافي في مبادي اللغة ص ٦ « ويقال للقمر السهر والساهور ، وقيل غلافه الذي يستتر فيه اذا خُسف ، قال أمية بن أبي الصلت : قمر وساهور يُسلُّ ويغمدُ - وقيل انه بالنبطية شهورا ، وشاهور نبطية منه وقيل سريانية ، والسين غير معجمة أفصح فيه من الشين . وقال الجواليقي قال ابن دريد : السهر القمر بالسريانية وهو الساهور ، وقال قوم بل دارة القمر ولم يسمع الا في شعر امية ، وذكره عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ص ١٩٢ وفي الأساس ١ : ٤٧٠ دخل القمر في الساهور اذا كُسف ، وخرج من الساهور اذا انجلى . قلنا في السريانية ܣܗܪܐ sahro شهر أي قمر ، و ܣܗܪܘܢܝܐ و ܫܗܪܘܝܐ : شهري أي قمري sahronoio , shahroio ، وارتأى الأب الكرملي (لغة العرب ٣ : ٨ ص ١٨٩) ان الساهور آشورية الأصل من (سار) بمعنى حلقة ودائرة والمدة المحدودة . ولكن الأب دورم ذكر في كتابه المذكور آنفاً ص ٨١ ان سهر هو اسم القمر بالآرامية اهـ .

سِوار : دملج ، حلية كالطوق تلبسه المرأة في زندها ، سريانية ܫܝܪܐ ، ܫܝܪܐ chioro , chiro (اللباب للقرداحي) وفي سفر التكوين ٢٤ : ٢٢ « وسوارين على يديها » .

سُوس : نبات عشبي خشوشب معمَّر بري طويل الجذور عميقها ومن نقيعه يصنع رُبّ السوس ، ܫܘܫܐ shousho ، ܥܩܪ ܫܘܫܐ eqar shousho : عِرْق السوس .

سَوط : قضيب : سريانية : ܫܒܛܐ shabto ܫܘܛܐ shawto وفي سفر يشوع ٢٣ : ١٣ « لكن يكونون لكم حفرة وفخاً وسوطاً على جوانبكم » الترجمة الموصلية .

سيامة : تقليد اهل الدرجات الكهنوتية والاسقفية ، حقّ القيام بخدَمها ، أخذاً من فعل ܣܡ السرياني الذي يضاف اليه ܐܝܕܐ some idho ومعناه وضع اليد ، لأنّ السيامة تقوم بوضع يد الاسقف الراسم على رأس المرسوم وتلاوة الصلوات المفروضة عليه ، ومثلها الرسامة وقد مرّت بك ، وهما أصح لفظاً ومعنى من غيرهما من الألفاظ لتأدية المعنى المقصود بالعربية ، وعم استعمالها النحل المسيحية قاطبةً ، ويقال أيضاً سياميذ ، معرّب ܣܝܡ ܐܝܕܐ siomidho .

جبل سيناء : ويقال أيضاً طُور سين وطُور سينين (سفر التثنية ٣٣ : ٢ كتاب الدين والدولة ص ٧٤) مستخرج من اسم ܣܝܢܝ sanio ومعناه العلّيق أو العوسج بالسريانية والعربية . وليس معناه حسن أو مبارك مثلما نقل الجواليقي ص ١٩٨ وورد في القرآن « طور سينين » سورة التين ٢ و« شجرة تخرج من طور سيناء » سورة المؤمنون ٢٠ ، وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى النبي ونودي فيه (سفر الخروج ١٩ : ٣) .

(يتبع) مار اغناطيوس افرام الاول برصوم

بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس

كنوز الأجداد

- ١٠ -

ابن تيمية

تقي الدين احمد بن عبد الحليم الحراني

(٧٢٨)

ولد بحران يوم الاثنين سنة احدى وستين وستمائة وقدم مع والده وأهله الى دمشق وكانوا قد خرجوا من بلاد حران مهاجرين بسبب جور التتار وقدموا دمشق سنة سبع وستين فسمع الحديث من أئمته في دمشق وقيل ان شيوخه الذين سمع منهم أزيد من مائتي شيخ وسمع مسند احمد مرات ومعجم الطبراني الكبير والكتب الكبار والأجزاء وعني بالحديث وقرأ بنفسه الكثير ولازم السماع مدة سنين ونسخ وانتقى وكتب الطباق والاثبات وتعلم الخط والحساب في الكتب واشتغل بالعلوم وحفظ القرآن وأقبل على الفقه وقرأ أياماً في العربية على ابن عبد القوي ثم فهمها وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهمه وبرع في النحو وأقبل على التفسير اقبالاً كلياً حتى حاز فيه قصب السبق وأحكم أصول الفقه كل هذا وهو ابن بضع عشرة سنة فعجب الفضلاء من فرط ذكائه وسيلان ذهنه وقوة حافظته وسرعة ادراكه .

ذاك ما قاله من ترجموا له في نشأته أما أخلاقه فقالوا انه نشأ في تصوف تام، وعفاف وتأله ، واقتصاد في الملبس والمأكل ولم يزل على ذلك خلقاً صالحاً براً بوالديه تقياً ورعاً عابداً ناسكاً صواماً قواماً ذاكراً الله تعالى في كل أمر رجاعاً الى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا وقافاً عند حدود الله تعالى

وأوامره ونواهيه آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر «فارغاً من شهوات المأكل والملبس والجماع لا لذة له في غير نشر العلم وتدريسه ، عرض عليه منصب قضاء القضاة ومشيختي الشيوخ فلم يقبل» وقبل وظائف والده في التدريس وله احدى وعشرون سنة . وكان والده من كبار الحنابلة وأئمتهم ودرس هو بعده فاشتهر أمره وبعد صيته في العالم وما أتى له ثلاثون سنة حتى كان من أعظم علماء عصره بل أعظم عالم في عصره ، لا تكاد نفسه تشبع من العلم ولا تروى من المطالعة ولا تمل من الاشتغال ولا تكل من البحث ، وقل ان يدخل في باب من أبواب العلوم الا وفتح له من ذلك الباب أبواب واستدرك أشياء في ذلك العلم على حذاق أهله .

وكان يحضر المجالس والمحافل في صغره فيتكلم ويناظر ويفحم الكبار ويأتي بما يحار منه أعيان البلد . وشرع في الجمع والتأليف وله نحو سبع عشرة سنة . قال الحافظ الزملكاني : كان اذا سئل عن فن من الفنون ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن ، وحكم ان احداً لا يعرف مثله ، كان الفقهاء من سائر الطوائف اذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك ، ولا يعرف أنه ناظر أحداً فانقطع معه ، ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع أو غيرها إلا فاق فيه اهله والمنسوب اليه .

وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين .

وقالوا فيه : وأخذ في تفسير الكتاب العزيز أيام الجمع على كرمي من حفظه فكان يورد ما يقوله من غير توقف ولا تلعثم ، وكذا كان يورد الدروس بتؤدة وصوت جهوري فصيح . وانتهت اليه الامامة في العلم والعمل والزهد والورع والشجاعة والكرم والتواضع والحلم والأناة والجلالة والمهابة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الصدق والأمانة والعفة والصيانة وحسن القصد والاخلاص والابتهال الى الله تعالى وشدة الخوف منه ودوام المراقبة له ، والتمسك

بالأمر والدعاء الى الله تعالى وحسن الأخلاق ونفع الخلق والاحسان اليهم ٠ وكان رحمه الله سيفاً مسلولاً على المخالفين ، وشجاً في حلوق أهل الأهواء والمبتدعين ، واماماً قائماً ببيان الحق ونصرة الدين ، طنت بذكره الأمصار ، وضنت بمثله الأعصار» ٠

وقال الذهبي انه صار من أكابر العلماء في حياة شيوخه ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون اربعة آلاف كراس وأكثر وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين من صدره أيام الجمع ، وكان يتوقد ذكاء ، وسماعاته من الحديث كثيرة ، وشيوخه اكثر من مائتي شيخ ومعرفته بالتفسير اليها المنتهى وحفظه للحديث ورجاله وصحته وسقمه مما لا يلحق فيه ، وأما نقله للفقه ولمذاهب الصحابة والتابعين فضلاً عن مذاهب الأربعة فليس له فيه نظير ، وأما معرفته بالملل والنحل والأصول والكلام فلا اعلم له فيه مثيلاً ، ويدري جملة صالحة من اللغة وعربيته قوية جداً وأما معرفته بالتاريخ والسير فعجب عجيب ٠

قال فان ذكر التفسير فهو حامل لوائه ، وان عد الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق ، وان حضر الحفاظ نطق وخرسوا ، واستزيد وأبلسوا واستغنى وأفلسوا ، وان سمي المتكلمون فهو فردهم واليه مرجعهم ، وان لاح ابن سينا يقدم الفلاسفة فلسفهم وبخسهم وهتك أستارهم ، وكشف عوارهم ، وله يد طولى في معرفة العربية والصرف واللغة ، وهو اعظم من أن تصفه كلي أو تبينه اشارة قلمي ٠

وقال في مكان آخر : وله خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم ومعرفة بفنون الحديث ، وبالعالي والنازل ، وبالصحيح وبالسقيم ، مع حفظه لمتونه الذي انفرد به ، فلا يبلغ احد في العصر رتبته ولا يقاربه ، وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه ، واليه المنتهى في عزوه الى الكتب الستة والمسند بحيث يصدق عليه ان يقال كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ، ولكن الاحاطة لله ، غير انه يغترف فيه من بحر وغيره يغترف من السواقي ٠

وقال أيضاً : كان يقضي منه العجب اذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف واستدل ورجح وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه . قال : وما رأيت أسرع انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه ولا أشد استحضاراً لمتون وعزوها منه كأن السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه، بعبارة رشيقة وعين مفتوحة ... ومن خالطه وعرفه قد ينسبني الى التقصير فيه ومن نابذه وخالفه قد ينسبني الى التغالي فيه . وقد أوذيت من الفريقين من أصحابه واضداده . وكان ابيض اسود الرأس واللحية قليل الشيب شعره الى شحمة أذنيه كأن عينيه لسانان ناطقان، ربعة من الرجال بعيد ما بين المنكبين جهوري الصوت فصيحاً سريع القراءة تعتريه حدة لكن يقهرها بالحلم .. وقال تعتريه حدة في البحث وغضب تزرع له عداوة في النفوس .

كتب الذهبي الى السبكي يعاتبه بسبب كلام وقع منه في حق ابن تيمية فأجابه ومن جملة الجواب : واما قول سيدي في الشيخ تقي الدين فالمملوك يتحقق كبير قدره وزخارة بحره وتوسعه في العلوم النقلية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف والمملوك يقول ذلك دائماً، وقدره في نفسي اكبر من ذلك وأجل مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض سواه وجريه على سنن السلف واخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى وغرابة مثله في هذا الزمان بل من ازمان .

وقال ابن سيد الناس انه برز في كل فن على ابناء جنسه، ولم ترعين من رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه .

وبدأت محنة شيخ الاسلام لما تمت ادواته وشاعت فتاويه في مسائل وجد منها حساده مدخلاً لهم فناقشوه وكفروه وبدعوه واعتقله الولاة وغربوه وكان منذ سنة تسع وتسعين ظهرت شخصيته السياسية في البلاد وبدا تعويل الأمة عليه في دفع اعدائها عنها في نوبة غازان فقام باعباء الأمر بنفسه واجتمع بنائبه وجرأ

على المغول وتوجه بعد ذلك بعام الى الديار المصرية لما اشتد الأمر بالديار الشامية من المغول واستصرخ باركان الدولة وحضهم على الجهاد ثم عاد بعد ايام الى دمشق وظهر اهتمامه بجهاد التتار وتحريضه الأمراء على ذلك الى ورود الخبر بانصرافهم وقيامه القيام المحمود في وقعة شقحب سنة اثنتين وسبعمائة ، واجتماعه بالخليفة والسلطان وارباب الحل والعقد وتحريضهم على الجهاد ثم توجهه في آخر سنة اربع وسبعمائة لقتال الكسروانيين واستئصال شأفتهم ثم مناظراته للمخالفين في سنة خمس في المجالس التي عقدت له بحضرة نائب السلطنة الأفرم وظهوره عليهم بالحجة والبيان ورجوعهم الى قوله طائعين مكرهين . ثم توجهه بعد ذلك في السنة المذكورة الى الديار المصرية في صحبة قاضي القضاة الشافعية وعقدهم له مجلس حين وصوله بحضور القضاة واكابر الدولة ثم حبسه في الجب بقلعة الجبل ومعه اخواه سنة ونصفاً ثم اخراجه بعد ذلك وعقدهم له مجلساً ظهر فيه على خصومه ثم عقدهم له مجلساً سنة سبع لكلامه في طريقة الاتحادية ثم الأمر بتسفيره الى الشام على البريد ثم الأمر برده من مرحلة وسجنه بحبس القضاة سنة ونصفاً ثم اخراجه منه وتوجهه الى الاسكندرية وجعله في برج حبس فيه ثمانية أشهر ثم توجهه الى مصر واجتماعه بالسلطان في مجلس ضم القضاة واعيان الامراء واكرامه له اكراماً عظيماً ومشاورته له في قتل بعض اعدائه وامتناع الشيخ عن ذلك ثم سكناه القاهرة ثم توجهه الى الشام ثم ملازمته بدمشق لنشر العلوم وتصنيف الكتب وافتاء الخلق الى ان تكلم بمسألة الحلف بالطلاق فأشار عليه بعض القضاة بترك الافتاء بها في سنة ثماني عشرة فقبل اشارته دفعاً للفتنة ثم ورد كتاب السلطان بعد ايام بالمنع من الفتوى بها ثم عاد الشيخ الى الافتاء بها وقال لا يسعني كتمان العلم وبقي كذلك مدة الى ان حبسوه بالقلعة خمسة اشهر وثمانية عشر يوماً ولم يزل على عادته من الاشتغال والتعليم الى ان ظفروا له بجواب يتعلق بمسألة شد الرحال الى قبور الأنبياء والصالحين كان أجاب به من نحو

عشرين سنة فشنعوا عليه بسبب ذلك وورد مرسوم السلطان في شعبان من سنة ست وعشرين بجعله في القلعة فأخليت له قاعة حسنة واقام فيها ومعه أخوه يخدمه فكتب في المسألة التي حبس بسببها مجلدات عديدة وظهر بعض ما كتبه واشتهر وآل الأمر الى ان منع من الكتابة والمطالعة واخرجوا ما عنده من الكتب ولم يتركوا دواة ولا قلماً ولا ورقة ، وكتب عقيب ذلك بفحم وكان اخراج الكتب من عنده من أعظم النقم وبقي اشهراً على ذلك وأقبل على التلاوة والعبادة والتهجد حتى أتاه اليقين .

هذا مجمل ما قيل في حالة شيخ الاسلام ومع ما حاول اعداؤه ان ينغصوا عيشه دأب في كل زمن على التأليف فألف ثلثمائة مجلد وكلها في الشرع وفي حل مسائل عويصة من الدين تقرأ فيها وصلنا منها مثالاً من علمه النفيس وعمله الذي عقمت القرون ان يأتي رجل بما يماثله . كثرت تآليفه لأنه كان يؤلف من صدره ما حفظ الكتاب والسنة وما دون في شروحها وما قاله العلماء في تفسيرهما وقد ساعدته كثرة محفوظه وفيض خاطره وسعة بيانه على تدوين حقائق لم يكتب لعالم مثله في موضوعه ولو لم يكن له الا منهاج السنة لكفاه على الأيام فخراً لا يبلى ففيه قليل من علمه وقوة حجته ومعرفته بالملل والنحل واذا قلنا انه لم يؤلف نظيره في الرد على المخالفين لأهل السنة لصدقنا كل منصف من اهل القبلة .

وكتاب منهاج السنة من أصح الشهادات على علو كعبه في معرفة الشرع وما تقلب عليه وما حاول بعض اهل الأهواء من العبث به وفيما أورده الموافقون والمخالفون من صحيح الآراء وبهرجها وكان عنوان مداركه الواسعة بتاريخ الاسلام وتاريخ الملل والنحل ولو ادعينا انه لم يأت عالم يعرف ما طرأ على الدين ومذاهب أهله فيه ساعة ساعة ويوماً يوماً ما قدر احد على رد دعوانا .

رد على المعتزلة وعلى الجهمية وعلى الشيعة وعلى الفلاسفة وعلى غيرهم فجاء بالعجيب من الآراء التي استخرجها من روح الشريعة واستنبطها ببعد نظره وشدة بحثه

فما كتب لامام من الأئمة في عصره وبعد عصره ان يناقضه ويرد اقواله ·

وعلى كثرة ما حرص الشافعية للتفوق على هذا الحنبلي واقناع العلماء بفتاويهم وتزييف فتاويه ما كانوا معه الا كالأطفال امام الرجال ، وفي مقدمتهم المشايخ بنو السبكي ، وما كان لهم في دولة مصر والشام من السلطان · اعتقلوه في القاهرة والاسكندرية اشهراً لم تمنعه عن التأليف والتدريس والوعظ وما حالوا دون اعجاب المنصفين من العلماء به وقول الحق فيه ولا دون تقديس الأمة له يوم موته وهي التي عرفته سباقاً الى كل خير يقصد منه صلاح دنياها ودينها وكان له في انتصار دولة المماليك على التتار اليد الطولى التي لا تنكر ودل انه في السياسة كما هو في الدين امام عظيم وان الدين لا ينفصل عن السياسة في نظره · وما سمع لأحد علماء الدين في عصره صوت مثل صوته في احقاق الحق ونصرة سلطان الاسلام · ونسبه قوم الى انه يسعى في الامامة الكبرى فانه كان يلهج بذكر ابن تومرت ويطريه فكان ذلك مؤكداً لطول سجنه · ولم يرض يوم عقد الصلح مع التتار ان يتخلى عن الأسرى من النصارى واليهود فقال انهم ذمتنا ولا بد من ارجاعهم الى ديارهم · وكم له من مثل هذه الحسنات التي اصبحت كأنها قواعد من قواعد الشرع والسياسة لا يستغني عنها خليفة ولا سلطان ·

ان استعانة خصوم ابن تيمية بقوة رجال الدولة في مسألة شد الرحال الى قبور الأنبياء والأولياء والصالحين وفي غير ذلك من البدع التي أقروها والشريعة تنكرها انكاراً ظاهراً كما يفهم من آي الكتاب العزيز وهدي الصحابة والتابعين والعلماء العاملين واغتباطهم بما ظنوه ظفراً لهم في تلك المعركة الشديدة قد كان من نتائجه مسخ الشريعة عند المتأخرين وبقيت الامة على اقرار الخرافات والبدع الى يوم الناس هذا في بلاد المسلمين كافة وكأنهم اخترعوا شريعة أخرى استحالوا بها العوالم ومزجوها بالشريعة الأصلية رغم أنوف الخواص فركبوا عار

الأبد ولعنوا بما بدلوا وحرفوا - هو لم يأت يبدع وهم سلموا بكل البدع . فكان العالم العامل حقاً ، وكانوا عبدة أوهام وضلالات . أراد شرعاً نقياً من الأدران وهم تساوت عندهم النقاوة والنفاية لأنهم يقصدون بمناقشاتهم الظهور وكسب قلوب الغوغاء على أي حال .

لو عمت دعوة ابن تيمية ، ولدعوته ما يماثلها في المذاهب الاسلامية ، ولكنها عنده كانت حارة وعند غيره فاترة ، لسلم هذا الدين من تخريف المخرفين على الدهر ، ولما سمعنا أحداً في الديار الاسلامية يدعو لغير الله ، ولا ضريحاً تشد اليه الرحال بما يخالف الشرع ولا يعتقد بالكرامات على ما ينكره دين أتى للتوحيد لا للشرك ولسلامة العقول لا للخبال والخيال .

كان ابن تيمية في النصف الثاني من عمره سراجاً وهاجاً أطفأ بعلمه وعمله شهرة أرباب المظاهر من القضاة والعلماء وكان الصدر المقدم كلما دخل في موضوع ديني أو سياسي ، وعبثاً حاول بعض الشافعية والمالكية ان يسلموه للعامة علهم يقتلونه فما استطاعوا اكثر من حجر حريته أشهراً في سجن ، وكان الملوك يحمونه من تعصت خصومه ويعرفون قدره . وكان الملك الناصر صاحب مصر يرفع من مقام ابن تيمية كثيراً وأراد أن يقتل من أفتوا بخلعه من العلماء ، وحثه على ان يفتيه في قتل بعضهم فأنكر ان ينال أحداً منهم بسوء وقال له : اذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم فقال له : انهم آذوك وأرادوا قتلك مراراً . فقال الشيخ من آذاني فهو في حل ، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه ، أنا لا أنتصر لنفسي ، وما زال به حتى حلم عنهم السلطان وصفح . وكان قاضي المالكية ابن مخلوف يقول : ما رأينا مثل ابن تيمية حرضنا عليه فلم نقدر عليه وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا . فعل هذا ابن تيمية وخصومه يقولون : يجب التضييق عليه ان لم يقتل والا فقد ثبت كفره . ونحن نقول ان هذا هو الفرق العظيم بين اخلاقه واخلاق مشاكسيه هم كانوا ممن يهتمون لدنياهم ومظاهرهم وهو كان

يهتم للأخرى فقط وشتان بين المطلبين . فكان يهتم لنشر الدين والقضاء على البدع بقلبه ولسانه وقلمه وهمهم ان يرضى عنهم السلطان فيبقيهم في مناصبهم ويستميلوا العامة فيقبلوا أيديهم .

هو يقول لنائب قلعة دمشق في فتنة غازان : لو لم يبق فيها الا حجر واحد فلا تسلمهم ذلك ان استطعت فسلمت القلعة من أذى التتار وكان يدور كل ليلة على الأسوار يحرض الناس على الصبر والقتال ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط وكذلك كان شأنه في وقعة شقحب وكان يعد المسلمين بالنصر هذه المرة ويؤكد كلامه في ذلك حتى نصروا على عدوهم . وفي قتال الجرديين والكسروانيين ابان أيضاً عن سياسة رشيدة وأرجع بعض الناشزين من أهلها الى الاسلام .

من أهم المسائل التي حاول حساد ابن تيمية ان ينالوا بها منه مسألة شد الرحال الى قبور الصالحين وغيرهم قال ابن كثير ، إن جواب ابن تيمية في هذه المسألة ليس فيه منع زيارة قبور الأنبياء الصالحين وانما فيه ذكر قولين في شد الرحل والسفر الى مجرد زيارة القبور . وزيارة القبور من غير شد رحل اليها مسألة وشد الرحل لمجرد الزيارة مسألة أخرى ، والشيخ لم يمنع الزيارة الخالية عن شد رحل بل يستحبها ويندب اليها وكتبه ومناسكه تشهد بذلك ولم يتعرض الى هذه الزيارة في هذا الوجه في الفتيا ولا قال انها معصية ولا حكى الاجماع على المنع منها ولا هو جاهل قول الرسول : « زوروا القبور فانها تذكركم الآخرة » .

ثار عليه مرة جماعة من الحسدة وشكوا منه انه يقيم الحدود ويعزر ويحلق الرؤوس أيضاً وتكلم هو فيمن يشكو منه ذلك وبين خطأهم . وراح مرة في ثلة من اصحابه ومعهم حجارون وأمرهم بقطع صخرة كانت بنهر قلوط تزار وينذر لها فقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها فأزاح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيماً . قال ابن كثير وبهذا وأمثاله حسدوه وأبرزوا له العداوة وكذلك بكلامه بابن عربي وأتباعه فحسد على ذلك وعودي ولم يصلوا اليه بمكروه

وانما أخذوه وحبسوه بالجاه • قال ولم يزل الشيخ ملازماً لاشتغال الناس في العلوم ونشر العلم وتصنيف الكتب وافتاء الناس بالكلام والكتابة المطولة والاجتهاد في الأحكام الشرعية • ففي بعض الأحكام يفتي بما أدى اليه اجتهاده من موافقة أئمة المذاهب الأربعة وفي بعضها يفتي بخلافهم وبخلاف المشهور في مذاهبهم • وله اختيارات كثيرة في مجلدات عديدة افتى فيها بما أدى اليه اجتهاده واستدل على ذلك من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والسلف •

رجل هذا شأنه يكفره القاضي المالكي ويحاول قتله والتعزير عند المالكية القتل ولا تشتفي نفوس بعض العلماء والسياسيين حتى ينادى بدمشق : من اعتقد عقيدة ابن تيمية حل دمه وماله خصوصاً الحنابلة • وجمعوا الحنابلة من صالحية دمشق وغيرها وأشهدوا على أنفسهم أنهم على معتقد الامام الشافعي •

قال الصلاح الصفدي كان كثيراً ما ينشدني :

تموت النفوس بأوصابها ولم يدر عوّادها مابها
وما أنصفت مهجة تشتكي أذاها الى غير أحبابها

وأنشد على لسان الفقراء (جماعة الطرق) :

والله مافقرنا اختيار وانما فقرنا اضطرار
جماعة كلنا كسالى وأكلنا ماله عيار
تسمع منا اذا اجتمعنا حقيقة كلها فشار

أبو الريحان البيروني

(٤٤٠)

معنى بيرون بالفارسية خارج والبيروني (بكسر الباء الموحدة وسكون الياء آخر الحروف وضم الراء وبعدها الواو في آخرها النون) نسبة الى خارج خوارزم فان بها من يكون خارج البلد ولا يكون من البلد نفسه

- بيرون منشأ ابي الريحان ومولده بلدة طيبة فيها غرائب وعجائب ولا غرو فان الدر ساكن الصدف . قال السمعاني وما علمنا هذه الغرائب ولم نعرف عن منشاه وأساتيذه شيئاً وغاية ما انتهى الينا من بعض المظان انه تلميذ ابي نصر منصور بن علي بن عراق (؟) الرياضي المشهور ولعلّ هذا ممن أدرك الاربعمائة من الهجرة .

سافر البيروني في بلاد الهند أربعين سنة وزادت تصانيفه على حمل بعير رأى ياقوت فهرستها في وقف الجامع بمرو في نحو الستين ورقة بخط مكتنز وهي في النجوم والرياضيات والمنطق والحكمة والتاريخ طبع منها بعض علماء الألمان ثلاثة كتب فقط قرأنا فيها كل مفيد . قال ياقوت انه لما صنف القانون المسعودي أجازه السلطان محمود بن سبكتكين بحمل فيل من نقده الفضي فرده الى الخزانة بعذر الاستغناء عنه ورفض العادة في الاستغناء به وكان رحمه الله مكباً على تحصيل العلوم منصباً الى تصنيف الكتب ، لا يكاد يفارق يده القلم ، وعينه النظر ، وقلبه الفكر ، الا في يومي النيروز والمهرجان من السنة لاعداد ما تمس اليه الحاجة في المعاش . وهو أعظم رياضي قام في هذه الملة « لم يشق المحضرون غباره ولم يلحق المضمّرون المجيدون مضماره » .

دخل عليه أحد اصدقائه وهو يجود بنفسه فقال له : كيف قلت لي يوماً حساب الجدات الفاسدة ؟ فقلت له اشفاقاً عليه : أفي هذه الحالة ؟ قال لي : يا هذا أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة ألا يكون خيراً من ان أخليها وأنا جاهل بها . فأعدت ذلك عليه وحفظه ، وعلمني ما وعد ، وخرجت من عنده وأنا في الطريق فسمعت الصراخ .

دخل البيروني بلاد الهند مع ابن سبكتكين لما فتحها وأقام بينهم وتعلم لغتهم واقتبس علومهم وفيها الف كتابه الذي لا نظير له في حرية الفكر وانصاف المخالف في الدين والمذهب المعنون بتحقيق ما للهند من مقالة مقبولة في العقل أو مرذولة . وهو من أجل الأسفار التي وضعها علماء الاسلام في الملل والنحل

لم يكد علماء هذا العصر يكتبون مثلها مجردة عن الغرض عند الكلام على المخالف ومن كتبه المطبوعة «الآثار الباقية عن القرون الخالية» وهو في النجوم والتاريخ ألفه للأمير شمس المعالي وبين فيه التواريخ التي تستعملها الامم والاختلاف في الأصول التي هي مباديها وفيه فوائد تاريخية عن ملوك اشور وبابل وكلدة والقبط واليونان والروم · قالوا وكان طيب العشرة خليعاً في الفاظه عفيفاً في أفعاله لم يأت الزمان بمثله علماً وفهماً - وله شعر منحط عن نثره كان يقوله في المناسبات وفيه بذاءة أحياناً وكان على عجمته معجباً باللغة العربية ولم يؤلف في غيرها ويقول ان الهجو بالعربية أحب اليه من المدح بالفارسية ·

غاية ما عرف عن البيروني انه فارسي شغف بحب العرب وكان يعد من أئمة اللغة العربية وأدبائها يضاف ذلك الى علومه الكثيرة في الرياضيات والنجوم والتاريخ والملل والنحل - صحب الملوك فأفادهم أكثر مما استفاده منهم وكان على عزوف وزهد لا هم له الا تحصيل العلم وبثه في الناس واعتياده في ذلك على التأليف · ويقول العلامة بروكلمان انه كانت بينه وبين الحكيم ابن سينا مكاتبات كان من مجموعها كتابه الآثار الباقية · ولما فتحت الهند على يد محمود بن سبكتكين درس فيها العلوم اليونانية وأخذ من كنوز العلوم الهنديه -

ولم نعرف جميع أساتذة البيروني، وخوارزم كانت في عصره دار علم كسائر العواصم الاسلامية الكبرى · والبيروني مثل للأنظار وهو كبير وسكتوا عن نشأته وأساتيذه ، وكان قبل أن بلغ الكهولة رجلاً مذكوراً بدليل انه كان من جملة رجال صاحب غزنة ·

ومن تصفح كتاب الهند والآثار الباقية يدرك مكانة هذا العالم الذي لم يترجم له المترجمون بما يستحقه من التوسيع ولعلهم كانوا يفضلون عليه بعض أرباب الحديث والفقه ، وهو الذي أتى أمته بجديد وخدمها فأفاد ولم يستخدمها في مظهر له ولا في طلب دنيا ، هو أحد أفراد نوابغ يعدون على الأصابع

ومن أولئك تعد مئات ولم يبدعوا جديداً ومعظم ما دونوه وتناقشوا فيه لو حذف من الخزائن تعد كأنها لم تفقد شيئاً . اخلص للعلم وما شغف بغيره ؛ وما طلب عن غيره بديلا .

قال البيروني : جل خطر الملوك عن المجازاة بالانتقام

ليس للملك ان يحسد الا على حسن التدبير والسياسة

الملك أقل الناس خوفاً من الفقر وأكثر الناس خطراً وقرباً الى الهلاك ، فليس له ان يبخل ويجبن فان ما قل عنده لا يكثر وما كثر لا يعدم

المنّ يبطل احسان المحسن

العاقل من استغنى بتدبير اليوم عن تدبير الغد

لا تحقر الأمر الصغير فللأمر الصغير موضع ينتفع به وللأمر الكبير موقع لا يستغنى عنه

ما اجتمعت عليه الألفة والعادة واصطلحت عليه العامة فلا تخالفه

من كفاه التأديب بالكلام لا يؤدب بالسوط والسيف

مدارسة أخلاق الحكماء والعلماء تحيي السنة الحسنة وتميت البدعة السيئة

السنن الصالحة علامات الخير والحق

ابن هندو

ابو الفرج علي بن الحسين

هو من أهل الري لا نعرف ان كان من العرب النازلين فيها أو انه من أصل فارسي وهو من رجال البلاغة كاتب شاعر قالوا كان صاحب ابوة في بلده ولسلفه نباهة بالنيابة وخدمة السلطان هناك وكان متفلسفاً قرأ كتب الأوائل على أبي الحسن الوائلي بنيسابور ثم على الحكيم أبي الخير بن الخمار . وكان احد كتاب الانشاء في ديوان عضد الدولة وقال البندنيجي الشاعر هو

من أهل الري شاهدته بجرجان في سني بضع عشرة وأربعمائة كاتباً بها وانه مشهور في تلك البلاد بجودة الشعر وكثرة الأدب والفضل وقال فيه صاحب يتيمة الدهر : هو مع ضربه في الآداب والعلوم بالسهام الفائزة ، وملكه رق البلاغة والبراعة ، فرد الدهر في الشعر ، وأحد أهل الفضل في صيد المعاني الشوارد ، ونظم القرائد في القلائد ، مع تهذيب الألفاظ البليغة وتقريب الأغراض البعيدة .

ومن تآليفه « انموذج الحكمة » و « المفتاح » في فوائد علم الطب و « الرسالة المشرقية » و « كتاب النفس » ورسائل وديوان وكتب أخر . وفي كتاب المفتاح ان متكلماً كان في جواره وصنف كتاباً في ابطال علم الطب وحث تلامذته على درسه فعرض له صداع فبعث تفسرته الى الحكيم ابي الخير فقال الحكيم ابو الخير لرسوله : قل له ضع تصنيفك في ابطال علم الطب تحت وسادتك وضع عليها رأسك فانه لا حاجة لك الى الطبيب والطب . فما عالجه واحد من الأطباء حتى اعترف ببطلان كلامه ومزق تصنيفه وتاب . ثم عالجناه وشفاه الله تبارك وتعالى .

وقال ان أحد المتكلمين في جواره عرض له خناق فعاده فقال له : ما ينفعني من طريق الطب ؟ فقلت له : ينفعك ماء الشعير الفاتر مع ماء الرمانين ورُبّ التوت وخل الجوز وماء الهندباء مع فلوس الخيارشنبر وفصد القيفال (عرق في اليد) وغير ذلك . فقال : وما يضرني فقلت ما فيه حرارة . فقال : كيف يكون العسل المصفى والعصيدة التمرية ؟ فقلت ، نعوذ بالله ففيها هلاكك . فقال لتلامذته : أنا اخالف رأي الأطباء عقيدة ومذهباً ، ولا غفر الله لي ان خالفت عقيدتي وأطعت طبيباً . فقمت من عنده فتناول العسل والعصيدة ومات قبل غروب الشمس .

وابن هندو كان على ما ظهر مما قاله المؤرخون فيه عالماً ممتازاً فيما غلب عليه من صنوف الآداب وقعد به الحظ فلم يظهر بالمظهر الذي كان جديراً به من الرياسات والمقامات فكان في الديوان كاتباً دون الدرجات العالية فأثر ذلك في

نفسه وحنق على الدهر والأيام . من ذلك ما حدث به البندنيجي قال كان الناس يظنون بمنوجهر بن قابوس ما كان في أبيه من الأدب والفضل ولم يكن كذلك فلما انتقل الأمر اليه قصد بما يقصد به مثله وكان لا يوصل اليه الا القليل ولا يتقبل ما يمدح به ولا يهش لشيء من هذا الجنس لتباعده عنه وكان مع هذه الحالة فروقة قليل البطش فمدحه ابن هندو بقصيدة وتأنق فيها وأنشده اياها فلم يفهمها ولم يتنبه عليها فقال :

يا ويح فضلي أما في الناس من رجل ... يحنو عليّ أما في الأرض من ملك
لأكرمنك يا فضلي بتركهم ... واستهينن بالأيام والفلك

فقيل لمنوجهر انه قد هجاك لأن لقبه كان « فلك المعالي » فطلبه ليقتله فهرب الى نيسابور وانفلت منه .

وتحدث أبو الفضل البندنيجي الشاعر قال كان بابن هندو ضرب من السوداء كان قليل القدرة على شرب النبيذ لأجل ذلك واتفق انه كان يوماً عند ابى الفتح ابن ابي علي كاتب قابوس بن وشمكير وأنا معه على عادة لنا في الاجتماع فدخل ابو علي الى الموضع ونظر الى ما كان بأيدينا من الكتب وتناشد هو وابن هندو الشعر وحضر الطعام فأكلنا وانتقلنا الى مجلس الشراب ولم يطق ابن هندو المساعدة على ذلك فكتب في رقعة كتبها اليه :

قد كفاني من المدام شميم ... صالحتني النهى وثاب الغريم
هي جهد العقول سمي راحاً ... مثل ما قيل للديغ سليم
ان تكن جنة النعيم ففيها ... من أذى السكر والخمار جحيم

فلما قرأها ضحك وأعفاه عن الشرب . وأنشد أبو الفضل له :

قالوا اشتغل عنهم يوماً بغيرهم ... وخادع النفس ان النفس تنخدع
قد صيغ قلبي على مقدار حبهم ... فما لحب سواهم فيه متسع

وحدث ابو الفضل هذا قال: كان ابن هندو يشرب يوماً عند ابي غانم القصري ، واقتصر على أقداح يسيرة ثم أمسك فسأله الزيادة فلم يفعل وقال:

أرى الخمر ناراً والنفوس جواهراً ... فان شربت ابدت طباع الجواهر
فلا تفضحن النفس يوماً بشربها ... اذا لم تثق منها بحسن السرائر

وله أيضاً: تعرضت للدنيا بلذة مطعم ... وزخرف موشي من اللبس رائق
أراد سفاهاً ان يموه قبحها ... على فكر خاضت بحار الدقائق
فلا تخدعنا بالشراب فاننا ... قتلنا نهانا في طلاب الحقائق

وله: ضمت بأهل الري في أهلها ... ضياع حرف الراء في اللثغة
صرت بها بعد بلوغ المنى ... احمد أن تبلغ بي البلغة

وله: اذا ماعقدنا نعمة عند جاحد ... ولم نره الا جموحاً عن الشكر
رجعنا فعفينا الجميل بضده ... كذاك يجازى صاحب الشر بالشر

وله أيضاً: وكافر بالمعاد أمسي ... يخلبني قوله الخلوب
قال اغتنم لذة الليالي ... وعدّ عن آجل يريب
طال هواه وجاء يهذي ... طبت لعينيك يا طبيب
أأخطأ العالمون طراً ... وأنت من بينهم مصيب

وله: حلت وقاري في شادن ... عيون الأنام به تعقد
غدا وجهه كعبة للجمال ... ولي قلبه الحجر الاسود

وله: الا رب مولى غرني من عهوده ... يمين عليها صافحتني يمينه
أكابد منه ضد ما أستحقه ... فأصدق في ودي له ويمين هو
عجيب لأخلاق اللئام كأنهم ... عن الكرم المعجون في شيمتي نهوا

وله: يقولون لي ما بال عينك مذ رأت ... محاسن هذا الظبي أدمعها هطل
فقلت زنت عيني بطلعة وجهه ... فكان لها من صوب أدمعها غسل

وقال: قوض خيامك من أرض تضام بها ... وجانب الذل ان الذل يجتنب
وارحل اذا كانت الأوطان منقصة ... فمندل الهند في أوطانه حطب

هذه أمثلة جميلة من شعره الذي حوى النكات مع السلاسة والابداع بقي ان ننقل ما أثر له من النثر فمنه : انما المرء حيث يجعل نفسه . عظّم العلم في ذاتك ، وصغر الدنيا في عينك . واخرج من سلطان شهواتك ، وكن ضعيفاً عند الهزل ، قوياً عند الجد ، ولا تلم أحداً على فعل يمكن ان يعتذر منه ، ولا ترفع شكايتك الا الى من يرى نفعه عندك حتى تكون حكيماً كاملاً . ومن كلماته : العاقل لا يكلف نفسه ما لا يطيق ، ولا يسعى فيما لا يدرك ، ولا ينظر فيما لا يعنيه ، ولا ينفق الا بقدر ما يستفيد ، ولا يلتمس الجزاء الا بقدر ما عند صاحبه من الاستطاعة .

وكانت الحكمة تظهر في شعره يشبه في ذلك المتنبي كثيراً وقد التقط حكم اليونان وجمعها في مصنف سماه « الكلم الروحانية من الحكم اليونانية » اثبت من كلمات الفلاسفة اليونانيين ما يجري مع الأمثال السوائر ، ويدخل في حاذ النوادر ، دون ما بعد من غامض الفلسفة ، ويحصل معناه بعد الكلفة ، فجمع من شواردها ما ساعد عليه الوقت واستحضره الحفظ ، ناسباً أكثره الى قائليه ، وشافياً خفيه بما يجليه .

بدأ بحكم لأفلاطون وقد استغرقت نحو نصف المجموعة ثم ثناها بارسطاطاليس ثم سقراط ثم بمحاورات جرت بين اريجانس وسقراط ثم كلمات لاميروس فالاسكندر فباسيليوس ففيثاغورس فبقراط فجالينوس فديستانس فزينون فديقوميس ففيلمون فتوموس فاكسانوقراطس فتورس فديمطس فديوجانس الى غيرهم من الفلاسفة غير المشهورين في أدبنا المتعارف .

فما نقله من حكم أفلاطون : لا تصحبوا الأشرار فانهم يمنون عليكم بالسلامة منهم . وقال لا تقسروا أولادكم على آدابكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم . وقال : لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده ، فان الناس لا يسألون عن مدة العمل ، وانما يسألون عن جودته . وقال : اذا اقبلت الدولة خدمت الشهوات العقول ، واذا أدبرت خدمت العقول الشهوات .

قال افلاطن : (لغة في افلاطون) لا تكمل خيرية الرجل حتى يكون صديقاً لمتعاديين وقال : اتقوا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع ٠ وقال : موت الرؤساء أسهل من رئاسة السفلة ٠ موقع الصواب من الجهال مثل موقع الجهل من العقلاء ٠ اذا بلغ المرء من الدنيا فوق مقداره تنكرت اخلاقه للناس ٠ لا تصحب الشرير فان طبعك يسرق منه وأنت لا تدري ٠ وقال : لا تفارق طاعة الرأي والصبر في كل أمورك فانك ان لم تحرز الحظ الذي تبغيه كنت قد أحرزت العذر ٠ قال المؤلف : قد أحسن الشاعر في هذا حيث يقول :

لأبلغ عذراً أو أنال رغيبة ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

وقال موت الصالح راحة لنفسه وموت الطالح راحة للناس ٠ قال المؤلف : قريب من هذا ما يحكى عن غير افلاطن : ابك على العاقل يوم يموت وعلى الأحمق حتى يموت ٠ وقال : الفضيلة تجمع أهلها على المحبة والرذيلة تفرق بين أهلها بالتنافر والبغضة الا ترى ان الصادق يحب الصادق ويستنيم اليه وكذلك الثقة مع الثقة والحسن الخلق مع الحسن الخلق وترى الكاذب يبغض الكاذب والسارق يخاف السارق وكل واحد منهما حذر من مجاورة صاحبه ٠ وقال : المصغي الى الذم شريك لقائله قال بعض الشعراء :

والسامع الذم شريك له والمطعم المأكول كالآكل

وقال : الفقير اذا تشبه بالغني كان كمن به الورم ويوهم الناس أنه سمين وهو يستر ما به من الورم ٠ قال المؤلف : كأن ابو الطيب المتنبي لحظ هذا الكلام حيث يقول :

أعيذها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وقال ارسطوطاليس : الحكيم الصالح لا يخادع أحداً والعاقل الكامل لا يخدعه أحد ٠ قال المؤلف : ان يكون الانسان مخدوعاً ليس بصفة محمودة لأنه يدخل في باب الغباوة وربما ظن الناس انه صفة مدح لما يسمعون من قولهم الكريم مخدوع : نومئ قول الشاعر : ان الكريم اذا ما خودع انخدعا

ومن قول الآخر :

خادع خليفتنا عنها بمسألة ان الخليفة للسؤال بنخدع

وليس الأمر كما يظنون وانما المراد بالانخداع ههنا التكلف مع المعرفة بالخديعة . وقد صرح ابو تمام الطائي بالواجب في هذا المعنى فقال :

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

وقال : يا اسكندر لا يكونن لجائزتك حد فان ذلك أبسط للأمل فيك .
وقال : يا اسكندر اعمر ما خرب مما أنشأه من تقدمك يعمر ما تبنيه من يعقبك
وقيل لسقراط لمَ لا نرى أثر حزن فيك ؟ قال : لأني لا أملك ما أحزن عليه اذا عدمته . قال بعض الشعراء :

الم ترَ ان الدهر يهدم ما بنى ويأخذ ما أعطى ويفسد ما اسدى

فمن سره ان لا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدا

وقال اوميرس : الكذاب لا يصلح لشيء حتى يصلح الثعلب للذئب . وقال : الانسان الخير أفضل من جميع الحيوان الذي على وجه الأرض والانسان الشرير أخس من جميع الحيوان الذي على وجه الأرض . وقال : اني لأعجب من الناس ان مكنهم الله من الاقتداء بالملائكة فيدعون ذلك ويميلون للاقتداء بالبهائم .
قال المؤلف : عندهم ان التفلسف هو الاقتداء بالله تعالى وأن تعلم الحق وتفعل الخير .
ومن كلام باسيليوس الملك : لا تغتر بحسن الكلام اذا كان الغرض منه ضاراً فان الذين يسمون الناس يخلطون السم بالحلاوات ، ولا يصعبن عليك الكلام الغليظ اذا كان الغرض منه نافعاً فان أكثر الأدوية الجالبة للصحة مرة بشعة .
من كلام فيثاغورس ويقال انه أول فيلسوف اجتمعت اليه التلاميذ قال لابنه : أوصيك بعشرة أشياء فاحفظها تسلم : لا تلاح حديداً ، ولا تشارب غيوراً ، ولا تساكن حسوداً ، ولا تجاور جاهلاً ، ولا تناهض من هو أقوى منك ، ولا تؤاخ

مرائياً ، ولا تعامل كذاباً ، ولا تكثر مجالسة النساء ، ولا تصاحب بخيلاً . والعاشرة هي عمدة الوصية وبها سلامة نفسك الا تستودع سرك أحداً .

من كلام ديستانس الخطيب ، قال : يجب علي من اصطنع معروفاً ان يتناساه من ساعته ويجب على من أُسدي اليه معروف ان يكون ذكره نصب عينيه . قال المؤلف : قيل في يحيى بن الفضل :

ينسى الذي كان من معروفه أبداً الى الرجال ولا ينسى الذي يعد

من كلام ديوجانس الكلبي ، والكلبيون فرقة من الفلاسفة يستهينون بالعادات مثل ان يأكلوا في الطرقات ويلبسوا ما اتفق ويناموا حيث اتفق ولذلك شبهوا بالكلاب . رأى ديوجانس غلاماً منبوذاً اي ملقوطاً يرمي بالحجارة . فقال له : لا ترم فلعلك تصيب أباك وأنت لا تدري . قال المؤلف : نقل شاعر من العرب هذا المعنى فقال :

لا تهجون أسنّ منك فربما تهجو أباك وأنت لا تدري

من كلام فندروس قال : كما ان الجسد اذا فارقته النفس فاح منه النتن في الخارج كذلك الجاهل الذي عدم الحكمة لا يخرج من فيه لفظة الا كانت أذى ونتناً على سامعها وكما ان الجسد لا يشعر بما يظهر منه من النتن لأنه ميت كذلك لا يحس الجاهل بنتن كلامه لأنه ميت التمييز .

قيل لسطيحوس ان اوميروس يكذب كثيراً فقال : الذي يُطلب من الشاعر انما هو الكلام الحسن اللذيذ فاما الصدق فانما يطلب من الأنبياء عليهم السلام .

محمد كرد علي

اثر الهند في الثقافة العربية

اذا ذكر العربي الهند ذكر معها الحكمة ، والاتقان في العمل ، والطيب . ولذلك جعلوا اسم (هند) من أسماء بناتهم تفاؤلاً بما يرجونه لهن من الحكمة والاتقان وطيب الأحدوثة . واشتهر من نسائهم بهذا الاسم هند بنت الحرث الكندي عمة امرئ القيس الشاعر المشهور ، ووالدة عمرو بن المنذر اللخمي ملك العرب في الحيرة قبل الاسلام المعروف بعمرو بن هند [1] ، وهند بنت سهل المخزومية احدى زوجات النبي عليه السلام ، وهند بنت عتبة والدة معاوية بن أبي سفيان [2] ، وغيرهن ممن سمين بهذا الاسم كثير جداً .

وكأن الرجال نافسوا النساء على هذا الاسم ، فسموا به أيضاً ، مثل هند بن ابي هالة التميمي [3] ربيب النبي عليه السلام وأمه خديجة زوج النبي . وكذلك سموا السيف الماضي المتقن الصنعة الهندي . والهندي في لغة العرب أيضاً نوع من العود طيب الرائحة .

كان ذلك في الجاهلية وصدر الاسلام قبل ان يكون اتصال وثيق بين العرب والهند . فلما فتح محمد بن القاسم الثقفي السند سنة ٨٩ اجتمع الشعبان في صعيد واحد وتعارفا وبدأ كل منهما يقتبس من الآخر . ولعل اول ما اقتبس العرب من الهند – مباشرة أو بواسطة الفرس – لعبة الشطرنج ، فلقد أولعوا بها وعمت بين طبقات الناس في القرن الأول ، وراع مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية في دمشق انصراف الناس الى الشطرنج وشغلهم بها فكتب

---

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٢٦٥

(٢) الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج ٨ ص ٢٠٣

(٣) » » » » » » » » ج ٦ ص ٢٩٣

الى أحد عماله رسالة يأمر بتحذير الناس من الافراط في الاقبال عليها والتلهي بها ، والرسالة من انشاء عبد الحميد الكاتب كتبها عن الخليفة [1] .

وفي ايام بني أمية نبغ من أهل السند شاعر يعد من فحول شعراء العربية اسمه ابو عطاء أفلح السندي كان على جودة شعره يرتضخ لكنة سندية ولا يكاد يفصح لشدة لكنته ، فاذا أراد أن يقول حسن قال هسن او تعشيت قال تأسيت أو شيطان قال سيتان أو جرادة قال زرادة . وكان هواه السياسي مع بني امية فلما انقرضت دولتهم قال :

أليس الله يعلم أن قلبي يحب بني امية ما استطاعا

وما بي ان يكونوا أهل عدل ولكني رأيت الأمر ضاعا [2]

ولم تكد تنقرض الدولة الأموية وتنتقل الخلافة من بني امية الى أبناء عمهم بني العباس ويتحول مقر الخلافة من دمشق الى بغداد في النصف الأول من القرن الثاني حتى بدأ أثر الفرس والهند واليونان يظهر واضحاً في نواح متعددة من الثقافة العربية . وغرضنا الآن الاشارة الى أثر الهند دون سواه على سبيل الاجمال والايجاز .

نفذ أثر الهند الى جهات عدة من الثقافة العربية كالأدب والطب والحساب والنجوم والتصوف والموسيقى ، وأخذ علماء العرب يعنون بالثقافة الهندية ، فقد وفد على ابي جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين وفد من السند سنة ١٥٤ وكان في جملة الوفد منجم عظيم عرف عند علماء العرب بالهندي ، له كتاب في حركات النجوم اسمه السند هند اي الدهر الداهر ، فأمر الخليفة بترجمة ذلك الكتاب الى العربية وان يؤلف منه كتاب تتخذه العرب أصلاً في حركات الكواكب ، فتولى ذلك محمد بن ابراهيم الفزاري [3] .

(١) رسائل البلغاء لمحمد كرد علي ص ١٦٠

(٢) الأغاني ج ١٦ ص ٧٨

(٣) اخبار الحكماء للقفطي ص ١٧٧ وكتاب تحقيق ما للهند من مقولة لأبي الريحان البيروني ص ٢٠٨

وفي ذلك الزمن أو قبله بيسير ترجم الى العربية كتاب كليلة ودمنة ترجمه الكاتب العظيم عبد الله بن المقفع عن الفارسية وزاد عليه باب برزويه ، والكتاب من وضع الهند واسمه بالهندية (پنج تنتر)[1] ونظمه شعراً أبان بن عبد الحميد اللاحقي من شعراء ذلك الزمن . ولا تزال ترجمة ابن المقفع متداولة بين قراء العربية الى الآن . وقد ذكر ابن النديم في كتاب الفهرست ص ٣٠٥ أسماء القصص والاسمار التي ترجمت عن الهندية الى العربية في صدر الدولة العباسية وهي غير قليلة تدل على عناية العرب بالأدب الهندي .

ولا بد من الوقوف قليلاً عند أبان بن عبد الحميد اللاحقي أحد الشعراء المشهورين في صدر الدولة العباسية ، فقد راض الشعر العربي لما لم يرض له من قبل ، نظم كتاب كليلة ودمنة باربعة عشر الف بيت ، وعمل قصيدة اسمها ذات الحلل ذكر فيها مبتدأ الخلق وأمر الدنيا وأشياء من المنطق وغير ذلك ، وعمل قصيدة تشتمل على أحكام الصيام والزكاة[2] وفي كل ذلك ظاهرة جديدة في الشعر العربي لم تكن معروفة من قبل ، ونرجح ان يكون حاكى في عمله هذا أهل الهند في نظم كتبهم ومعارفهم ، فقد ذكر ابو الريحان البيروني في كتابه الجليل عن الهند ان علوم الهند المدونة في كتبهم منظومة كلها شعراً[3] .

ويذهب البيروني الى أبعد من ذلك فيقول « ان من الناس من يظن انه من الممكن ان يكون الخليل بن أحمد سمع أن للهند موازين في الأشعار فوضع علم العروض »[4] .

ولما أفضت الخلافة الى هرون الرشيد ازدادت العناية بالثقافة الهندية وأمر

(١) البيروني ص ٧٦
(٢) كتاب الأوراق للصولي [قسم الشعراء] ص ١ و ص ٥١
(٣) البيروني ص ٩ وص ٦١ و ص ٦٥ و ص ١٩٥
(٤) البيروني ص ٧٢

باستحضار أطباء الهنود وحكمائهم وكان يفضل طريقتهم في الطب على طريقة اليونان ، وقرب من أطبائهم صالح بن بهلة الهندي وله معه خبر طريف يدل على براعته مذكور في كتاب أخبار الحكماء للقفطي ص ١٤٥ وطبقات الأطباء لابن ابي اصيبعة ج ٢ ص ٢٤ واستدعى الرشيد من الهند طبيباً يقال له منكه الهندي كان متميزاً بالطب وحسن المعالجة والفلسفة جعله من أطبائه المقربين [1] . وبعث يحيى بن خالد البرمكي مستشار الرشيد برجل الى الهند ليؤلف له كتاباً في مللهم وأديانهم ويأتيه بعقاقير موجودة في بلادهم [2] .

وقد ترجم من عهد ابي جعفر المنصور سنة ١٣٦ الى آخر عهد المأمون سنة ٢١٨ عدد وافر من كتب الطب والنجوم والصيدلة والحكمة مذكورة اسماؤها واسماء مؤلفيها ومترجميها في كتاب الفهرست لابن النديم ص ٢٧١ و ص ٣٠٣ وفي كتاب طبقات الأطباء ج ٢ ص ٣٢ و ص ٣٣ و ص ٣٤ .

ويقول القفطي في أخبار الحكماء ص ١٧٥ : « . . . مذهب السند هند في علم النجوم هو المذهب الذي تقلده جماعة من علماء الاسلام وألفوا فيه الزيجة . . . . ومما حصل الينا من علومهم في الموسيقى الكتاب المسمى بالهندية بيافر وتفسيره ثمار الحكمة فيه اصول اللحون وجوامع تأليف النغم . . . ومما وصل الينا من علومهم حساب العدد الذي بسطه ابو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي وهو أوجز حساب واخصره واقربه تناولاً واسهله مأخذاً يشهد للهند بذكاء الخواطر وحسن التوليد وبراعة الاختيار والاختراع » .

وقد تأثر التصوف الاسلامي ـ بواسطة الفرس في اكثر الأحيان ـ بشيء من مذاهب الهند في الرياضة والزهد والتقشف وفلسفة الحياة كما تأثر بعقائدهم

(١) طبقات الأطباء لابن ابي أصيبعة ج ٢ ص ٣٣

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٣٤٥

بعض الفرق الباطنية ممن يقولون بالتناسخ والحلول والاتحاد [1] . وكان ابو العلاء المعري ممن استهواه مذهب الهنود في الرأفة وتحريم قتل الحيوان فعمل به ودعا اليه نحواً من خمسين سنة وفي ديوانه (اللزوميات) طائفة من شعره في هذا المعنى .

وعناية ابي الريحان البيروني بعلوم الهند وفلسفتهم وعقائدهم ومذاهبهم وشرائعهم وعاداتهم وشرح احوالهم تفوق كل عناية ، فلقد رحل الى بلادهم وعاش معهم وأتقن لغتهم ونقل الي العربية خلاصة ثقافتهم وألف في ذلك عدداً من الكتب وصل الينا منها كتابه العظيم « تحقيق ما للهند من مقولة » أحسن فيه غاية الاحسان .

هذه نبذة موجزة في الاشارة الى أثر الهند في الثقافة العربية يصح ان تكون مقدمة لبحث يحيط بهذا الموضوع .

خليل مردم بك

---

(١) البيروني ص ١٦ و ٢٤ و ٢٧ و ٢٩ و ٣١ و ٣٤ و ٣٥ و ٤٠ و ٤٣ ...

تحقيقات معجمية

— ٢ —

ت — بَرِح

العربية :

بَرِح الظبيُ : مرّ عن ميامنك فولاّك مياسره ؛ و — الانسانُ برحًا : غضب . يقال : ما أشدّ ما يرح فلان على صاحبه . برِح المكانَ ومنه : زال عنه ؛ و — الخفاء : وضح الأمر ، اي زالت خفيته . برّح به الأمرُ : جهده وآذاه أذًى شديداً ، فهو مبرِّح . برِّحت به الحمّى : اصابه منها البُرحاء ، وهي شدتها . برّح الله عنك : كشف البَرح ونفّس عنك . أبرَح فلانٌ رجلاً : فضّله وتعجب منه . وأبرحه : اكرمه واعظمه ، أو صادفه كريمًا . يقال أبرحتَ كرمًا وابرحت لؤمًا : جئت بأمر مفرط . ما أبرحه : ما اعجبه . أبرح : اعجب وبالغ . بارِح . البارح من الصيد ، جاء عن يمينك فولاّك مياسره . ريح بارح : شديدة . البُرَحاء : شدة الأذى والمشقة . يقال : اخذته بُرَحاء الشوق . التباريح : كلف المعيشة بمشقة . وتباريح الشوق : توهجه . البارحة : اقرب ليلة مضت . يقال : كان كذا الليلةَ ، من غدوة الى زوال الشمس . واذا زالت قيل البارحة ، اي الماضية والزائلة . البَراح : المكان الذي لا ستر فيه ولا شجر ، اي الظاهر ؛ و — الأمر اليّن . ومنه : جاء بالكفر بَراحاً ، اي بيّنًا أو جهاراً ؛ و — اسم الشمس ، لانتشارها وظهورها ، اي بزوال خفيتها . لا بَراحَ : لا تحول ولا زوال . بُرحة كل شيء خياره . بَرحى : كلمة تقال عند الخطأ في الرمي ، اي خطأ زائل [1] .

(١) اللسان ٣ — ٢٣١ ي ي ، التاج ٢ — ١٢٢ ، Lane ١٨ ي ي .

السريانية :

(ح) Brah : برّح ، اتضح ، لمع ، تلألأ ، شفّ .

Barrah : برّح ، أوضح ، كشف ، صقل ، أبرق ، فضح ، عاب ، ثلم .

Bârôhâ : بارح ، واضح ، سنيّ ، لمّاع ، شفّاف .

Barhâ / Nabrîhâ : خروف ، تيس ، الكبش المتقدّم القطيع [1] .

العبرية :

(خ) Bârab : شقّ ، عبر ، اخترق ، اجتاز ، انصرف ، هرب .

Bâriyah : هارب .

Berîhah : هرَب ، جفل ، فرار .

Beriyah : خشبة عارضة ، مرتاج ، قوة ، سطوة ، حصن [2] .

الحبشية :

Bareha : برح ، ظهر (الشيء الخفي) .

Barâh : أصلَع .

Berhat : صلَع ، صلعَة [3] .

الأكدية :

Burûhu : رمح ، سنان .

Berehhu : ساق النبات [4] .

تنسيق وتعليل

(١) هذا الحرف الثلاثي مشتق من الثنائي « بَرْ » . وقد رأينا ان معاني « بَرْ » هي القطع ، الشق ، الفصل ، الابعاد ، الزوال . فهذه الفكرة الأصلية توسّعت

(١) Payne - smith ٦٠٨ ي ، مثلا ، ١٨٨١ ، أودو ١ — ١٠٢ ي .
(٢) Robinson ١٣٧ ي ، El - Maleh ١٨٠ .
(٣) Dillmann ٥٠١ .
(٤) Bezold ٢٢٦ ، Robinson ٢٣٨ .

في مادة «بَرح» فصدر عن ذلك المداليل التالية الواردة في العربية واخواتها .

(٢) من فكرة القطع والشق والخرق جاء في العبرية فعل Bârah : شق ، عبر ، اخترق ، اجتاز . و Beriyah : خشبة عارضة لاجتيازها وراء الباب . من ذلك Barâh في الحبشية ، ومعناها : أصلَع و Berhat الصلَع . لأن الصلَع يعني جز الشعر أو زواله . ومنه في الاكدية Burûbu ، رمح ، سنان ، لخرقه الأبدان ؛ و Berehhu ساق النبات ، لشقه الأصل ونموه .

(٣) من القطع والطعن والشق يحصل الأذى الواقع بشدة وعنف . من ذلك ورد في العربية : برَّح به الأمر : آذاه أذًى شديداً . والبُرَحاء والتبريح . ومنه أيضاً الغضب لما فيه من الحدة والشدة . ومن الشدة المبالغة . من ذلك أبرَح بنا : بالغ في ايذائنا .

(٤) من الفصل ينشأ السير والمضي والمرور . نحو : بَرح الظبي : مرّ عن اليمين الى اليسار . ومنه التقدّم . في السريانية Barhâ : الكبش بكونه السائر أو المتقدم القطيع . وفي العبرية Bârah : انصرف ، هرب .

(٥) من القطع والفصل يتولد الاختيار . لأن من اختار شيئاً فصله أو ميّزه عن غيره . فجاء : بُرحةُ كل شيء خياره . هذه بُرحة من البُرَح : الناقة اذا كانت من خيار الإبل . ومن الاختيار ينشأ التفضيل والاكرام . من ذلك : أبرح فلاناً : فضّله واكرمه وأعظمه .

(٦) من القطع والفصل يصدر الابتعاد والزوال . فجاء برح عن مكانه : زال عنه . وأبرحه عن المكان : أزاله عنه . ثم : لا بَراح ، اي لا تحوّل ولا زوال . هذه فعلة بارحة : زائلة . بَرَحى : كلمة تقال عند الخطأ في الرمي ، اي خطأ زائل . الليلة البارحة : الماضية أو الزائلة .

(٧) من باب السلب ، زوالُ الشيء يدلّ على ظهور غيره . ولذا ورد برَح الأمرُ : ظهر ، وضح ، اي زالت خفيته . البَراح : المكان الذي لا ستر فيه

ولا شجر، أي الظاهر. البَراح: الأمر البيّن. البراح: الشمس، لظهورها وانتشارها، اي لزوال خفيتها. ثم جاء في الحبشية Bareha: برح، ظهر. وفي السريانية: Brah: برح، اتضح، لمع. و Barrah: برّح، كشف، أبرق، فضح، هتك.

ث: بَرَدَ والبريد

العربية:

بَرَدَ: زالت حرارته؛ و— الماءَ: ازال حرارته؛ و— الماءَ: مزجه بالثلج؛ و— الليلُ القومَ، و— عليهم: أصابهم بَرْدُه؛ و— عينَه بالكحل: سكّن ألمها به؛ وبردت العين بالبَرود: كُحلت به فسكن ألمها؛ وبرد الخبزَ بالماء: صبّ عليه الماء فبلّه؛ و— فلانٌ: فتر؛ و ضعف عن هزال أو مرض؛ و— نام؛ و— مات؛ و— لي على فلان حق: وجب ولزم؛ و— السيفُ: نبا، ضعف، كلّ؛ و— الحديدَ: سحله؛ و— الخشبةَ بالمبرد؛ نحتها؛ و— مضجعُه: سافر؛ و— أرسل.

بَرُدَ الماء: زالت حرارته؛ و— حقي عليه: ثبت ووجب؛ و— الأرضُ: أصابها البَرَد؛ وبُردت الأرضُ: أُمطرت البَرَد.

أبرَدَ له: سقاه البارد؛ و— فلاناً: أرسله بريداً؛ و— دخل في البَرْد أو البَرَد. أبرِدوا عنكم من الظهيرة: لا تسيروا حتى ينكسر حرّها ويبوخ.

ابترد: اغتسل بالماء البارد. استبرده: عدّه بارداً؛ واستبرد عليه لسانه: ارسله عليه كالمبرد. البارد: غير الحار؛ و— كل ما كان محبوباً مستطاباً؛ و— من العيش: المنيء الطيّب، الحجة الباردة: الواهنة؛ الغنيمة الباردة: التي تأتي عفواً بغير اصلاء نار القتال. البُرادة: السُحالة، أو ما سقط من المبرود أو المسحول، عند سحله، سواء كان من الفضة، أو الذهب، او الحديد.

البَرَد: حبّ الغمام؛ ومجازاً: الأسنان الشديدة البياض. البَرْد: عكس

الحر ؛ و — النوم ؛ و — الموت ؛ البَرْدة : التخمة ، المِبْرَد : آلة سحل الحديد وغيره [١] .

السريانية :

Brad : بَرد ، سحل ، خرط ، خبط ، سحق .

Barrèd : كثّر ، وفّر ، نوّع .

Abrèd : قطع ، منع ، أوقف : جمّد ، جعله بارداً .

Bardâ : برَدٌ ، حبّ الغمام ، بَرْدٌ ، قرّ .

Bârdâ : أبرَدُ ، مخطّط .

Burdâ : بُرْدٌ ، ثوبٌ مخطّط .

Barîdâ : بريد ، رسول [٢] .

العبرية :

bârad : برَدت السماء ، تبدّد ، تشتّت .

barôd : مخطّط ، مبقّع ، ملوّن .

الارمية :

berad : بَرَدٌ .

السبئية : بردم : بَرَدٌ [٣] .

تنسيق وتعليل

(١) هذا الثلاثي صادر عن الثنائي « بَرْ » الدال ، كما رأينا ، على القطع ، والفصل والإبعاد . ومن أنواع القطع ، قطع الحركة . ومن ضروب الحركة

---

(١) التاج ٢ – ٢٩٧ ي ي ، اللسان ٤ – ٨ ي ي ، الصحاح ٢ – ٢١٢ ي . Lane ١٨٣ ي ي .

(٢) معجم Brockellmann (سرياني – لاتيني) ٢٥ ، منّا ٨٠ . معجم القرداحي (سرياني – عربي) ١ – ١٣٩ .

(٣) Robinson ١٢٥ ، معجم المالح (عبري عربي) ص ٦٦

حركة الحرارة . فمن انقطاعها ، أو سكونها ، او خمودها ينجم ما نسميه البرْد . ومرادفه « القرّ » . وهذا عينه ناشئ عن القرار او السكون [١] . وبهذا تدرك جميع المداليل لهذا الثلاثي المراد بها البَرْد أو البَرَد . من ذلك بُرِدت الأرض : أُمطرت برَداً ؛ وفي العبرية bàrad : بُرِدت السماء ؛ وفي الإرمية berad : بَرَدٌ ؛ وفي السبئية « ب ر د م » بَرَدٌ .

(٢) من السكون ، أو انقطاع الحرارة ، أو البَرْد جاء « برَدَ » دالاً على النوم والموت . لأن في النوم انقطاع الحرارة وقتياً ، وفي الموت زوالها زوالاً تاماً [٢] .

(٣) ثم ورد بين معاني « بَرِد » مدلول الفتور ، والضعف ، والهزال ، لأن في ذلك مفهوم انقطاع الحرارة أو العافية .

(٤) اذ كان في « البَرْد » معنى القرار والثبوت ، أي عدم الحركة ، قيل في العربية : برَد لي على فلان حق ، اي ثبت ووجب ولزم [٣] .

(٥) اذا بردت المعدة تعسَّر عليها استمراء الطعام وهضمه . ولذا سميت التخمة بَرَدَة .

(٦) من لون البَرَد ، أو حبّ الغمام ، وهو لون البياض ، سميت ، من باب المجاز ، « بَرَداً » الأسنانُ الشديدة البياض [٤] .

(٧) من البرودة تنشأ الراحة والرفاهية في البدن ، من ذلك تسكين الآلام . ولهذا أيضاً اطلقوا كلمة « البارد » على كل ما يُحب ويستطاب . واذ كان البرْد سكوناً وعدم عناء ، قالوا : غنيمة باردة ، أي تأتي عفواً بغير اصلاء نار القتال .

(٨) من فكرة القطع جاء abrèd ، في السريانية ، دالاً على : قطع ، منع ، أوقف ، جمّد . وفي كلمة barda : ثوب أبرَد : مخطَّط ، اي مقطَّع بالخطوط .

---

(١) المصباح ١ – ٣٨٦ ي .
(٢) اللسان ٤ – ٥١ و ٥٢ .
(٣) الأساس ١ – ٢٣ .
(٤) البستان ١ – ١٢٢ .

وكذلك burda . ومنه البُرْد والبُردَة ، في العربية بعين المدلول[١] .

(٩) من انواع التقطيع السَحْل ، وهو البَرْد ، أي سحق المعادن المختلفة ، كالذهب ، والفضة ، والحديد ، سحقاً يجعل مادتها ذرّات . من ذلك يقال في العربية : بَرَدَ : سحل ؛ وفي السريانية brad : سحق ، سحل ، خبط . ومنه : استبرد عليه لسانه : أرسله كالمبرد[٢] ، والبُرادة : السحالة ؛ والمبرود : المسحول . ومن انواع البرْد النحت . فورد : بَرَدَ الخشبة : نحتها .

(١٠) من نتائج البَرْد تكثير مادة السُحالة . من ذلك في السريانية barrèd : كثَّر ، وفرّ نوّع ؛ وفي العبرية barad : تشتّت ، تبدّد .

(١١) من القطع والفصل ينجم الابعاد ؛ ومنه الارسال . لذلك جاء في العربية : بَرَد وأبرَد : أرسل . ومنه البريد : الرسول ، وجمعه البُرُد : الرسل[٣]

أصل كلمة « بريد »

لقد تضاربت ، واي تضارب ، آراء أهل اللغات من عرب ، ومستعربين ، ومستسيمين ، في أصل لفظة « البريد » . لذا نبسط اولاً اقوالهم ، ثم نرى اي رأي يسوغ ابداؤه في ذا الشأن .

بين لغويي العرب من يقول بأنها عربية النجار ، ومنهم من يزعم انها فارسية الأصل . فنجتزئ ، للدلالة على المذهبين ، بايراد ما جاء في صبح الأعشى في صدد ذلك[٤] قال : « ثم اختلف فيه (البريد) . فقيل انه عربي . وعلى هذا ذهب الخليل الى انه مشتق من بردت الحديد اذا ارسلت ما يخرج منه . وقيل من أبردته اذا ارسلته . وقيل من برَد ، اي ثبت . لأنه يأتي بما تستقر عليه الأخبار . يقال اليوم بارد سمومه ، اي ثابت »[٥] .

(١) اللسان ٤ – ٥٣ ي .. (٢) الأساس ١ – ٢٣ .
(٣) القاموس ١ – ٢٧٧ . (٤) صبح الأعشى ، القلقشندي ٢٤–٣٦٧ .
(٥) اللسان ٤ – ٥٣ ، سر الليال ، للشدياق . ص ٢٤٦ ، المصباح ١ – ٥٥ .

«وذهب آخرون الى انه فارسي معرب . قال ابو السعادات بن الاثير في كتابه النهاية ، في غريب الحديث : واصله بالفارسية «بريده دم» ومعناه مقصوص الذنب . وذلك ان ملوك الفرس كانت من عادتهم انهم اذا اقاموا بغلاً في البريد قصوا ذنبه ، ليكون ذلك علامة لكونه من بغال البريد»[1] .

اما المستشرقون فلا يقبلون لا بعربيتها ولا بفارسيتها . فمنهم من يزعم انها من الكلمة اللاتينية veredus ، الدالة على بغل البريد[2] . ومنهم من يدعي كونها من pferd اللفظة الالمانية ، وهناك من يظن ان veredus اللاتينية آتية من اللغة القلطية[3] ، اخيراً هناك فريق يرتئي انها من العبرية féréd ، اي البغل[4] .

أما التاريخ فيدلنا على ان منظمة البريد قد وجدت منذ القديم عند الشعوب المتمدنة من مصريين ، وبابليين ، وأشوريين ، وفرس ، ويونان ، ورومان ، وعرب[5] . على ان طريقة الخابرة قد بدأت طبقاً لمجرى الطبيعة . فكانت المراسلات تتم على يد رجال سعاة يمشون على الاقدام بسرعة غريبة . ثم تطورت متدرجة في الرقي ، فاستخدمت لذلك الدواب على اختلاف انواعها ، من بغال ، وحصن ، وجمال . ثم في عصور الدول العظمى ذات العامليات الضخمة ، اتخذ الملوك

---

(١) التاج ٢ – ٢٩٨ ، سر الليال ، للشدياق ص ١٤١ ، السان ١ – ١٢٧

(٢) La Syrie à l'époque des Mamlouks , par Gaudefroy - Demombynes , p 239 .
La poste aux chevaux dans l'émpire des Mamlouks , par Sauvaget , p 1 .
Encyclopedie de l'islam , Hartman , sous Barid , I , p 675 .

(٣) المعجم الدنيني ١ – ١٠٠ .
Point de vue sur l'impèrialisme romain , par Jérôme Carcopino , p . 237 .

(٤) معجم Gesenius - Buhl (عبري ألماني) ٦٥٧ .

(٥) Larousse du XX^e siècle : T . 5 , p . 736 .

والحكومات وسيلة الإسراع في هذه المنظمة ، باقامة مراحل ، او سكك مرتبة فيها الدواب ، ليركبها الرسل حال وصولهم ، فيتابعوا السير دون توقف [١] .

أما العرب فقد عمدوا بادئ بدء الى الوسائل العادية لايصال الأخبار ، اي على يد السعاة او الرسل المشاة ، ومنهم العدّاؤون ، ثم بواسطة الركبان الذين كانوا يقطعون المسافات الطويلة قياماً بهذه المهمة . وبعد اتساع ملكهم بالفتوح ، كان معاوية أول الخلفاء الذين أنشأوا منظمة البريد ، حسبما كانت جارية عند الروم البيزنطيين ، خلفاء الرومان القدماء ، الذين كان قياصرتهم العظام قد وضعوا نظامها الكامل ، كما ان العباسيين واصلوا استخدام هذه الوسيلة احتذاء للفرس الذين كانوا قد سبقوهم في تأسيس هذه المنظمة للمخابرة بين ملوكهم والولاة [٢] .

هذا الذي نعرفه من الناحية التاريخية . فلنبحث الآن عن اصل الكلمة من حيث الاشتقاق .

رأينا ان المادة الثلاثية « بَرَد » مشتقة من الثنائي « برّ » وبدله « فرّ » . وكلاهما يدلاّن على القطع والفصل ، ومن ثَمّ على الابعاد والاسراع . وقد توسعت هذه الفكرة في الثلاثي ، بصورتيه وهما « بَرد ، وفرَد » الواردين في اللغات السامية . وقدمر بنا بسط معاني « برَد » . أما « فرَد » فهذه مداليلها . في العربية « فرد » عن الشيء : اعتزل وتنحى . وأفرد الشيء : عزله . وأفردَ رسولاً : جهّزه وبعثه [٣] . ومثله : « فرَط » : سبق وتقدم . وفرط اليه

---

(١) Dictionnaire des antiquités , Tome . I , partie II , p. p. 1645 - 1672 .

(٢) التعريف ، العمري ، ص ١٨٤ ي ، ي ، الخطط للمقريزي ١ – ٢٢٦ . التمدن الاسلامي ، لجرجي زيدان ، ج ١ ص ٢٢٠ ي ، ي .
المعلمة الاسلامية (بالفرنسية) ١ – ٦٧٥ ،

(٣) البستان ٢ – ١٧٩٢ .

رسولاً : قدّمه وأرسله . وفرّط عليه : عجّل وعدا . وأفرط اليه رسولاً : أرسله . وافرط فلان : أعجل في الأمر . وتفرّط الفرس الخيلَ : تقدّمها . وتفارط القومُ : تسابقوا . « الفُرُط » : الأمر المجاوَز فيه الحد . و « الفُرُط » : الفرس السريعة التي تتفرّط الخيلَ ، اي تتقدّم[1] . وفي العبرية Farad : قسّم ، جزّأ ، فصل ، فرّق . و féréd : بغل ، و firdah : بغلة[2] . وفي السريانية frad : فرّد ، اعتزل ، فرّ ، تفرّق[3] . و frat : شقّ ، مزّق ، فرّط ، نثر[4] . وفي الاكدية Paradu : اهتزّ ، ارتجف ، ارتبك ، عجّل ، أسرع . و piridu أو puridu : سريع ، مستعجل ، ساعٍ ، رسول[5] .

أول لغة ظهر فيها معنى الفصل ، والاسراع ، والارسال في الاكدية . وأما féréd العبرية الدالة على البغل ، فقد اطلقت على هذا الحيوان لسرعته في السير[6] . وقد وافق ذلك معاني « فرد ، وفرط » في العربية . من ذلك « فرّط » المراد به السرعة ، والتقدّم ، والسبق ، وارسال الرسول . وكذلك « أفرد » رسولاً : جهزه وبعثه . ومنه ايضاً « الفُرُط » الفرس السريعة .

بناءً على هذا نظن ان تطوّر معاني هذه الألفاظ بدأ بمدلول القطع ، والفصل ، والابعاد ، في الثنائي « برّ » أو « فرّ » ، وتوسع في الثلاثيات « برد ، وفرد ، وفرط » ، ومن فكرة السرعة ، والتقدم ، والسبق ، انتقل الى فكرة الارسال . من ذلك الرسول الماشي او الساعي ، ثم الى فكرة الراكب ، وما يركبه الرسول ، اي الدوابّ ، من بغال ، او حصن ، او جمال ، او مركبات ، ثم الى المسافة التي يقطعها الرسول ، والى المراحل التي ينزلها لتغيير المركوب[7] .

لذلك نرى الأقرب الى الصحة ان اللفظة سامية ، مبدأ اشتقاقها من الثنائي « برّ أو فرّ » ثم من الاكدية ، ومن هذه اللغة تطرّقت الى العبرية ، والعربية ،

(١) أقرب الموارد ٢ - ٩١٧ ي .
(٢) معجم المالح ، ص ٣٣٠ .
(٣) منّا ، ٦٠٦ ي .
(٤) أودو ٢ - ٣٢٦ .
(٥) Bezold ٢٢٦ .
(٦) Gesenius ٢ - ١١٢٤ .
(٧) المصباح ، ٥٥ .

والسريانية . ومن اللغات السامية انتقلت الى الألسنة الآرية ، كالفارسية ، واليونانية ، واللاتينية . ومن اللاتينية دخلت اللغات الجرمانية والقلطية وغيرها .

وفي العربية ذاتها ، يظهر لنا ان الفعل « برد وأبرد » بمعنى أرسل ، قد ورد قبل « البريد » الدال على الرسول ، اي ان هذه اللفظة ، وهي تعني الرسول ، او دابة الرسول ، مشتقة من الفعل ، ولم يشتق منها الفعل ارتجالاً ، اشتقاقه من اسم عين أجنبي . فقد ورد في الحديث : « اذا أبردتم اليّ بريداً ، فاجعلوه حسن الوجه ، حسن الاسم » . البريد الرسول ، وابراده ارساله . وقد قال بعض العرب : « الحمّى بريد الموت » . اراد انها رسول الموت تنذر به . وفي الحديث أيضاً : « لا أخيس بالعهد ، ولا احبس البُرُد » اي لا أحبس الرسل الواردين عليّ [١] .

أما الفارسية البهلوية ففيها كلمة « بريد » دالة على الساعي والرسول . و « بَريدَن » بمعنى أرسل رسولاً . وفيها كذلك « بُريدَه دُم » : مقصوص الذنب . بيد ان المعنى الأول هو الأصلي والطبيعي ، ولا الثاني البائن انه من تخيلات أهل المعاجم العربية .

على ان هذه المفردة لم تكن معروفة ، على ما يلوح لنا ، عند الفرس الأقدمين ، اي زمن داريُس وأحشويرُش اللذين أنشئت ، في عهد دولتها ، اي نحو القرن الخامس ق . م ، منظمة البعث بالتحارير والمراسيم والأخبار ، كما يبين من سفر استير العبري الذي نجد فيه مطلقة على خيل السعاة والرسل اللفظة الدخيلة من فارسية ذاك العصر ، وهي Ahasteranim ، المحتمل اشتقاقها من كلمة H'satra : مملكة ، فتكون دلالتها « الخيل الملوكية » [٢] .

هذا وفي السفر المذكور عينه يدعى السعاة في العبرية rasim وفي السريانية rahhaté . وكلاهما يطلق على الركاضين ، أو العدّائين [٣] .

(١) اللسان ٤ – ٥٢ .

(٢) Persian - English dictionary, by F. steingass, p. 182
Critical and exegetical commentary on the book of Esther by L. B. Paton p. 273.

(٣) سفر استير ، بالعبرية ٨ : ١٠ ، ترجمته بالسريانية ٨ : ١٠ .

على ان هيرودتس قد ذكر في تأريخه كلمة aggarios المراد بها الخادم ، المسخَّر ، الساعي ، الرسول ، من فعل aggareuo سخَّر[١] ، ويقابلها في اللاتينية angarius : ساع ، رسول ، والفعل angario : سخَّر للنقل في العجلات . وقد نسبها الى الفرس[٢] .

أما veredus الدالة في اللاتينية على دابة البريد ، و veredarii : رسل البريد ، فقد كانتا متعلقتين بالمصلحة العامة للنقليات والمراسلات المدعوة عند الرومانيين cursus publicus . ومن جملة ارباب الوظائف فيها كان magister officiorum : ناظر الوظائف ، و stationnarii : اصحاب المراحل ، أو المنازل ، و angarii : سعاة الدولة[٣] .

أما هذه الكلمة veredus ، التي يقابلها في اليونانية beredos – كما ان veredarius تنظر اليها beredarios – فالظاهر ، على رأي الاستاذ Juret ، في معجمه للأصول اللاتينية واليونانية ، انها دخيلة من لغة غير معينة[٤] وأما اللفظة الجرمانية pferd « بغل » ، وكذا القول عن القلطية ، فتشهد المعاجم انها مأخوذة عن اللاتينية ، وليس بالعكس[٥] .

الخلاصة ، يلوح لنا ، مما بسطناه ، ان كلمة « بريد » ليست من اللاتينية ، او اليونانية ، ولا من الفارسية ، بل هي عربية مشتقة ، على وزن فعيل بمعنى مفعول ، من « بَرَدَ وأبرَدَ » : أرسل رسولاً أو بريداً ، لا بل هي سامية الأصل أسّها الثنائي « برْ » أو « فرْ » ، وقد وردت بما يشبه المعنى المطلق عليها ، في الاكدية والعبرية .

(يتبع) الأب مرمرجي الدومنكي

(١) تأريخ هيرودوت ٨ – ٩٨ .
Greek - English lexicon , by E. A . Sophocles, p . 94 . - Diction . des antiquités , T . I , p . 1658 s .
(٢) Dictionnaire latin - français , par F . Gaffiot , p . 125
(٣) Diction . des antiquités , T . I. p . 1652 .
(٤) Dictionnaire ètymologique grec et latin , par A . Juret , p . 252 .
(٥) Dictionnaire allemand - français , par schuster, p. 676

المدرسون تحت قبة النسر

تمهيد

اقترح علي صديقنا العلامة خليل مردم بك أن أنشر ما كتبه جدي الاستاذ الكبير الشيخ عبد الرزاق البيطار في تاريخه : (حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر) فيمن جلس للتحديث في الجامع الأموي تحت قبة النسر ، فلبيت شاكراً ، ورأيت ان امهد بكلمة في التعريف بهذا التاريخ المخطوط فأقول :

ان هذا التاريخ يقع في مجلدات ، ويبلغ نحو (١٨٠٠) من الصفحات بالقطع المتوسط ، وقد كتبه مؤلفه في أدوار من عهود شبابه وكهولته وشيخوخته ، وترجم فيه ايضاً لطائفة من رجال القرن الرابع عشر وهم احياء ثم ترك الكتابة والتصحيح فيه قبل وفاته بأكثر من عشر سنين ، لما اضر بيده اليمنى من الأمى والشلل القليل ، الى ان توفاه الله تعالى سنة ١٣٣٥ ، وقد ترجمه الاستاذان الجليلان محمد كرد علي في مجلة المجمع والزركلي في الأعلام ونشر كاتب هذه السطور له ترجمة مفصلة في مجلة المنار (م ٢١ ص٣١٧ — ٣٢٤) .

وقد وقع للمرحوم تساهل في ذكر بعض من لا يستحقون الذكر ، كما أنه ترجم بعض الرجال في اواخر سني تحصيلهم ، او اوائل ظهور فضلهم ، ولم تذكر أعمالهم من بعد ان خاضوا في بحران المعترك الديني أو العلمي ، ودعوا الى الاصلاح الاجتماعي او القومي ، وكانت لهم فيه اعمال مشكورة ، وتآليف مشهورة ، كشيخنا القاسمي صاحب التفسير الكبير ، والمؤلفات المطبوعة ، والزهراوي الشهيد منشيء جريدة (الحضارة) ، ومؤلف « خديجة أم المؤمنين » . والمؤرخ الكبير

رفيق بك العظم الذي اشتهر بأجل مصنفاته : (أشهر مشاهير الاسلام) ، وكغير هؤلاء ، ثم اعجزه الشلل اليدوي عن وصفهم في طور حياتهم الأخير ، وجهادهم العلمي والقلمي العظيم ، كما ارّخ كثيراً ممن ليس لهم آثار تذكر ، كترجمته لبعض اهل الطرق المعروفة ، ونقله بعض ما يأثرونه من حكايات عجيبة ، او امور مبتدعة ، ليست في كتاب ولا سنة ، وإنما جارى فيما يحكيه العصر الأول الذي نشأ فيه ، وقد سبقه الى مثله المؤرخون كالأمين المحبي في اعيان القرن الحادي عشر ، والسيد المرادي في اعيان القرن الثاني عشر ، فقد ترجم الأول لأول رجل في خلاصة الأثر وهو آدم الرومي فقال : احد خلفاء العارف بالله تعالى جلال الدين الرومي المعروف بمنلا خدادنكار ، وكان شيخ زاويتهم المعروفة بمدينة الغلطة ، ووصف الثاني اول مترجم في سلك الدرر فقال في ترجمة ابراهيم الخلوتي : واخذ عنه الطريق (اي عن اخي المترجم ابي الصفا) وعن العارف السيد غازي الحلبي الخلوتي المشهور خليفة الشيخ إجلاص ، وجلس على سجادة المشيخة وبايع واشتهر ، وعقد الاختلاء في جامع المرادية بدمشق اهـ . المراد منه وهذا النمط من التعريف مستفيض في كتب التراجم والتاريخ .

وكان أذن لي المرحوم في اختصار تاريخه « الحلية » والتصرف فيه على وفق ما أرتئيه ، وقد استشرت افاضل اصدقائه بعد وفاته في ذلك فمنهم من اشار باختصاره ، ومنهم من رأى إبقاءه على حاله ، والاعتذار عن المؤلف في كل ما يظهر فيه مجال للنظر ، او موضع للنقد ، ولكل وجهة ، ثم رأيت ان اجمع بين الرأيين بابقاء الأصل على حاله ، واختصاره بكتاب اسميه (المختصر من حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر) من دون تصرف في الأصل بزيادة او نقص او تغيير ، وأميز زياداتي واقوالي بعزوها الي .

وقد فرغت من اختصاره في ثلاثة مجلدات سنة ١٣٦٢ هـ – ١٩٤٣ م .

(خلاصة تاريخ المسجد الأموي)

ذكر مؤرخ الشام الحافظ الكبير علي بن الحسن بن عساكر المتوفى سنة ٤٩٩ في باب ما ذكر في بناء المسجد واختيار بانيه موضعه على سائر المواضع، ناقلاً عن عبد الرحمن بن ابراهيم أنَّ الوليد بنى كل ما كان داخل حيطان المسجد، وزاد في سمك الحيطان، وبنى قبة المسجد، فلما استقلت وتمت، وقعت، فشق ذلك عليه، الى آخر ما جاء في قصة بناء المسجد وقبة النسر[1] .

وقال النعيمي (المتوفى سنة ٩٢٧) : ويشتمل هذا الجامع في وقتنا على تسعة ائمة، وثلاثة وسبعين متصدراً لإقراء القرآن، وعشرين سبعاً، واحدى عشرة حلقة للاشتغال بالعلم، والصرف عليها من مال المصالح، وثلاث حلق للاشتغال بالحديث . وذكر النعيمي ايضاً في تحفة الطالب وارشاد الدارس خلاصة تاريخ الجامع الأموي، وما عرض له من الحرائق والتجديد حتى عصره .

واما الأستاذ بدران (المتوفى سنة ١٣٤٦ هـ) فقد بسط الكلام على الجامع الأموي في كتابه منادمة الأطلال ومسامرة الخيال (ولما يطبع) ونقل عمن تقدمه من المؤرخين خلاصات في وصفه وتاريخه، وخرابه وتجديده، وقال : ثم في ايامنا (سنة ١٣١١) احترق الجامع، ولم يبق فيه شيء من الآثار القديمة، واعيد بناؤه على الحالة الحاضرة اليوم، جعله الله عامراً مدى الأيام اهـ .

واقول : إن العالم السيد علي الألوسي كان نظم قصيدة اثر حادثة الحريق سنة ١٣١١ هـ قبل تعميره وإعادته، وكتب اليَّ كتاباً من بغداد (مؤرخاً في ١٠ رجب سنة ١٣٣٣) بعد عودته من دمشق بصحبة علامة العراق ابن عمه السيد محمود شكري (رحمهما الله تعالى) يقول في ختامه : فرأيت ان أقدم اليكم صورتها (اي القصيدة) إذ يكون لها مساس لمن يشتغل بالتاريخ ومن ابياتها :

---

(١) انظر ج ١ ص ٢٠٣ من تاريخه طبع دمشق سنة ١٣٢٩ هـ .

الله من نوب الزمان فكم لها — من فاجعات أعظمت وقعاتها
بالجامع الأموي قف متفكراً — في حادث عم الورى بجهاتها
نار تطاير بالقلوب شرارها — وتصاعد الزفرات من زفراتها
يا جامعاً جمع المحاسن إذ غدا — للشام شامتها وعين حياتها
قد كنت مجتمع الفضائل والتقى — في المسلمين لدرسها وصلاتها
ولطالما قصدت اليك اولو النهى — تبغي الأسانيد العلا برواتها

ثم ختمها بهذا البيت الواعظ :

وكذا الزمانُ مسرّة ومساءة — هذي الحياة وهذه حالاتها

(محدثو دار الحديث الأشرفية وقبة النسر)

عرفت الشام من الصدر الأول بأنها بلد السنة ، فمسند الشاميين ـ أي الصحابة الذين نزلوا الشام ـ هو جزء كبير من مسند الإمام احمد المطبوع (١) ، ويجده المطالع في الجزء الرابع منه ، وبالأسانيد المتصلة بهؤلاء الشاميين وغيرهم من الصحابة الذين تفرقوا في الأمصار اخرج الأئمة الحفاظ احاديثهم كالبخاري (المتوفى سنة ٢٥٦) ومسلم (٢٦١) واصحاب السنن والمسانيد والمعاجم والجوامع ، وعنهم اخذ أئمة الرواية والدراية مدرسو دار الحديث الأشرفية بدمشق كابن الصلاح (المتوفى سنة ٦٤٣) وابن شامة (٦٦٥) والنواوي (٦٧٦) وابن الوكيل (٧١٦) وابن الزملكاني (٧٢٧) والحافظ المزي (٧٤٢) وعلم الدين البرزالي (٧٣٩) والحافظ الذهبي (٧٤٨) والتقي السبكي (٧٥٦) والحافظ ابن كثير (٧٧٤) وابن جماعة (٧٣٣) اولئك الذين كانوا من مفاخر الدنيا في عصورهم ، وهل ينسى دمشق قول التقي السبكي :

وفي دار الحديث لطيف معنى — الى بسط لها اصبو وآوي
لعلي ان امس بحر وجهي — مكاناً مسه قدم النواوي !

(١) طبع بمصر ومعه منتخب كنز العمال سنة ١٣١٣ هـ .

وروى بالسند عن هؤلاء الأئمة الحفاظ طائفة من محدثي قبة النسر الأعلام، ومن اكبر الأسر التي تسلسل فيها العلم في ديار الشام. وقد كان من شروط قبة النسر ان يقوم على درس الحديث فيها، اعلم علماء دمشق، فآل امرها بالاستحقاق والكفاءة إلى وارث علوم اولئك الأئمة خليفتهم وخاتمتهم شيخنا الشيخ بدر الدين الحسني المتوفى سنة ١٣٥٤ هـ ولم يأت بعده من يخالفه في علمه وعمله على ما سيأتي في ترجمته، رحم الله اولئك الأبرار، وعوض الأمة عنهم خيراً.

(الدخول في الموضوع)

بعد هذه المقدمات الموجزة نأثر عن العلامة البيطار ما أورده في تاريخه للقرن (الثالث عشر) من سلسلة المحدثين في جامع بني أمية تحت قبة النسر، ناقلاً نبذاً يسيرة من تراجم هؤلاء الأجلاء - علاوة على ما ذكره الأستاذ الجد عنهم - من تاريخ المحبي المتوفى سنة ١١١١ والمرادي المتوفى سنة ١٢٢٢، وقد تقدم ذكرهما ومن تاريخ الجد نفسه ايضاً جاعلاً في أعلا الصفحات ما قاله في حلية البشر (مختصراً)، مذيلاً بما لخصته من تراجمهم، قال في حلية البشر (ج ١ ص ١٥٣): ذكر المحبي في خلال ترجمة الامام المحاسني [1] - احد مدرسي هذه البقعة - أنّ هذا الدرس وظيفة حادثة بعد الخمسين والف، رتبها بهرام كَتْخُدا [2] والدة السلطان ابراهيم، وبنى السوق الجديد والخان قرب باب الجابية لأجلها، ثم قال في الحلية: ولا يتوهم ان ابتداء التدريس في هذا المحل من حين الوظيفة، لأن الشمس الميداني الآتي ذكره درس قبل ترتيب الكتخدا بنيف وأربعين سنة كما سنذكره مفصلاً إن شاء الله تعالى. وقد اشتهر بين الخاص والعام ان وظيفة هذا الدرس مشروطة لأعلم علماء الشام.

---

(٢) خلاصة الأثر ج ٣ ص ٤٠٨.

(٣) كلمة فارسية أي وكيل نفقتها.

ذكر اول من جلس للتحديث تحت قبة النسر بعد العصر

في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان

اولهم العلامة الشمس محمد الميداني [١] قال المحبي في أثناء ترجمته : لما مات الشمس الداودي [٢] سنة ست والف فقد الناس مجلسه للحديث ، فقامت الطلبة على الشمس الميداني بعقد مجلس في الحديث بعد موته بسنتين او اكثر ، فأقرأ في صحيح البخاري بعد صلاة العصر ، واختار ان يكون جلوسه تحت قبة النسر ،

(١) هو محمد بن محمد بن يوسف بن احمد بن محمد الملقب شمس الدين ، الحموي الأصل ، الدمشقي المولد ، الميداني ، الشافعي ، عالم الشام ومحدثها ، وصدر علمائها ، الحافظ المتقن . قال المحبي : وبلغ به سطوع الشأن الى مرتبة قل من يضاهيه فيها ، حتى ان الحكام كانوا لا يستطيعون الظلم خوفاً منه ، ويحترمونه اقوى احترام ، مع عدم تردده اليهم ، وقلة اكترائه بهم وحطه عليهم ، واكثر الناس من الأخذ عنه والقراءة عليه (ثم قال) واكثر الناس فيه من المراثي والتواريخ ، فمن ذلك تاريخ الأديب ابراهيم الأكرمي الصالحي ، وهو قوله :

شيخُ دمشق وشمسُ دينِ (م) الإله فيها قضى وماتا
فقلت واحسرتاه أرخ أشافعي الزمان ماتا ؟

وقال فيه أبوبكر العمري شيخ الأدب :

مغاني العلم قد درست وقد أقوت معالمها
فقل إن شئت أو أرخ دمشق مات عالمها .

(٢) محمد بن داود المنعوت شمس الدين بن صلاح الدين الداودي القدسي الدمشقي ، الشافعي المحدث الفقيه ، علم العلماء الأعلام ، والمفتي المدرس الهمام ، ... وكان يعظ يوم الأحد من كل جمعة في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان عن ظهر قلب ، وكان الوعاظ غيره يعظون الناس من الكراريس .

وكان الداودي يجلس تجاه المحراب الذي للشافعية بعد وفاة البدر الغزي ، واستمر الميداني الى ان توفي بالقولنج في وقت الضحى يوم الاثنين ثالث عشر ذي الحجة سنة ١٠٣٣ ثم قال : ومدة تدريسه على ما ذكر إما اربع او خمس وعشرون سنة ، لا سبع وعشرون كما وهم .

ثم تولاه بعده العلامة الإمام الشيخ نجم الدين محمد الغزي (١) .

واستمر الى ان توفي يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الآخرة سنة احدى وستين والف عن ثلاث وثمانين سنة وعشرة اشهر واربعة ايام ومن غريب ما اتفق له في درسه تحت القبة ان الشمس الراودي كان قد وصل في قراءته البخاري الى باب « كان ﷺ اذا صلى لا يكف شعراً ولا ثوباً » ، ودرس بعده الشمس الميداني من ذلك الباب الى باب « مناقب عمار بن ياسر » ، وتوفي ، ودرس من بعده النجم الغزي الى ان أكمله في ثلاث سنوات ، ثم افتتحه وختمه وأعاد قراءته

(١) محمد بن محمد بن محمد ، محدث الشام ومسندها ، الشيخ الامام نجم الدين ابو المكارم وابو السعود ، ابن بدر الدين رضي الدين الغزي العامري الدمشقي الشافعي ، شيخ الاسلام ، ملحق الاحفاد بالأجداد ، المتفرد بعلو الاسناد .

ترجم نفسه في كتابه بلغة الواجد ، في ترجمة والده البدر ، فقال : مولدي كما رأيته بخط شيخ الاسلام : يوم الأربعاء حادي عشر شعبان المكرم سنة ٩٧٧ (اه) وعدّ له الأمين المحبي نحو ثلاثين كتاباً من تآليفه ، اعظمها : (الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة) ثم قال : وجلس مكان الميداني تحت القبة في الجامع الأموي ، لإقراء صحيح البخاري في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان ، ورأس الرئاسة التامة ، ولم يبق من أقرانه الشافعية احد ، وهرعت اليه الناس والطلبة ، وعظم قدره وبعد صيته ، وكان جلوسه تحت قبة النسر سبعاً وعشرين سنة ، وهو قدر مدة الميداني ، وهو من غرائب الاتفاق اهـ (ص ٢٠٠ ج ٤ من خلاصة الأثر) .

وكانت مدة تدريسه سبعاً وعشرين سنة اهـ .

والظاهر أن الكتخدا المقدم ذكره رتبه في مدة النجم كما يعلم مما سلف والله أعلم .

ثم تولاه بعده ولده الفاضل الشيخ سعود الغزي [1]

وابتدأ من محل : انتهى اليه درس والده في صحيح البخاري واستمر الى أن توفي أواسط ذي القعدة سنة ١٠٧١ وكانت مدة قراءته عشر سنوات .

ثم طلب التدريس العالم الجليل الشيخ محمد الاسطواني [2] من قاضي القضاة واجتمع

(١) سعود بن محمد بن محمد بن محمد الغزي العامري ، الدمشقي الشافعي ، مفتي الشافعية بدمشق ، وابن مفتيها ، وابن ابن مفتيها ، رؤساء العلم بالشام وكبراؤه ، وشهرة بيتهم لا تحتاج الى بيان ، وكان سعودي هذا فاضلاً وجيهاً رقيق الطبع ، اخذ الفقه والحديث عن جده لأمه الشهاب احمد العيثاوي ، وعن والده النجم ، وسافر في خدمته الى الحج في سنة ١٠١٤ والى الروم سنة ٣٣ ولما حج والده في سنة ٤٧ اقامه مقامه في خدمة فتوى الشافعية فباشرها ، وظهرت كفايته ، وحمدت سيرته ، ثم مات ابوه في سنة ٦٠ ، فاستقل بها ، وأعطي عنه المدرسة الشامية البرانية ، ودرس الحديث تحت قبة النسر ، من جامع بني امية ، واستمر مدة يفتي ويدرس وكانت ولادته سنة ٩٩٨ — ١٠٧١ .

(٢) محمد بن احمد بن محمد بن حسين بن سليمان المعروف بالأسطواني الدمشقي الحنفي ، الفقيه الواعظ الاخباري ، كان احد اعاجيب الدنيا في حلاوة المنطق ، وحسن التأدية ، ومعرفة أساليب الكلام ، لا يمل حديثه بحال ، وكلما طال طاب ، كان في الأصل على مذهب اسلافه حنبلياً ، ثم انتقل الى مذهب الشافعي ، ثم تحنف وصار اماماً بجامع السلطان احمد ، ثم واعظاً بجامع السلطان ابي الفتح محمد خان (في دار الخلافة العثمانية) واشتهر بحسن الوعظ ولطافة التعبير ، ثم امر بالمسير الى دمشق فوردها في سنة ١٠٦٧ واقام بها ولزم الدرس تحت قبة النسر بالجامع الأموي بين العشاءين وبعد الظهر ، ونشر علم القراءات والمواعظ ، وأقرأ شرح الهمزية ، —

هو والشيخ محمد تاج الدين المحاسني في مجلس القاضي ، وكان الآخر كذلك طالباً لها، فوقع بينهما مقاولة ومخاصمة وقيل إنهما تشاتما بألفاظ قبيحة .

ثم وجهت البقعة للمحاسني (١) ومرض الأسطواني من يومه ، وبعد اسبوعين

— ورغب الناس في حضور دروسه من علماء وعوام لحسن تقريره ، وعذوبة تفهيمه ، ولطافة مناسباته ، قال المحبي في ترجمته ج ٤ ص ٣٨٧ : وسمعت والدي رحمه الله تعالى يقول : إن درسه كان يرحل اليه من بلد الى بلد ، وانه قرر أشياء لم يسمعها من اهالي دمشق احد ، وفيه يقول الأمير المنجكي :

إن سمع العقول يصغي لقول الأسطواني والقلوب لديه
جمع الفضل والمكارم حتى كل حسنى تعزى وتنمى اليه
رجل جاء في الزمان أخيراً يحسد الأول الأخير عليه

وكان بدمشق بعض مناكر ، فتقيد بإزالتها او تخفيفها ، ومن جملتها لبس السواد خلف الميت ، ورفع الصوت بالولولة .

(١) هو محمد بن تاج الدين بن احمد المحاسني الدمشقي الحنفي الخطيب بجامع دمشق، كان فاضلاً أديباً جامعاً لمحاسن الأخلاق ، حسن الصوت ، نشأ في نعمة وافرة ، وكان ابوه ذا ثروة عظيمة ، فكان يصله بكل ما يحتاج اليه من مال ومتاع (قال المحبي) ولما توفي الشيخ سعودي الغزي ، وُجّه إليه درس الحديث تحت قبة النسر من جامع دمشق كما أسلفته في ترجمة محمد بن احمد الاسطواني قريباً ، وانتفع به خلق من علماء دمشق ، وله شعر حسن مطبوع ، فمنه قوله من قصيدة :

يا سقاها مرابعاً للتلاقي كل سارٍ من الحيا غيداق

ومنها : يا حداة المطيّ رفقاً بقلبي إن طعم الفراق مر المذاق
ليت شعري متى تعود الليالي ماأتاحت من صفو عيش التلاقي

ومن جيد شعره قوله :

وتنفسي الصعداء ليس شكاية مما قضته سوابق الأقدار —

توفي قبل الظهر من يوم الأربعاء (٢٦ المحرم سنة ١٠٧٢) ودفن بمقبرة باب الفراديس . (قال المحبي) : ولم تطل مدة المحاسني : اي لأنه درس شهراً واحداً ، ثم مات في غرة شعبان سنة ١٠٧٢ ، ودفن بمقبرة باب الفراديس بالقرب من جده الأمير الحسن البوريني .

ثم وجهت البقعة للأستاذ الكبير محمد بن يحيى الخباز البصير المعروف بالبطنيني (١) ودرس الى ان توفي سنة ١٠٧٥ ، وكانت مدة تدريسه ثلاث سنين .

ثم وجهت البقعة للإمام الجليل الحنفي الشيخ علاء الدين الحصكفي (٢) ودرس

— لكن بقلبي جملة تفصيلها صعب لدى العقلاء والأحرار
فجعلت موضع كل ذلك أنة ضمنت مرادي من عطاء الباري

ومن شعر المترجم قوله :

أودعكم وأودعكم جناني وأنثر أدمعي مثل الجمان
ولو نعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الزمان

(١) محمد بن يحيى بن أحمد بن علي الخباز المعروف بالبطنيني ، الدمشقي الشافعي ، المحدث الفقيه الورع الصالح الناسك ، كان غاية في الورع ذا صلابة في دينه ، ينكر المنكر ولا يخاف في الله لومة لائم ، وكان متواضعاً خلوقاً ، عليه سكينة ووقار . وكان في بداية أمره خبازاً بدمشق ، فارتحل الى مصر ، وجاور بجامع الأزهر سنين ، وفتح الله تعالى عليه بعد رجوعه ، وكان يدرس في فنون ، ويملي من حفظه ما يطالعه بحسن تقرير ، ثم عرض له عمى فزاد حفظه واشتهر ، وانتفع به جماعة من الفضلاء ، وله تآليف منها كتابه : فتح رب البرية بالجواب عن اسئلة الزيدية ، ثم درس تحت قبة النسر البخاي بعد موت الشيخ محمد المحاسني الخطيب ، وانتهت اليه الرئاسة عند الشافعية والتحديث . وكانت وفاته في سنة ١٠٧٥ . والبطنيني نسبة الى قرية من قرى دمشق .

(٢) محمد بن علي بن محمد الملقب علاء الدين ، الحصني الأصل الدمشقي ، المعروف بالحصكفي ، مفتي الحنفية بدمشق ، وصاحب التصانيف الفائقة في الفقه وغيره ، منها

مدة ، ثم سعى بعض حساده في عزله ، وأرسلوا في ذلك كتباً الى جانب الدولة ، فاستقر ذلك في عقول أصحاب الحل والعقد فعزل ·

ثم وجهت البقعة للشمس محمد بن محمد العيثاوي (١) · قال المحبي : وبقي العلاء — شرح تنوير الابصار المسمى بالدر المختار ، وله شرح ملتقى الابحر ، وشرح المنار في الأصول وغيرها · وكان عالماً محدثاً فقيهاً نحوياً ، كثير الحفظ والمرويات ، طلق اللسان ، فصيح العبارة ، جيد التقرير والتحرير · قال المحبي : إلا أن علمه اكثر من عقله (ج ٤ ص ٦٣) ولد بدمشق وقرأ على والده ، وعلى الإمام محمد المحاسني خطيب دمشق المقدم ذكره ، ولازمه وانتفع به ، وبلغت محبته له الى أن صيره معيد درسه في البخاري (ثم قال المحبي) : ولما توفي الشيخ محمد بن يحيى الخباز الشهير بالبطنيني ، انحلت عنه بقعة التحديث بجامع دمشق فوجهت اليه ، ودرس بها ، وعلا صيته ، واشتهر أمره ، وبقي يفيد ويدرس الى ان مات سنة ١٠٨٨ ·

(١) محمد بن احمد العيثاوي الدمشقي ، كان قوالاً بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ومما اتفق له أنه دخل مرة على محافظ الشام في مصلحة متعلقة بالخانقاه السمیساطية وطعامها ، فتشاغل الباشا عنه بأوراق ، فمسك الباشا من طوقه وجذبه ، وقال له : انظر في امر هؤلاء الفقراء ، واقض مصالحهم ، فالتفت اليه وقضى له ما جاء فيه · ودخل مرة أخرى على حاكم آخر بسبب معاليم الجامع الأموي ، وكان سنان باشا المتولي عليه كتب بها دفتراً وأراد قطع شيء منها ، فوجد الباشا ينظر في دفتر المتولي ويتأمله ، فجذبه أيضاً من طوقه وقال له : لا تلتفت إلى ما كتبه هذا الظالم — وكان حاضراً في المجلس — وانظر الى عباد الله بنور الله ، فعمل على مراده وترك ما أراد المتولي ، وله من هذا القبيل أشياء أخر ، وله تحريرات على التفسير وغيره ، لكنها لم تجمع وذهبت · وولي آخر أمره تدريس البخاري في الأشهر الثلاثة تحت قبة النسر بجامع بني أمية ، ودرس ، وكان يقرر تقريراً جيداً ، وكانت وفاته سنة ١٠٨٠ هـ ·

على هذا نحو سنة، ثم سافر الى الروم، واجتمع بشيخ الاسلام يحيى المنقاري [١] وشكى اليه حاله. فأعاد عليه بقعة التحديث، وبقي الى أن توفي سنة ١٠٨٨ هـ

ثم وجهت البقعة عن الشيخ علاء الدين الحصكفي المفتي، الى الشيخ يونس المصري [٢] سنة ٨٩، فدرس بها الى حين وفاته، وكانت وفاة الشيخ يونس سنة ١١٢٠ هـ

(١) يحيى بن عمر المنقاري الرومي شيخ الاسلام، صاحب التقرير والتحرير، اخذ بالروم فنون العلم عن أكابر علمائها، ودرّس بمدارس قسطنطينية، وولي المناصب العلية، منها قضاء مصر، وليها في سنة ١٠٦٤، وأعيد اليها مرة ثانية، وعقد بها درساً بمجلس الحكم في تفسير البيضاوي، وحضره أكابر علمائها، وأذعنوا له بالتحقيق الذي ليس له فيه مساوي. وألّف تآليف عديدة في فنون شتى (قال المحبي): وانتهت اليه الرئاسة في عصره بالعلوم، وحظي حظوة لم يحظها احد مثله عند ملك الروم، وكانت وفاته سنة ١٠٨٨ ودفن باسكدار في مكان عينه في وصيته، وأوصى أن يعمر عنده مدرسة، فنفذ ابنه وصيته بعد موته، رحمه الله تعالى

(٢) ابن أحمد المحلي الأزهري الكفراوي الشافعي، نزيل دمشق ومدرس الحديث بها، (قال المرادي): ترجمه الشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي العامري في ثبته المسمى لطائف المنة، فقال: ولد كما أخبرنا به من لفظه في ذي الحجة سنة ١٠٢٩ بالمحلة الكبرى من اقليم مصر، ونشأ بها، وأخذ علم التفسير والحديث والفقه عن جماعة من علماء بلده، ثم ارتحل المترجم الى مصر، وأقبل على الاشتغال بالعلوم، وحضور دروس علماء الجامع الأزهر، ثم ارتحل الى دمشق سنة ١٠٧٠. وأخذ عن جماعة من علمائها.

وولي بدمشق تدريس بقعة الحديث، بالجامع الشريف الأموي [تحت قبته] عن الشيخ علاء الدين الحصكفي المفتي، سنة ٨٩ فدرس بها الى حين موته. وكانت وفاته في ذي الحجة سنة ١١٢٠ هـ.

وكانت مدة تدريسه ثلاثاً وثلاثين سنة ، ما عدا سنتين درس بهما الكاملي (١) . وأما الكاملي فانه توفي سنة ١١٣١ كما في تاريخ المرادي ثم وجهت البقعة للعلامة الشهير الشيخ اسماعيل العجلوني (٢) .

(١) هو محمد بن علي بن محمد المعروف بالكاملي الشافعي الدمشقي ، كان فقيهاً واعظاً بركة الشام ، علامة رحلة محققا ، وسيما منورا ، عليه أبهة العلم ورونقه ، وكان خلقه سويا ، وخلقه رضيا ، وشكله بهيا ، ودروسه من محاسن الدروس ، أخذ عنه الكثير من الأطراف والبلاد . ولد بدمشق سنة ١٠٤٤ وحضر دروس المحدث النجم الغزي ولازمه ، وكانت وفاته سنة ١١٣١ رحمه الله تعالى .

(٢) اسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني الشهير بالجراحي الشافعي ، العجلوني المولد ، الدمشقي المنشأ والوفاة ، الشيخ الإمام ، الحجة الرحلة ، العمدة الورع . ولد بعجلون سنة ١٠٨٧ تقريباً ، وحفظ القرآن في بلده ، ثم ارتحل الى دمشق لطلب العلم سنة ١١٠٠ هـ واشتغل على جماعة أجلاء بالفقه والحديث والتفسير والعربية . قال المرادي : ومشايخه كثيرون ، والكتب التي قرأها لا تعد لكثرتها ، وقد الف ثبتاً سماه «حلية اهل الفضل والكمال ، باتصال الأسانيد بكمل الرجال» وترجم مشايخه به ، وعد المؤرخ المرادي من أجلائهم قريباً من ثلاثين (ثم قال) : وارتحل الى الروم في سنة ١١١٩ هـ فلما كان بها انحل تدريس قبة النسر بالجامع الأموي ، عن شيخه الشيخ يونس المصري بموته ، فأخذه صاحب الترجمة ، وجاء به الى دمشق ، الى آخر ما جاء في (حلية البشر) أخذاً عن (سلك الدرر) . «وفي السلك» : وألف المؤلفات الباهرة المفيدة ، منها (كشف الخفاء ومزيل الالباس ، عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس) (وهو مطبوع بمصر) وعد له عشرة تآليف كاملة وسبعة لم تكمل ، وجلها في التفسير والحديث والتاريخ (ثم قال) : وكان صاحب الترجمة حليماً سليم الصدر ، سالماً من الغش —

قال المرادي : وذلك أنه ارتحل الى الروم سنة ١١١٩ هـ فلما كان بها انحل تدريس البقعة عن شيخه الشيخ يونس المصري بموته ، فأخذه هو وجاء به الى دمشق ، وكان والي دمشق اذ ذاك الوزير ، يوسف باشا القبطان ، ومدة اقامته منذ ابتدأ سنة ٢١ إلى أن مات ـ احدى واربعون سنة ، وكانت وفاته بدمشق في المحرم سنة ١١٦٢ هـ .

ثم وجه تدريس البقعة للعلامة الشيخ صالح الجينيني الحنفي [1] فدرّس الى أن مات وذلك سنة ١١٧٠ وكانت مدة تدريسه تسع سنين .

(يتبع) محمد بهجة البيطار

— والمقت ، صابراً على الفاقة والفقر ، وملازماً للعبادات والتهجد، والاشتغال بالدروس العامة والخاصة ، كافاً لسانه عما لا يعنيه ، مع وجاهة نيرة (المرادي) : ترجمه بقوله : والجراحي : نسبة الى أبي عبيدة بن الجراح ، أحد الصحابة المبشرين بالجنة .

(١) ابن ابراهيم بن سليمان بن عبد العزيز الحنفي ، الجينيني الأصل ، الدمشقي المولد ، النعمان الثاني ، شيخ الحديث ، العمدة الرحلة ، ولد بدمشق سنة ١٠٩٤ ونشأ بها ، وأخذ عن جماعة كثيرين ، وشرع في القاء الدروس بالجامع الأموي وغيره ، وتزاحمت عليه الطلاب وكثر نفعه . ولما توفي الشيخ اسماعيل العجلوني مدرس الحديث تحت (قبة النسر) في الجامع الأموي ، وجه التدريس المذكور عليه ، واستقام به إلى أن مات .

« كتاب البرهان في وجوه البيان »

تصحيح خطأ علمي ، وتحقيق شخصية كتاب ، وردّ اعتبار لمؤلف طغى على اسمه الزمان .

كتاب « البرهان في وجوه البيان » لأبي الحسين إسحق بن ابراهيم بن سليمان ابن وهب الكاتب ، طبع جزء منه قدر ثلثه باسم « نقد النثر » حرره وأخرجه الدكتور طه حسين والأستاذ عبد الحميد العبادي منسوباً إلى أبي الفرج قدامة ابن جعفر الكاتب البغدادي المتوفى سنة ٣٣٧ هـ . وقد اعتمد مخرجا « نقد النثر » على مخطوطة بمكتبة الإسكوريال رقم ٢٤٣ من فهرس درينبورغ .

وقد عثرنا على مخطوطة لهذا الكتاب بمكتبة تشستربيتي رقم G 767 تحت عنوان « كتاب البرهان في وجوه البيان » وعند المقابلة بينها وبين كتاب « نقد النثر » المطبوع وجدناهما يتفقان في القدر المطبوع وتزيد المخطوطة التي بأيدينا على المطبوعة بمقدار ثلثي الكتاب تقريباً . ولم نشك في أن هذا القدر الزائد إنما هو جزء أصلي من الكتاب قد سقط منه في المخطوطة الإسكوريالية وذلك أن المؤلف قد بنى كتابه على اربعة وجوه للبيان :

البيان الأول الاعتبار ، البيان الثاني الاعتقاد ، البيان الثالث العبارة ، البيان الرابع الكتاب . والبيان الرابع (الذي هو الكتاب) غير موجود في النسخة المطبوعة ، وقد علل محقق هذه النسخة المبتورة هذا النقص بادعائه أن المؤلف قد ضمن الباب الثالث (وهو العبارة) الكلام على الوجه الرابع وهو الكتاب . وجعل بهذه الدعوى الكتاب كاملاً بذاته ، وهي دعوى قد فرضها المحقق على الكتاب فرضاً وجزم بها من غير فحص له ، فانه لو كان قد فحص

الجزء الذي بيده من الكتاب لرأى أن المؤلف قد نبه في أثناء الكتاب على أشياء سيذكرها بعد، ومع ذلك لم يأت لما ذكر. فمن ذلك قول المؤلف (صفحة ١٨ من طبعة دار الكتب). «وأما الحديث فهو ما يجري بين الناس في مخاطبتهم ومناقلاتهم ومجالسهم وله وجوه كثيرة فمنها الجد والهزل والسخف والجزل، والحسن والقبيح والملحون والفصيح، والخطأ والصواب والصدق والكذب والنافع والضار والحق والباطل والناقص والتام والمردود والمقبول والمهم والفضول والبليغ والعي»، ثم جاء الكلام بعد ذلك عن الجد والهزل والسخيف والجزل والحسن والقبيح والملحون والفصيح والخطأ والصواب، ولكن القول في الخطأ والصواب لم يتم كما أن القول في الصدق والكذب والوجوه الأخرى الباقية لم يأت قط. ومن أمثلة ذلك أيضاً ما جاء في باب تأليف العبارة (ص ٤٤ — ٤٥ من طبعة دار الكتب) «وقد ذكر الخليل وغيره من أوزان الشعر وقوافيه ما يغني من نظر فيها .... إلا أنا نذكر جملة من ذلك في باب استخراج المعمّى تدعو الضرورة إلى ذكرها فيه إن شاء الله» وليس في نقد النثر كما نشر أي ذكر أو اشارة الى باب المعمّى وذكر العروض والقافية. ومن أمثلة ذلك ايضاً أنه جاء في آخر النسخة المطبوعة هذه العبارة «وأما مراتب القول ومراتب المستمعين له فقد تقدم القول فيه وبالله التوفيق» واذا تصفحنا كل ما جاء في النسخة المطبوعة لم نجد ذكراً أو اشارة «لمراتب القول» ولا «لمراتب المستمعين له» على الحقيقة. وبهذا يظهر أن المخطوطة الاسكوريالية والكتاب كما طبع ناقصان نقصاً كبيراً، وان محقق الكتاب لم ينتبه الى هذا النقص الواضح، أو لعله أغمض عينيه عن هذا النقص، وتلمس في بعض الأحيان تعللات لا تقوم وفرضها على الكتاب، بدليل أننا نجد كل هذا المفقود قد جاء بالنسخة المخطوطة التي بأيدينا، فقد جاء فيها ذكر البيان الرابع وهو الكتاب واستغرق من أصل الكتاب جزءاً كبيراً أصلياً، كما جاء فيها الكلام على باب المعمى وذكر العروض

والقافية بتفصيل كامل واف . وكذلك جاء فيها ما بقي من وجوه الحديث وجهاً وجهاً وكذلك مراتب القول ومراتب المستمعين له مرتبةً مرتبةً . فكانت مخطوطتنا بهذا التحقيق هي النسخة الكاملة للكتاب . ويظهر أن مخطوطة الاسكوريال كانت ناقصة أو نسخت من أخرى ناقصة فزاد كاتبها ما يشعر بالتمام وهو قوله « وقد تقدم القول فيه وبالله التوفيق » وهي عادة معروفة عند الوراقين كما حصل مثل ذلك في كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري مثلاً .

وأهمية مخطوطتنا لا تنحصر في أنها النص الكامل للكتاب كما كتبه مؤلفه (اي أكثر من ضعف النص المطبوع) بل إن لها أهمية اخرى اكبر من ذلك ، وهي معرفة مؤلف هذا الكتاب على التحقيق . فقد ذكر المؤلف في مخطوطتنا اسمه كاملاً في أثناء كتابه على عادة المؤلفين المتقدمين فقال في اول البيان الرابع : وهو جزء مفقود من النسخة الاسكوريالية « قال ابو الحسين اسحق بن ابراهيم ابن سليمان بن وهب الكاتب قد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا هذا بنعمة الله ... » وهو تصريح يبطل نسبة الكتاب الى قدامة بن جعفر ويضع حداً فاصلاً للنزاع في مسألة مؤلف الكتاب ، كما ان مخطوطتنا زيادة على هذا تحمل الاسم الصحيح للكتاب وهو كتاب « البرهان في وجوه البيان » .

وإنه وان كنا لم نعثر على اسم هذا الكتاب او اسم مؤلفه مذكوراً في اي مرجع من المراجع المعروفة عندنا فقد وصلنا الى أن هذا الكتاب ليس لقدامة وتحققنا من نسبته لأبي الحسين ، وليس ذلك فقط من أجل أن المؤلف قد ذكر اسمه في اثناء كتابه بل من اجل ادلة اخرى مضمومة الى هذا الدليل :

أولاً — يذكر مؤلف الكتاب في أثناء كتابه اربعة كتب له وهي : الايضاح ، أسرار القرآن ، التعبد ، الحجة - وهذه الكتب الأربعة لم يذكرها احد من

مؤرخي قدامة في فهرس كتبه او ما يشبهها في الاسم او الموضوع ، كما أنهم لم يذكروا له كتاباً باسم «البرهان» «أو «نقد النثر» .

ثانياً — وقد نسب الى قدامة كتاب في الكتابة ولكن هذا الكتاب لم يسمه قدامة باسم البرهان او نقد النثر وإنما سماه «كتاب الخراج وصناعة الكتابة» وهو غير الكتاب الذي بأيدينا فان كتاب قدامة هذا أو على الأصح النصف الثاني منه معروف وتوجد مخطوطة منه بمكتبة كوبرلي بالأستانة . وقد استنسخ شارل شيفر هذا المجلد الباقي من كتاب قدامة ، وهذه النسخة محفوظة الآن بدار الكتب الوطنية بباريس . وقد استخرج دي غويه نبذاً منها وطبعها تحت عنوان «كتاب الخراج» وهذه النبذ هي الأبواب الثاني والثالث والرابع والخامس والحادي عشر من المنزلة الخامسة والبابان السادس والسابع من المنزلة السادسة . واسم هذا الكتاب في هاتين النسختين (الأصلية والمنقولة) «الخراج وصناعة الكتابة» ، وقد وصف ياقوت هذا الكتاب في ترجمة قدامة بقوله «وله كتاب في الخراج وصناعة الكتابة» وله كتاب في الخراج رتبه مراتب وأتى فيه بكل ما يحتاج الكاتب اليه وكان على تسع منازل وكان ثمانية فأضاف اليه تاسعاً «ويقول المطرزي في كتاب الايضاح شرح مقامات الحريري (مخطوطة المتحف البريطاني) «وله تصانيف كثيرة منها كتاب الالفاظ وكتاب نقد الشعر وهو حسن للغاية طالعته ونقلت منه أشياء وقيل هو لوالده جعفر . ومنها كتاب صناعة الكتابة ظفرت به وعثرت فيه على ضوالّ منشودة وهو كتاب يشتمل على سبع منازل وكل منزلة منها تحتوي على ابواب مختلفة ضمنها خصائص الكتاب والبلغاء» وقال ابن الجوزي في المنتظم في حوادث سنة ٣٣٧ بمناسبة موت قدامة ما نصه : «وله كتاب حسن في الخراج وصناعة الكتابة» .

ويتضح من كل ذلك أنه كان لقدامة كتاب على منوال كتابنا وأن هذا الكتاب يسمى «الخراج وصناعة الكتابة» وانه كان على تسع منازل أو سبع

منازل وفي كل منزلة ابواب . وهذا الوصف لا يتفق مع تبويب كتاب « البرهان » أو « نقد النثر » إذ أنه على اربعة ابواب تناولت كل ما قصد المؤلف كتابته عن الخراج وصناعة الكتابة وفضلاً عن هذا فنحن إذا قارنا الجزء المطبوع من كتاب قدامة الخاص بالخراج ألفيناه مختلفاً عن القسم الخاص بالخراج في كتابنا « البرهان » والنتيجة البديهية هي أن قدامة وابا الحسين كتب كل منهما كتاباً في الموضوع ولكن كلاً منهما سلك مسلكه الخاص في علاج الموضوع .

ثالثاً — وقد رجح دي غويه في مقدمته الفرنسية لكتاب الخراج المستخرج من كتاب قدامة في صناعة الكتابة أن قدامة ألف كتابه هذا بعد سنة ٣١٦ بقليل ، وذلك أن قدامة تحدث في أثناء كتابه عن مليح الأرمني على أنه معاصر له ، ويشير أيضاً الى إغارة أسفار الديلمي على قزوين في سنة ٣١٦ والى الشنائع التي جرت على يد مرداويج واتباعه في السنين التالية كحوادث قريبة الوقوع . ونحن نعلم مما يقوله ابو حيان التوحيدي في الامتاع والمؤانسة (ج٣ ص١٤٥ ـ ١٤٦) ان قدامة عرض كتابه هذا في سنة ٣٢٠ على علي بن عيسى حيث يقول « وما رأيت أحداً تناهى في وصف النثر بجميع ما فيه وعليه غير قدامة بن جعفر في المنزلة الثالثة من كتابه . قال لنا علي بن عيسى الوزير عرض عليّ قدامة كتابه سنة ٣٢٠ واختبرته فوجدته قد بالغ وأحسن وتفرّد في وصف فنون البلاغة في المنزلة الثالثة بما لم يشاركه فيه احد من طريق اللفظ والمعنى » . فهذا الكتاب قد تم الفراغ من تأليفه قبل سنة ٣٢٠ قطعاً . أما كتاب « البرهان » فلم يكن موجوداً في هذا الوقت ولنا على هذا ثلاثة أدلة :

ا — يقول ابو الحسين اسحق بن ابراهيم في البرهان « وقد رأيت شيخنا علي ابن عيسى رحمه الله يكاتب ام المقتدر » واشارة أبي الحسين في كتابه الى وفاة علي بن عيسى تدل قطعاً على ان علي بن عيسى لم يعش حتى يرى هذا الكتاب

وقد مات علي بن عيسى سنة ٣٣٥ وهو امر يدل على ان ابا الحسين الف كتابه بعد سنة ٣٣٥ .

ب — ويقول ابو الحسين ايضاً « ... ومنه ترجمة لآل مقلة ولأبي الحسن ابن خلف بن طياب رحمه الله » وقد كان ابو الحسن بن خلف هذا حياً الى سنة ٣٣٠ (راجع أخبار الراضي والمرتضى للصولي ص ٢٣٠ — ٢٣١) .

ج — ويقول ابو الحسين في « البرهان » أيضاً مشيراً الى مقتل المقتدر على يد غلامه مؤنس : « وكان نتيجة هذا الإهمال وثمرة هذه الأفعال أن خرج السلطان في جيشه ، على أحسن زينة لقتال غلام من غلمانه فقتل وحده من بين اهل عسكره وتفرق عنه الباقون ورجعوا موفورين » وقد حدث هذا في سنة ٣٢٠ (راجع المنتظم ج ٦ ص ٢٤٣) وابو الحسين يقص هذه الحادثة على أنها قصة معروفة للعبرة وضرب المثل فيا يصيب ولاة الأمر عند إهمالهم ، ولا بد ان تكون قد مرت عليها سنوات اصبحت بها مثالاً للعظة وضرب الأمثال ، فكتابه لا بد ان يكون قد أُلّف بعد هذا التاريخ .

والنتيجة التي نجمعها من كل ذلك هي أن قدامة ألف كتابه قبل سنة ٣٢٠ وأن ابا الحسين ألف كتابه بعد سنة ٣٣٥ حسب ما جاء من نصوص تاريخية في ثنايا الكتابين .

رابعاً — من الكتب المعروفة على وجه التحقيق لقدامة كتابه « نقد الشعر » وقد عالج فيه الشعر وفنونه بوجه خاص . وقد عالج صاحب « البرهان » في كتابه الشعر أيضاً ، فلو انه كان لقدامة لما احتاج الى معالجة هذه الموضوعات مرة اخرى بمثل هذا البيان الكافي ، وفضلاً عن ذلك فان معالجة الشعر في « البرهان » تختلف اختلافاً جوهرياً عنها في كتاب « نقد الشعر » من الناحية الفنية والموضوعية وما تصيّده الاستاذ العبادي في تحقيقه من مقارنات إنما هو مجرد افتراضات لا تقوم امام الفحص . ومما يستحق أن نذكره من المقارنات أن

قدامة في « نقد الشعر » حينما يسوق أقوال المتقدمين من الفلاسفة بذكرها مجملاً : « فلاسفة اليونان » في حين أن صاحب « البرهان » يذكرهم بأسمائهم كأن يقول « قال ارسطوطاليس ... » .

خامساً — وقد كان مؤلف « البرهان » فقيهاً شيعياً من غير شك . ودليل ذلك منثور في أثناء الكتاب . فمن ذلك اهتمامه بنقل أقوال أئمة الشيعة وذكره لهم دائماً عند كل استشهاد بما يشعر بتشيعه كقوله « الأئمة عليهم السلام .... الأئمة الصادقين ... الأئمة المستودعين علم القرآن ... روي عن الصادق عليه السلام ... » واهتمامه بنقل فقه الشيعة كاملاً في تعرضه لأقوال الفقهاء ، وترجيحه لآرائهم في بعض الأحيان ظاهرة تدل على تمكنه في نحلته الشيعية . وقدامة بن جعفر لم يكن من الشيعة ولا من فقهائهم كما هو معروف وكما يدل عليه ما كتبه عن الخراج وإنما كان نصرانياً في الأصل وأسلم على يد الخليفة المكتفي بالله ، وإذا أسلم نصراني على يد خليفة عباسي — وذلك إنما يكون عادة طمعاً في مناصب الدولة — فمن المستبعد ان يصير علوياً متشيعاً مرة واحدة . وما أورده الأستاذ العبادي في توجيه مسحة التشيع الظاهرة في الكتاب من أن قدامة قد جارى بني بويه بعد دخولهم بغداد سنة ٣٣٤ يرده النقد التاريخي وقد كتب قدامة كتابه في الكتابة قبل هذا التاريخ بأربعة عشر عاماً على الأقل . ومات بعد دخولهم بغداد بوقت قصير .

سادساً — وصاحب كتاب « البرهان » يصر في كل مناسبة على ذكر الرجال المشهورين من آل وهب معظماً لهم فخوراً بهم كأن يقول « وقد كان شيخنا ابو علي الحسن بن وهب رحمه الله ... » « وقال ابو أيوب رضي الله عنه ... » « وقد ذكر ابو أيوب رحمه الله رجلاً مشهوراً بالبلاغة ... ولو لم نتقدم من ذكر البلاغة الا بهذا القول من شيخنا رحمه الله لكفى وأجزى » . وابو أيوب هذا هو سليمان بن وهب عميد آل وهب وجد المؤلف .

سابقاً — وهناك أمر يجب التنبيه اليه وهو ان البطليوسي في كتابه « الاقتضاب في شرح أدب الكتاب » قد كتب فصولاً طويلة بنى عليها مقدمته في شرح الكتاب (صفحة ٦٦ — ٩٠) وهذه الفصول تتفق في لفظها في معظم الأحيان تمام الاتفاق مع بعض فصول كتاب البرهان ، وفي بعض الأحيان تتفق معها مع تعديل طفيف ، ولكن البطليوسي لم ينسبها الى أبي الحسين ولا إلى قدامة وانما أشعر بنسبتها الى علي بن مقلة (المتوفى سنة ٣٢٧) ، ولا يمكن أن يقال إن هذا الكتاب « البرهان » هو لابن مقلة ، وان البطليوسي نقل عنه بعد ان اثبتنا أن « البرهان » أُلف بعد سنة ٣٣٥ وبعد وفاة ابن مقلة بنحو ثمان سنين كما أن شيوخ صاحب البرهان كما جاء ذكرهم « بالبرهان » لم يكونوا شيوخاً لعلي بن مقلة ولم تكن له بهم صلة قريبة ولم يكن علي بن مقلة شيعياً . والقدر المتيقن ان البطليوسي لم يحتسب على أي حال قدامة بن جعفر مؤلفاً للكتاب الذي نقل عنه على فرض أنه نقل فصوله من كتابنا هذا . ومن المحتمل ان يكون « البرهان » قد نسب مرة الى علي بن مقلة كما نسب الى قدامة بن جعفر وجهل امر صاحبه ومن المحتمل ايضاً ان يكون البطليوسي ومؤلف كتابنا هذا من قبل ، كلاهما قد نقل نقولاً من كتاب لابن مقلة في هذا الموضوع ، وهو أمر لم تساعدنا الظروف على تحقيقه .

وجملة القول ان مؤلف كتاب البرهان يجب أن تتوفر فيه من الشرائط : (١) كونه شيعياً . (٢) ان تجمعه اواصر القربى بآل وهب . (٣) أن يكون قد ألفه بعد سنة ٣٣٥ . (٤) ألا تزيد ابواب كتابه على اربعة ابواب كاملة وهذه الأحوال لا تجتمع في قدامة بن جعفر ، ولكنها يمكن ان تجتمع في مؤلف آخر وفي يدنا مخطوطة قديمة كاملة للكتاب ذكر المؤلف فيها اسمه في متن الكتاب ، هكذا « أبو الحسين اسحق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب » فنحن على أن ننسب الكتاب اليه الى أن يظهر لنا خلاف ذلك . ولم نجد ذكراً

لهذا الكاتب أو لمؤلفاته في المراجع والمظان المعروفة لنا . ومن غريب الأمر أن هذا الكتاب ينسب الى قدامة بن جعفر في طرة المخطوطة الاسكوريالية وكذلك في طرة المخطوطة التي بايدينا مع ورود اسم المؤلف في أثناء الكتاب وهو امر غفل عنه الناسخ ، وتفسير هذا التناقض يسير ، فان الوراقين كانوا يعرفون قيمة قدامة الأدبية ويعرفون شهرة كتابه في الأدب فلا يستبعد عليهم أن يضعوا اسمه على هذا الكتاب لتسهيل بيعه وتداوله ، وهذه طريقة معروفة عند النساخ والوراقين لا تخفى على المحققين ، ونذكر مثلاً قريباً لذلك كتاب «أسرار البلاغة» نشر بمصر وجاء في خاتمة الكتاب ان مؤلفه اتمه في سنة ٨٠٥ ومع ذلك نسب في طرة الكتاب لبهاء الدين العاملي المتوفى سنه ١٠٠٣ وعرف باسمه لدى الوراقين ، وفي كتب الفهارس ، وغير ذلك كثير .

وبعد فإنصافاً للعلم والعلماء ، وإنصافاً لأنفسنا كذلك لا يسعنا إلا أن ننوه في ختام هذه الكلمة بأن عالمين جليلين كانا قد أظهرا الشك في نسبة كتاب نقد النثر الى قدامة بن جعفر وانه لا بد أن يكون لكاتب آخر مجهول من اهل القرن الرابع ، وهذان العالمان الفاضلان هما الدكتور طه حسين بك والأستاذ محمد كرد علي فاستحقا منا التقدير والثناء .

وها نحن أولاء قد قمنا بما تمليه علينا الأمانة العلمية بتقديم أدلتنا على أن الكتاب اسمه «البرهان» وأنه من تأليف أبي الحسين اسحق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ، وأن الجزء الذي نشر منه تحت اسم «نقد النثر» ليس إلا نحو ثلث الكتاب الأصلي الذي قد حررناه ونقدمه للطبع الآن ليكون بين أيدي العلماء في القريب ان شاء الله ليصبح موضع بحثهم ونقدهم ولست أنسى هنا أن أقدم للعلماء الأستاذ العالم مجتبى مينوي بلندن زميلي في تحقيق هذا الكتاب واعداده للنشر فهو يشاركني مسئولية اخراج الكتاب بما يتبعها من قبول أو نقد .

المركز الثقافي الاسلامي بلندن ، الدكتور علي حسن عبد القادر

كنز من كنوز الجاحظ

اربع رسائل من رسائله

— ٤ —

تتمة ما كتب عن الرسالة الثالثة

التي موضوعها (الجد والهزل)

بقي من تعاليقنا على رسالة الجد والهزل ما يتعلق بالأبحاث اللفظية وما يخللها من الفوائد اللغوية . من ذلك :

قوله ص ٦٢ (ولا هذه المطالبة من شكل هذه الجريمة) معنى المطالبة متابعة غيرك بحق لك عليه ولم يكن صديق الجاحظ يتابعه بحق وإنما يتجنّى عليه بذنب لم يفعله فهو يعاقبه ظلماً . ويغاضبه هضماً . فمن ثَمّ كان الصواب (المعاقبة) أو (المغاضبة) مكان المطالبة .

وص ٦٦ قوله : (وصداقة المستطرَف غرر) المستطرَف المستحدث من الأشياء وقد استعمله الجاحظ في معنى المستحدث من المعارف والأصدقاء يقول : كن من صديقك الجديد على حذر حتى اذا بلوت امره وانصمت تجربته استوثق به ، واتكل عليه وان لم تفعل كنت منه في غرر وعلى مدرجة خطر . فالمستطرف في هذا المعنى من طرائف كلم الجاحظ . واعاد ذكره في ص ٩٤ فقال : ما قبّح الرجال شيء كالوِكال ، ولا أفسد الكريم شيء كحب الاستطراف) والوكال أن يتكل على غيره في شؤون حياته . ومعنى كون الكريم يفسده حب الاستطراف ان يملّ اصدقاءه القُدامى ويسأم عشرتهم فيجفوهم ويعرض عنهم الى صديق جديد يهشّ اليه ويمنحه ثقته ويفرشه دخلته قبل ان يبلوه ويختبر

احواله · وقوله : (التابع والتبرع) صوابه (التترع) بتاءين وهو التسرع الى الشرور فيناسب (التتابع) الذي معناه التسارع في الشرور أيضاً وان يركب الأمور من غير تثبت · ويأتي في ص ٩٢ سطر ٢ المتبرع صوابه المتترع بتاءين من التترع في الشر بدليل السياق ·

وقوله ينصح في التوثق من اتخاذ الصديق والانتباه الى (قحته عند التقريع ، وحيائه عند التعريض ، والى فطنته عند الرشق والتودية) صوابه (التورية) بالراء ليناسب التعريض أي تأمل في اخلاق من تتخذه صديقاً لحين رشقه الناس بلسانه وطعنه عليهم وهل هو في ذلك يصرّح او يعرّض ويكني ويوري ، او يهتك الأعراض ويعرّي ؟ ؟

وقوله ص ٦٨ في تلمّس أسباب التثبت في أمر الأصدقاء ودلائل الثقة بهم (وتكامل هذه الدلائل وتعاون هذه البرهانات) جمع (البرهان) على برهانات وعهدي أنه استعمل هذا الجمع ايضاً في كتابه (البيان والتبيين) كما استعمل جمع الوجدانات جمعاً لوجدان وشؤونات جمعاً لشؤون ·

(وقد قال الأول : دلائل الأمور أشدّ تثبيتاً من شهادات الرجال ... لأن الدليل لا يكذب ولا ينافق اولا يزيد ولا يبدل · وشهادة الانسان ليس معها أمان الخ ..) وكلام الجاحظ هذا يتسق مع القوانين والأنظمة العصرية المعول عليها في المحاكم الجزائية ، فانهم يعتمدون في ايقاع الاحكام على (قرائن الأحوال) التي عبّر عنها الجاحظ بقوله (دلائل الأمور) ولا نعلم إن كان قضاتنا يستحسنون العدول عن اصطلاحهم الى اصطلاح الجاحظ ·

وقوله ص ٦٩ (ولا خير في عقوبة تشمت العدو القادم ويُنادي بها العدو الحادث) الظاهر من مقابلة (القادم بالحادث) أنه أراد به (أي بالقادم) اسم الفاعل من قدُم اذا مضى على وجوده زمن لكن اسم الفاعل منه قديم وقُدام لا قادم فلعله محرف ، أو ان الجاحظ اراد المزاوجة اي الموافقة في الصيغة بين كلمتي القادم والحادث · وكثيراً ما فعله البلغاء ·

وقوله ص ٧٠ (والريث والأناة في بلوغ الأمل وإدراك النعمة) الأصوب البغية مكان النعمة .

وقوله ص ٧١ (قال الدهقان لعامل خراسان حين مرّ به وهو يدهق في حبّه) الدهقان عند الأعاجم مقدّم فلاحي القرية فهو بمنزلة مختار القرية في عصرنا وكان الدهقان حين مرور العامل عليه يدهق حب حنطة البيدر اي يقطعه ويكسره بمعنى يدرسه ويدوسه بالنورج لينفصل عن التبن وأرى ان جعل الدهق بهذا المعنى تكلف وان كان ابن الاعرابي قال كما في الصحاح ان الدهق يكون بمعنى القطع والكسر . وعندي ان المراد من كون الدهقان (يدهق) في حبه أنه يقوم بوظيفته في حراسة غلة يادر القرية ودراس حنطتها ليؤدي ما عليها من حق بيت المال للعامل . ووظيفته هي الدهقنة كما في القاموس . ودهقنوه جعلوه دهقاناً . ويكون اشتقاق فعل دهق من الدهقان مثل اشتقاق فعل هندس من المهندس وفعل نورز من النوروز . ولا يبعد ان يكون فعل (يدهق في حبه) محرفاً عن (يدهقن في حبه) .

وقوله : (ظلمتَ بالبطش والغشم أو ظلمتَ بالدَحْس والدسّ) قال مصحح الرسالة لعل صواب الدحس (الدعس) بالعين . وعندي أن الدحس بالحاء هو الصواب لأن (الدعس) الطعن والوطء ولا ينسجم معناه هذا مع (الدس) الذي معناه نقل الحديث خفية بقصد الفتنة وافساد ذات البين . والدحس والدس شيء واحد . ورحم الله الذي قال :

(وان دَحَسُوا بالشر فاعف تكرّماً وان خَنَسُوا عنك الحديث فلا تسلْ)

ومعنى خنسوا الحديث اخفوه وستروه .

وقوله ص ٧٤ في صدد العناية بالكتب (وتقدمتَ في استجادة الجلود ، وتمييز الصناع ، وتخيّر الساعات) معنى تقدمت في كذا امرت به . وكلمة (الساعات) لا علاقة لها بجلود الكتب وصنّاعها المجلّدين وأرى انها محرفة عن (الساجات)

جمع (ساجة) وخشب شجر الساج اسود رزين لا تكاد الرطوبة تبليه فكانوا يتخذون منه دفتين للكتب كما يتخذونها اليوم من الورق المقوّى • وفي مكتبتي نسخة مخطوطة من كتاب (مراصد الاطلاع) كانت دفتاه من خشب متين غير أني – وأنا في القدس – أعطيتها لمجلد يهودي وغفلت عن توصيته بإبقاء الخشبتين فبدّل بهما دفتين من الورق المقوى جهلاً منه او خبثاً !!

وقوله : (احكمتُ شأني وجمعتُ اليّ اقطاري) لا أرى حاجة الى جعل (أقطاري) محرفة عن أفكاري وإنما الأقطار جمع قطر بمعنى الجانب ، واقطار الفرس أو الجمل او الجبل كل ذلك جوانبه المشرفة • وكذلك اقطار الانسان :

(نميلُ على جوانبه كأنّا نميلُ إذ نميلُ على أبينا)

ويكون جمع الأقطار كناية عن جمع الهمة والعزيمة والنشاط ويقولون (جمع فلان قطريه) اذا تكبّر متغضّباً • ويشبهه جمع الازار يريدون به تشميره مذ يقولون فلان كميش الازار اي انه عزوم ماضٍ في امره لا يثنيه عنه شيء •

وقوله ص ٧٥ (وموقعه من الدين والفرض عظيماً) صوابه والعرض بشهادة سياق الكلام •

وقوله ص ٧٨ في ذم الكتب التي تتخذ قراطيسها من جلود بدل الورق (هي أنتن ريحاً واكثر ثمناً وأحمل للغش واكثر خياطاً) الخياط الغبار • وقوله (ثمناً) أي انها اغلى ثمناً • وارجح ان تكون (ثمنا) محرفة عن (ثخنا) مصدر ثخن اذا غلظ وصلب فهو ثخين : لأن المقام انما هو في ذم تلك الكتب فهو يقول انها ذات رائحة نتنة وذات ثخانة وغلظ يصعب معه حملها واستصحابها في الأسفار وأن تاجرها يغشك فيزعم ان جلود الكتاب كوفية مع انها واسطية ويبيعك اياها أحياناً على كونها واسطية مع انها بصرية بخلاف الكتب ذات القراطيس الورقية فإنه لا يتيسر وقوع الغش فيها •

وقوله (وعلى الجلود يعتمد في حساب الدواوين وفي الصكاك والعهود وفي

الشروط وصور العقارات) ولا يعتمد في ذلك على الورق كذا زعم ابن الزيات اما الجاحظ فيخالفه فيه . وما المراد يا ترى من قوله (صُوَر العقارات) ؟ هل كانوا يصورون العقارات في صكوك بيعها وشرائها ؟ أم ان للصور هنا معنى آخر او هي محرفة ؟ او لعل المراد بصورها وتصويرها تخطيط مساحتها وتحديد أجزائها واقسامها وسائر مرافقها فيكون المراد بصور العقارات ما نسميه في الشام خارطة البناء او خريطة البناء ومخطط البناء ويسمى في مصر (تصميم) وبالافرنسية Croquis أو Plan .

وقوله (وانكرتَ ان تكون الفارة الى الجلود أسرع بل زعمت انها الى الكاغد أسرع وله أفسد) الكاغَد بفتح الغين يريد به الورق الذي يكتب عليه وهو لفظ فارسي معرب . والوزير ابن الزيات أتى أمراً فرياً في نظر الجاحظ لأنه زعم ان الفارة تسرع الى اوراق الكتب فتقرضها وتعيث فيها اكثر مما تسرع الى الجلود . والحق مع الجاحظ لأن جلود الكتب اذا كان يسرع اليها النتن بسبب ما يلحقها من الرطوبة أحياناً — كما مر ذلك من قول الجاحظ — كان ذلك النتن مما يُغري الفارة بالجلود وتمزيقها بأنيابها . لا جرم ان للفارة التي نحتقرها وندعوها بالفويرة تارة وبالفويسقة تارة نصيباً من أدب الجاحظ ومن عنايته وعناية مناظره العظيم الوزير ابن الزيات .

وبمناسبة اصطناع الكتب من الجلود والكاغد أوصى الجاحظ بتمييز (القرآن) وتخصيصه باسم (المصحف) وان كان المصحف في اللغة اسماً لما يجمع من القراطيس المكتوبة بين دفتين فقال (وقد كان في الواجب ان يدع الناس اسم المصحف للشيء الذي جمع القرآن دون كل مجلد) وما زال عمل الناس جارياً بوصية الجاحظ الى اليوم .

وفي ص ٧٩ اتهم الجاحظ صديقه الوزير بانه يريد ان لا يكون للجاحظ ولد يحيي ذكره فيحوي ميراثه رجال السوء من المعدّلين (فقد رأيت صنيعهم في

مال المفقود والمناعة والوارث الضعيف ومن مات بغير وصية) لا يهمنا ان كان ما قاله الجاحظ في تهمة صديقه حقاً أو باطلاً وانما يهمنا ان نعرف مراده بقوله (والمناعة) وفي بعض النسخ (والصناعة) ولم يرضها المصحح وقال لعل الصواب (ومولى التباعة) ؟ وأحسن الكلمات الثلاث عندي هو (الضاعة) وتكون جمعاً لضائع كالصاغة في جمع صائغ والباعة في جمع بائع في نظائر ذلك ويؤيده السياق ولا سيما قوله قبله المفقود فمال المفقودين والضائعين وضعاف الناس عرضة لتسلط الأشرار من معدّلي ذلك العصر ووكلاء دعاويه وقضاته . والمراد بالمعدّلين الشهود الذين يلازمون مصطبة المحكمة لتحمّل الشهادات .

وفي ص ٨٦ اذا تخلص العقل من سورة غضبه شعر براحة وطمأنينة وكان شأنه في ذلك شأن المخمور اذا صحا من سكره والمنهزم اذا عاد الى أهله والمقيّد حين يفك من قيوده (والمبرسم اذا افاق من برسامه) . البرسام ومثله السرسام كلاهما لفظ فارسي مركب من كلمتين ويدلان على نوعين من المرض . فالبرسام مرض صدري أو هو ذات الرئة والسرسام مرض دماغي من اعراضه حمى دائمة يرافقها سهر واختلاط ذهن ومن هذه الجهة كان من الأمراض النفسية أيضاً فالإفاقة التي ذكرها الجاحظ انما تتصور في مرض السرسام لا البرسام فصواب برسامه سرسامه وصواب المبرسم المسرسم وفي بعض اللهجات العامية الشامية (مسرسب) بالباء ويعنون به المصاب بشيء من ذهول وعته ووسواس يجعله ينفر من مخالطة الناس ويتجنب مساسهم والدنو منهم .

وقوله ص ٨٧ (وكتب عمر الى قضاته أن ردوا القرابات عن حرّ القضاء فان ذلك يورث التضاغن) . (حرّ القضاء) ان لم تكن محرفة عن حكم القضاء كانت كناية عن لذع القضاء وحرقته التي يشعر بها المحكوم عليه في قلبه . وفي المستدرك من معاني الحرّ حرقة القلب من الوجع والغيظ . ومن ذلك قولهم : وجد حرارة السيف والضرب والفراق . فلا بدع ان يكون لحكم القاضي

حرارة في قلوب المحكوم عليهم . فعمر يوصي قضاته بأن يجتنبوا ايقاع الأحكام بين الأقارب فان الحكم معها كان عادلاً لا بد ان يورث القلوب ضغناً وغيظاً دائماً فتبقى العداوة بين الأقارب الى ما شاء الله . وكان شيخنا محمد عبده يوصي القضاة من أصدقائه وتلاميذه بألا يصدروا حكماً اصلاً بين المتداعين أقارب كانوا او غير اقارب بل يعنوا باقامة الصلح بينهم مكان الحكم ويقول ان الحكم يقطع الوُصَل ويورث الاحقاد ويفسد ذات البين ويعرض المجتمع للخطر . ولا شيء أفضل من تقرير الصلح بينهم فإنه يلقي في المجتمع الطمأنينة والهدوء والهناءة والسلام . والمحاكم المسماة محاكم صلح في تشكيلات محاكمنا اليوم إنما اتخذت وسميت بالصلح لهذا الغرض الشريف وليتجنب الحاكم ما أمكنه الحكم وليؤثر الصلح واصلاح ذات البين .

وفي ص ٩٠ قوله (ولكنك استضعفتني وجعلتني فرّوج الرقا) رجح المصحح ان يكون صواب (الرقا) الرفّاء وهو الذي يرفو الثياب الممزقة فيكون الفرّوج بمعنى القباء الذي شق من خلفه فهذا القباء المسمى فروجاً اذا بلي اعطي الرفّاء ليرفوه ويصلح عيبه فهو ضعيف واهٍ . فضربه الجاحظ مثلاً لضعفه الذي اغرى به صديقه الوزير فغضب عليه ولجّ في عقابه . ولكن (فرّوج الرفاء) لم يشتهر استعماله بين البلغاء مضرب مثل في الضعف والوهن وانما المعهود في ذلك هو (فرّوج الرقّاء) اي فرخها و (الرقّاء) الدجاجة القاعدة على بيضها . فهذا الفرخ يضرب بضعفه المثل . قالت الزبّاء ابنة علقمة الطائي وقد اكرهتها أمها على الزواج بالحرث سيد بني اسد وكان شيخاً هرماً فتنفست يوماً وارخت عينيها بالبكاء وقالت (مالي وللشيوخ الناهضين كالفروخ) وعلى هذا يكون صواب (الرقا) (الرقّاء) ؟

وقوله ص ٩٦ (وليس الصبر بالصمت والسكوت ولا بقلة الصياح والضمور . . . وذو المخلب كله مجهور صياح . وذو الحافر كله كظوم صاغن) والضمور بالراء . صوابه والضموز بالزاي المعجمة بمعنى السكوت وهو مأخوذ من ضموز البعير اذا

أمسك جرته في فيه ولم يجتر . اما ضمور الفرس بالراء المهملة فهو هزاله ولا مناسبة له هنا . وكذلك قوله في ما بعد (ضاغن) وفي الأصل بالميم ضامن فصححه المصحح بالضاغن (وهو الفرس الذي لا يعطي كل ما عنده من الجري الا بالضرب) ولا تراه يلتحم مع ما قبله أيضاً . وانما صوابه ضامز بالزاي من الضموز وهو السكوت والكظم كما مر . وقوله (وسمن ذي الظلف عام وهو في الضأن أخفى) ذوات الأظلاف من الماشية يعم فيها السمن ولكنه في الضأن أخفى ولا معنى للخفاء هنا فصوابه احد لفظين : إما (اخظى) بالخاء والظاء المعجمتين من خظا لحمه اذا اكتنز فالسمن في الضأن — بواسطة العناية بالرعي والتغذية المتواصلة — يكون اكثر وأشد اكتنازاً . والثاني ان يكون محرفاً من (احظى) بالحاء المهملة والظاء المعجمة أي سمن الضأن اشد حظوة في نفوس الناس وأشهى اليهم من السمن في سائر المواشي .

وقوله ص ٩٧ (والبازي اكرم من الصقر ... وأعنى صيداً . وأنبل نبلاً) قوله (وأعنى) اي واكثر . وقوله (نبلاً) بالباء صوابه (نيلاً) بالياء المثناة وهو ما تناله من عطاء ونحوه يقال اصاب فلان من الامير نيلاً فيكون المراد من النيل الصيد الذي يناله صاحب البازي من كسب البازي . أما (أنبل) بالباء الموحدة فمعناه ازكى وأنجب وأفضل . ومحصل القول أن ما يصطاده البازي أوفر وأزكى وأشهى مما يصطاده الصقر .

المغربي

نفائس المخطوطات العربية
في المشهد الرضوي المطهر

المشهد الرضوي المطهر هو البقعة التي تضم رفات الامام الثامن من أئمة الشيعة الاثني عشرية وهو الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام الذي انتقل الى الرفيق الأعلى في ٢٠٣ او ٢٠٢ للهجرة ودفن في ذلك المكان بالقرب من مدينة طوس في اقليم خراسان ، ومنذ ذلك الحين اخذت هذه البقعة تتسع حتى أضحت مدينة كبيرة هي اليوم من أمهات مدن ايران . وقد سميت المدينة [مشهد] او [آستان قدس] نسبة الى المشهد الرضوي الذي فيها .

وقد مرت بهذا الضريح ومشهده احداث كالتي مرت على صاحبه عليه السلام فقد ذكر المؤرخون ان الذي بنى الضريح وما حوله للمرة الأولى هو الخليفة العباسي المأمون بن الرشيد الذي كان كثير الحب لآل علي . وهم يذكرون انه احسن بناء هذا المشهد وزينه احسن تزيين . كما ان عمال خراسان ايام العباسيين كانوا لا يألون جهداً عن العناية به والاهتمام بما حوله . فلما انقضى عهد السلطة الحقيقية للعباسيين على ايران واخذت ايالات ايران تنفصل واحدة بعد اخرى عن بغداد واضطربت الحالة في ايران منذ نشوء دولة الطاهريين فالصفاريين فمن جاء بعدهم اخذت العناية تقل بهذا المكان وما حوله ويظهر انه قد أصابه بعض التخريب في عصر آل سبكتكين . وظل امر المشهد مهملاً او قليل الحظ حتى جاءت الأسرة الصفوية ، وكانت اسرة علوية شديدة التعصب للمذهب الشيعي المذهب الرسمي للبلاد ، فاهتمت ببنائه وزخرفته واضافت اليه ملحقات كثيرة من مدارس ومعاهد وربط . وقد كان الشاه طهماسب الأول هو اول

من اعتنى به فأعاد بناء ما تهدم احسن اعادة ، وذهب الجدران والقباب وأعاد للمشهد رونقه القديم .

وفي سنة ٩٩٧ هـ اصيب المسجد من جديد بالهدم وامتدت اليه يد بعض الأشرار فانتهكت حرمته وانتهبت كثيراً من نفائسه وتحفه وكتبه ، ولكن لم يلبث ان اعيد بناؤه من جديد . وفي سنة ١٠٠٦ هـ أصاب المشهد ما أصابه في سنة ٩٩٧ من هدم ونهب بسبب الفتن والاضطراب التي كانت تنبع في خراسان في تلك العصور ولما ان استقرت الحالة من جديد قام اهل الخير والمروءة وأعادوا بناء ما تهدم كما اعادوا اليه كثيراً من تحفه وسجاده ونفائس ذخائره وأضحى المشهد ومعاهده في القرن الحادي عشر جامعة كبرى تلقى فيها العلوم وتنسخ الكتب والمخطوطات وتلقى فيها المحاضرات في شتى العلوم الدينية والحكمية والأدبية من عربية وفارسية وخاصة في عهد الفاضلين الشيخ الحر العاملي والبهاء العاملي فانهما كانا لا يفتران عن القيام بالدروس والقاء المحاضرات وحض الناس على التعلم او استنساخ الكتب واهدائها الى خزانة المشهد المقدس .

ويظهر ان مكتبة المشهد قد اضحت منذ اوائل القرن العاشر مكتبة عظيمة بل من أعظم مكاتب ايران لا في عدد كتبها بل في نفائس ما فيها ، وفي عصر الدولة الصفوية ازدادت نفائس مخطوطاتها ففي أيام الشاه عباس زار الضريح وأهدى المكتبة كثيراً من الكتب والمصاحف النفيسة في خطها وصنعها . وفي تلك الفترة أيضاً قدم الشيخ البهاء العاملي الأديب العالم المشهور كنزاً من كتبه ومؤلفاته الى الخزانة وفيها كثير بخط يده الجميل .

ثم أخذت الهدايا من نفائس المخطوطات تتوارد على المكتبة حتى عصر رضا شاه وهي اليوم من أغنى مكاتب ايران واكثرها نفائس في الخط والمذهبات والمرقعات ولا يسبقها في هذا ، كما حدثني بعض فضلاء ايران ، الا مكتبة قصر كلستان الملكي التي تحوي على كنوز وتحف لا تعرف .

* * *

وأقدم ما يعرف من فهارس خزانة المشهد فهرست يرجع الى سنة ١٢٩٦ هـ وهي السنة التي وقف فيها المرحوم الميرزا سعيد خان مؤتمن الملك كثيراً من الكتب القيمة ، حينما كان متولياً على اوقاف المشهد . وقد بلغت كتب الخزانة المشهدية في عهده ٢٠٦٩ كتاباً نظمت جميعها في خزائن حسنة الصنع . وهذا الفهرست لا يحتوي الا اسماء الكتب مع بعض معلومات عن مؤلفيها او واقفيها او سنة نسخها وفيه كثير من الأخطاء العلمية .

وفي سنة ١٣١٢ هـ تولى امر المشهد والمكتبة الامير مؤيد الدولة فزاد في الكتب وصنع لها فهرستاً جديداً وقد بلغت الكتب في عهده ٢٩٨٢ كتاباً .

وفي سنة ١٣٤١ هـ تولى أمر المكتبة العالم الفاضل ميرزا مرتضى قلي خان فنظم فهارسها من جديد ورتب كتبها ترتيباً جديداً ، ولكن فهرسه هذا لم يخل أيضاً من بعض الأغلاط . ولم يبق طويلاً في الاشراف على المكتبة بل حل محله في سنة ١٣٤٢ هـ الحاج ميرزا محمد علي خان فاهتم بالمكتبة كثيراً وزاد في مخطوطاتها ورتب لها فهرستاً حسناً ووظف بعض الأفاضل للعناية بالكتب وبأمر الخزانة والمطالعين ، كما وظف بعض المراقبين واصبحت المكتبة منذ ذلك الحين على شيء كثير من الترتيب والعناية بعد ان كانت قبلاً أشبه بمخزن كبير للكتب منها بمكتبة . وفي هذه الفترة انصرف بعض الموظفين فيها وهو الأديب الميرزا فضل الله السبزواري الملا باشي الى تنظيم فهرست حسن الترتيب ، وقد بلغت كتب الخزانة في هذه الفترة نحواً من ٣٣٤٤ مجلدة .

وفي سنة ١٣٤٥ طلب جلالة الشاه السابق رضا بهلوي الى القائم على المشهد المقدس الميرزا محمد ولي خان الاسدي ان يعتني بتنظيم فهرست لمحتويات الخزانة فاهتم السيد الاسدي بهذا الأمر واخرج ثلاثة اجزاء اشتملت على محتويات كتب المشهد من مخطوط ومطبوع ، ولكن عمله كان سريعاً وقليل الفائدة

ولكنه على كل حال عمل ذو خطر فقد كشف للناس القناع عن كثير من الكتب المجهولة في هذه الخزانة .

ومحتويات هذه الخزانة اليوم ٤١٠٨ مجلدة منها ٢٧٧٥ مخطوطة والباقي مطبوع .

وقد قسم السيد الاسدي فهرسته بحسب الموضوعات ، وقسم كل قسم الى بابين أحدهما خاص بالمخطوط والآخر خاص بالمطبوع واليك تفصيل ذلك :

المجلد الأول : يشتمل على اربعة فصول (١) علم الحكمة والكلام وما اليها (٢) المنطق (٣) التفسير (٤) علم الأخبار . (ويقصد بها الكتب المذهبية المتعلقة بالآثار الواردة عن اهل البيت وأخبارهم وفضائلهم وآداب زيارتهم وما الى ذلك) .

(فالفصل الأول) فيه مخطوطات علم الحكمة والكلام واصول العقائد والتصوف ، وأرقامها من (١) الى (٢٩١) وفيه مطبوعات علم الحكمة والكلام وأصول العقائد والتصوف ، وارقامها من (١) الى (٩٠) .

(والفصل الثاني) فيه مخطوطات علم المنطق وارقامها من (١) الى (١٦٦) وليس في هذا الفصل كتب مطبوعة

(والفصل الثالث) فيه مخطوطات علم التفسير وأرقامها من (١) الى (٢٩٩) وفيه مطبوعات علم التفسير وأرقامها من (١) الى (٥٠)

(والفصل الرابع) فيه مخطوطات الأخبار وأرقامها من (١) الى (٣١٩) وفيه مطبوعات الأخبار وأرقامها من (١) الى (١٧٢)

المجلد الثاني : ويشتمل على سبعة فصول (٥) علم الفقه (٦) علم الاصول (٧) علم التجويد (٨) الأدعية (٩) علم الأخلاق (١٠) علم الرجال والأنساب (١١) علم اللغة .

(فالفصل الخامس) فيه مخطوطات الفقه على المذاهب الأربعة والمذهب الجعفري وأرقامها تبدأ من (١) الى (٤٦٩) وفيه مطبوعات الفقه على المذاهب الاربعة والمذهب الجعفري وأرقامها تبدأ من (١) الى (١٨٧) ←

(والفصل السادس) فيه مخطوطات علم الاصول وارقامها تبدأ من (١) الى (١٠١) وفيه مطبوعات علم الاصول وارقامها تبدأ من (١) الى (٣٩)

(والفصل السابع) فيه مخطوطات علم التجويد وأرقامها تبدأ من (١) الى (٤٣) وفيه مطبوعات علم التجويد وأرقامها تبدأ من (١) الى (٤)

(والفصل الثامن) فيه مخطوطات الأدعية وارقامها تبدأ من (١) الى (٢١٤) وفيه مطبوعات الأدعية وارقامها تبدأ من (١) الى (٢٠٤)

(والفصل التاسع) فيه مخطوطات علم الأخلاق والمواعظ وأرقامها تبدأ من (١) الى (٥١) وفيه مطبوعات علم الأخلاق والمواعظ وأرقامها تبدأ من (١) الى (٨١)

(والفصل العاشر) فيه مخطوطات علم الرجال والأنساب وأرقامها تبدأ من (١) الى (٣١)

(الفصل الحادي عشر) وفيه مخطوطات علم اللغة وأرقامها تبدأ من (١) الى (٦١) وفيه مطبوعات علم اللغة أرقامها تبدأ من (١) الى (٣٨)

(المجلد الثالث) : ويشتمل على ستة فصول : (١٢) في العربية (١٣) في البلاغة (١٤) في التاريخ (١٥) في الأدب (١٦) في الطب (١٧) في الرياضيات .

(فالفصل الثاني عشر) فيه مخطوطات علم الصرف والنحو وأرقامها تبدأ من (١) الى (١٤٤) وفيه مطبوعات علم الصرف والنحو وارقامها تبدأ من (١) الى (٣٥)

(والفصل الثالث عشر) فيه مخطوطات علمي المعاني والبيان وأرقامها تبدأ من (١) الى (٥٢) وفيه مطبوعات علمي المعاني والبيان أرقامها تبدأ من (١) الى (٨)

(والفصل الرابع عشر) فيه مخطوطات علمي التاريخ والقصص وارقامها تبدأ من (١) الى (٩٤) وفيه مطبوعات علمي التاريخ والقصص وارقامها تبدأ من (١) الى (٢٢٣)

(والفصل الخامس عشر) فيه مخطوطات علم الأدب وارقامها تبدأ من (١) الى (١٣٩) وفيه مطبوعات علم الأدب وارقامها تبدأ من (١) الى (١٥٩)

(والفصل السادس عشر) وفيه مخطوطات الطب وأرقامها تبدأ من (١) الى (١٢٣) وفيه مطبوعات الطب وارقامها تبدأ من (١) الى (٢٧)

(والفصل السابع عشر) وفيه مخطوطات العلم الرياضي وارقامها تبدأ من (١) الى (١٨٩) وفيه مطبوعات العلم الرياضي وارقامها تبدأ من (١) الى (٣١)

هذا وقد رتبت الكتب التي اردت وصفها في هذه المقالة على سبعة اقسام (١) في التفسير وما اليه (٢) في الكتب المتعلقة بالمذهب الاثني عشري (٣) في الفلسفة والكلام والمنطق (٤) في التصوف (٥) في اللغة وعلوم العربية (٦) في الأدب والشعر (٧) في الموسيقى ·

(أ) كتب التفسير وما اليه

(١) معاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي المعروف بالأخفش الأوسط النحوي (– $\frac{٢٢١}{٢١٥}$ هـ)[1] الامام النحوي الأشهر ذي التآليف الكثيرة التي عددها ابن النديم ولم يبق منها الا شرح «ابيات المعاني» ومنه نسخة في مكتبة الفاتيكان رقمها ٩٧٧ و «معاني القرآن» هذا ولا تعرف منه نسخة في العالم الا هذه النسخة ولكنها مع الأسف الشديد مخرومة الصدر واول الموجود منها «اسمه لأنك اذا صغرته قلت سمى ٠٠٠» ولعل النقص قليل · وآخرها «٠٠٠ ويقال فيها ان هذا آخر كتاب الأخفش في معاني القرآن والحمد لله» · وهي بقلم احمد بن احمد المقري كتبها في ربيع الأول سنة ٥١١ · وفي آخر ورقة منها ما نصه «نظره العبد لله والفقير الى رحمته علي بن صدقة بن مسيب المقري في شهور سنة تسع وثلاثين وستمائة» وقفها الأمير جبرائيل سنة ١٠٣٥ وعدد اوراقها ١٨٧ ورقمها ٢٢٠ تفسير ·

(٢) زاد المسير في علم التفسير

(١) انظر الفهرست لابن النديم (٨١) وارشاد الأريب ٤ : ٢٤٢ ومرآة الجنان ٢ : ٦١ وبغية الوعاة : ٢٥٨ وبروكلمان ١ : ١٠٥ والذيل ١ : ١٦٥

لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن ابي الحسن علي بن الجوزي (— ٥٩٧)
هذا الكتاب مؤلف[1] من اربعة اجزاء وليس في الخزانة الا الجزء الثاني واوله تفسير سورة الانعام وآخره تفسير سورة الحجر وأول النسخة « بسملة سورة الانعام فصل في نزولها روى مجاهد عن ابن عباس ... » وآخرها « ... والثاني انه الحق الذي لا ريب فيه من نصرك على اعدائك حكاه الماوردي . آخر الجزء الثاني من كتاب زاد المسير » والنسخة مكتوبة بخط نسخي جيد بقلم ابي حامد محمد بن عبد الخالق بن ابي هاشم الكرخي سنة اربع وثلاثين وستمائة عن نسخة المؤلف . وعدد اوراقها ٣٨٩ ورقمها ٣٨ : تفسير .

(٣) اسئلة اسرار مشكلات القرآن وأجوبتها

لزين الدين محمد بن ابي بكر بن عبد المحسن بن القاهر (القادر) الرازي الحنفي القادري (— ٦٦٠) وهو صاحب الكتاب المشهور « مختار الصحاح » وله شرح على « بدء الأمالي » وتحفة الملوك وغيرها من الكتب الأدبية واللغوية[2] .

والنسخة جد قيمة سلك فيها مسلك الأدباء واللغويين ، واكثر من الشواهد والأبحاث اللغوية واولها « بسملة قال الفقير الى رحمة ربه ومغفرته محمد بن ابي بكر القادري عفى الله عنه .... » وهي في ٢٥٩ ورقة وقفها الملا موسى وهي مكتوبة بقلم حسن نستعليق في سنة ٩٦٩ ورقمها ٤ تفسير .

(٤) كنز العرفان في آيات الاحكام (في تفسير القرآن)

للمقداد بن جمال الدين عبد الله بن محمد بن الحسين بن محمد السيوري الحلي الشيعي الملقب بتلميذ الشهيد الأول وبفاضل مقداد ، المتوفى في حدود سنة ٨٢٢ وقد مات وهو في طريقه من ايران الى العراق ودفن في بقعة هناك في صحراء شهروان وقبره هناك ويغلط من يظن انه قبر الصحابي الجليل المقداد بن الاسود فان هذا دفن في البقيع . والسيوري من جلة علماء الشيعة وكبار مؤلفيهم ومن

---

(١) انظر بروكلمان ٢ : ٥٠٤ رقم (٣٣) .
(٢) انظر بروكلمان ١ : ٣٨٣ والذيل ١ : ٦٥٨

آثاره :- نهج المسترشدين ، والتنقيح الرائع في شرح مختصر الشرائع ، وشرح كتاب « الباب الحادي عشر » واسمه النافع يوم الحشر [١] ، وشرح فصول الخواجة نصير الدين الطوسي [٢] . وكتاب « كنز العرفان » وقد رتبه على ابواب الفقه فابتدأ بكتاب الطهارة واختتم بكتاب الديات ولم يأت في كتابه هذا بسوى الآيات الكريمة والأقوال الصحيحة في تفسيرها عن الأئمة المعصومين ، كما ذكر في كتابه هذا طرفاً من النكت الأدبية والبيانية وأوله « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب لكل شيء تبياناً ... » والنسخة جيدة الخط مكتوبة بقلم نسخي في ٢٩٤ ورقة وقفها الأمير جبريل ورقمها (١٨٠) تفسير . وقد طبع هذا الكتاب في طهران سنة ١٣١٣ ولكن نسخه جد عزيزة وفي خزانتنا نسخة منه .

(٥) عرائس البيان في حقائق القرآن .

للشيخ صدر الدين روزبهان ابي محمد بن ابي النصر الفسوي الشيرازي البقلي الكازروني الصوفي المشهور بالشيخ الشطاح . طاف البلاد واستقر بالاسكندرية ثم آب الى بلاده وأقام بشيراز يعظ بها ويرشد الى ان هلك سنة ٦٠٦ [٣] .

وعرائس البيان تفسير سلك فيه مسلك الصوفية واختار بعض الآيات التي تحتاج الى تفسير على رأيه ففسرها على طريقتهم وأوله « بسملة يارب يسر يا كريم الحمد لله الذي كان في ازل الأزل موجوداً بوجوده .... » والنسخة بخط محمد غني بن صفي الله الحسيني الشهير بسلامي كتبها سنة ١٠٦٠ بقلم نسخي جيد . ووقفها المرحوم عضد الملك عدد اوراقها (٢٦٠) ورقمها ٤٩ تفسير .

(٦) العروة الوثقى .

للشيخ بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي الحائري

---

(١) في خزانتنا نسخة نقية من هذا الكتاب .

(٢) انظر أمل الآمل ٧١٠ والروضات ٤٢٨ وبروكلمان الذيل ٢ : ٢٠٩

(٣) انظر بروكلمان ١ : ٤١٤ والذيل ١ : ٧٣٥

الجبائي (٩٥٣ — ١٠٣٠) المشهور بشيخ بهائي وهو صاحب الكشكول والمخلاة المشهورين وكتاب الحبل المتين، ومشرق الشمسين وهما من الكتب المعتبرة عند الشيعة الامامية وله آثار كثيرة بالعربية والفارسية [١] وقد كان للبهاء مكانة سامية عند الشاه عباس الكبير .

والعروة الوثقى حاشية له وضعها على تفسير البيضاوي ولكنه لم يتمها بل بلغ فيها الى تفسير الآية الحادية والعشرين من سورة البقرة . وقد ضمنها كثيراً من الأمثال والشواهد والأخبار الأدبية واللغوية وأولها « بسملة الحمد لله الذي انزل على عبده كتاباً الهياً .... » والنسخة مكتوبة بخط نسخي حسن في ٣٩ ورقة كتبت في سنة ١٠٣٧ ورقمها ١٤٧ تفسير [٢] .

(٧) مشكل اعراب القرآن الكريم

لأبي محمد مكي بن ابي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني المقري المفسر (٣٥٤ — ٤٣٧ هـ) [٣] . والكتاب من الكتب القيمة التي سلك فيها مسلك المحققين وجميع وجوه الاعراب لكل آية على اختلاف القراءات والمذاهب اللغوية والنحوية . والنسخة جد نفيسة اولها « بسملة ... اما بعد فاني رأيت أفضل علم صرفت اليه الهمم ... هو كتاب الله ... »

وهي بقلم نسخي كتبها محمود بن ميمون بن محمود سنة ٦٧٠

(ب) الكتب المذهبية

(٨) دعائم الاسلام

لأبي حنيفة الشيعي النعمان بن ابي عبد الله محمد بن منصور بن احمد بن حيوان

---

(١) انظر بروكلمان ٢ : ٢٩٧ ونقد الرجال للتفرشي : ٣٠٣

(٢) انظر بروكلمان ٢ : ٥٩٧ رقم ٢٣ .

(٣) انظر أخباره في ارشاد الأريب لياقوت ٧ : ١٧٣ وطبقات القراء لابن الجزري ٢ : ٣٠٩ والبغية للسيوطي : ٣٩٦ ومفتاح السعادة لطاش كبرى زادة ١ : ٤٠٩ وعقود الجوهر لجميل العظم ١ : ٢٩٧ والوفيات ٢ : ٧٢ وبروكلمان ١ : ٤٠٧ والذيل ١ : ٧١٩ .

(— ٣٦٣) كان قاضي مصر ايام الخليفة الفاطمي تميم بن منصور وهو من كبار الدعاة الى المذهب الفاطمي والكتاب من افضل الكتب الفريدة التي بقيت عن المذهب الشيعي في أيام الفاطميين وهو في مجلدين ضخمين ضمنها ابو حنيفة مجالسه في الوعظ والدعوة ، كما ضمنها كثيراً من اخبار الدعوة والدعاة واركان المذهب وتعاليمه .

اول الجزء الاول « بسملة قال الله عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما .... » وعدد اوراق هذا المجلد ٢٧٤ ورقة

والثاني في ١٩١ ورقة اوله « ذكر الحض على طلب الرزق .... » وآخره « ومن قواصم الظهر سلطان جائر يعصي الله وانت تطيعه » . والمجلدان مكتوبان سنة ١٠٠٣ ورقمها ١١٥/١١٦ أخبار .

(٩) الخرائج والجرائح :

لأبي الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسن قطب الدين الراوندي الفقيه الطبيب الثقة ولد سنة ٤٣٦ وتوفي في عهد الخليفة المقتدر بالله العباسي وهو اول من شرح نهج البلاغة ونقل كثيراً عنه ابن ابي الحديد في شرحه ومن آثاره الكثيرة يتي : المغني في تدبير الأمراض ، وكتاب خلق الانسان ، وكتب اخرى في الطب ، والخرائج والجرائح .

وهو كتاب معتبر عن الشيعة الامامية جمع فيه معجزات النبي (ﷺ) وكرامات الأئمة الاثنى عشر وأوله « بسملة أما بعد حمد الله الذي هدانا الى منهاج الدليل ... » وهو مؤلف من عشرين باباً وقد طبع هذا الكتاب ولكن طبعته رديئة والنسخة مكتوبة بقلم نسخ جيد في سنة ٩٨٥ وقفها الخواجة شير احمد ورقمها (١١٠) أخبار . وفي خزانتنا نسخة منه حسنة الضبط .

(١٠) الاربعون حديثاً

للبهاء العاملي (انظر رقم ٦)

وهو من امهات كتبهم الكثيرة التداول والاعتماد عليها كبير واوله « ان احسن حديث تحلى اللسان ...» وقد أتم تأليفه في سنة ٩٩٥ والنسخة مكتوبة بقلم نسخي حسن وقفها الحاج سيد حسن اليزدي وعدد أوراقها ١٤٢ وقد طبعت مرات ورقمها (١٨) أخبار . وفي خزانتنا نسخة منها .

(١١) ايضاح مخالفة السنة لبعض الكتاب والسنة

لجمال الدين ابي منصور آية الله الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلّي المشهور بالعلامة (٦٤٨ — ٧٢٦) . وقد كان من كبار أئمتهم المعتبرين وكبار مؤلفيهم[1] ، قال عنه صاحب نقد الرجال : « ويخطر ببالي ان لا اصفه اذ لا يسع كتابي هذا ذكر علومه وتصانيفه وفضائله ومحامده وان كل ما يوصف به من جميل وفضل فهو فوقه وله أزيد من سبعين كتابا في الأصول والفروع والطبيعي والالهي وغيرها . ومن جملة كتبه منتهى الطلب وهو سبع مجلدات ، وتذكرة الفقهاء وهو اربع عشر مجلدا وكتاب مختلف الشيعة وهو ست مجلدات ... ودفن بمشهد الغري » ومن آثاره الباقية : نظم البراهين في اصول الدين ، وارشاد الأذهان الى أحكام الامام ، وقواعد الاحكام في معرفة الحلال والحرام وهو المشهور باسم « قواعد علاّمة » ومنهاج الكرامة في معرفة الامامة ، وخلاصة الأقوال في معرفة الرجال ، وايضاح الاشتباه في اسماء الرواة ...

وكتاب الايضاح تفسير للقرآن مؤلف من ثلاثة أجزاء لم يبق منها الا الجزء الثاني وأوله « بسملة قال الله تعالى زين للذين كفروا الحياة الدنيا ....» وآخره « تم الجزء الثاني من كتاب ايضاح مخالفة السنة في نص الكتاب والسنة ويتلوه الجزء الثالث سورة النساء على يد العبد الفقير الى الله حسن بن يوسف المطهر مصنف الكتاب تسويداً في المقبرة الشريفة الغروية بتاريخ سنة ثلاث

(١) انظر أمل الآمل : ٤٠ ومنتهى المقال : ١٠٥ وروضات الجنات : ١٧١ ومجالس المؤمنين : ٢٧٦٠ وهدية الأحباب : ٢٠١ ونقد الرجال : ١٠٠

وعشرين وسبعمائة ... » والنسخة مكتوبة بعد هذا التاريخ بخط نسخي عادي وقفها ابن خاتون سنة ١٠٦٧ وعدد أوراقها ١١٥ ورقمها (٥) تفسير .

(١٥) الاستغاثة في بدع الثلاثة (او) البدع المحدثة بعد الاسلام .

للسيد علي بن ابي القاسم العلوي الكوفي الفقيه المتوفى سنة ٣٥٢ ، وقد كان اماميا معتدلا في أمره وكان مستقيم الطريقة ثم انقلب آخر امره غاليا شديد الغلو وقد ضمن كتابه هذا وبعض كتب اخرى كثيراً من الأخبار التي لا تليق .

والكتاب في ٥٤ ورقة ضمنها كثيراً من الأخبار التي لا سند صحيح لها وجلها مطاعن في الخلفاء الثلاثة الراشدين . وقد اعتمد عليه ابن شهراشوب في كثير من نقوله في كتاب « المناقب » وسماه كتاب « البدع المحدثة بعد الاسلام » .

وأوله « الحمد لله ذي الطول والامتنان والعز والسلطان .... » وآخره « .... وقد شرحنا من فساده وأوضحنا من باطله ما فيه كفايته » . والنسخة حسنة الخط مكتوبة بقلم نسخي سنة تسع وستين وتسعمائة . وقفها الخواجة شير احمد ورقمها ٤٠٦ اخبار . ولم أعثر فيما بين يدي من مصادر على نسخة اخرى كما لم اعثر على شيء مفصل من حياة مؤلفها وأخباره .

(١٦) الشافي في الامامة

للشريف المرتضى ابي القاسم علي بن الطاهر الحسين الموسوي علم الهدى (— ٤٣٦)[١] قال عنه النجاشي (من كبار مؤلفي كتب الرجال عند الشيعة) في رجاله « حاز من العلوم ما لم يدانه فيه احد في زمانه وجمع من الحديث فاكثر وكان متكلماً شاعراً أديباً عظيم المنزلة في الدين والدنيا صنف كتباً مات رضي الله عنه لخمس بقين من شهر ربيع الاول .. وصلى عليه ابنه في داره ودفن فيها توليت غسله ومعي الشريف ابو يعلى محمد بن الحسن الجعفري وسلار بن عبد العزيز »[٢]

(١) انظر بروكلمان ١/٤١٤ والذيل ١/٤٠٦

(٢) انظر نقد الرجال ٢٣٣ : وقد اضاف على الهامش عند قوله « ودفن في داره » : ثم نقل الى جوار جده الحسين كذا نقل من تنزيه ذوي العقول في أنساب آل الرسول .

وله ديوان شعر يزيد على عشرين الف بيت ٠

والكتاب من الكتب المعتبرة عن الشيعة جمع فيه كثيراً من الأخبار والأقوال الخاصة بالامامة وأحكامها عند الجعفرية ، كما ضمنه كثيراً من الاحكام الشرعية والنكات الأدبية ٠ واوله «بسملة الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ٠٠٠» وهو في (٢٧٠) ورقة ورقه ١٧١ أخبار ٠

(١٧) الأنوار البدرية في رد شبهات النواصب القدرية

الحسن بن محمد بن علي المهلبي الحلي الشيعي وكان حياً في حدود الثمانمائة وكان فاضلاً واسع الاطلاع في التاريخ والكلام ٠

وقد ألف كتابه هذا رداً على كتاب انتقاد الشيعه الامامية ليوسف الواسطي وهو في ٣٦٦ ورقة اوله «الحمد لله الذي هدانا بمن كتب على نفسه من الرحمة بواضح المنهاج ٠٠٠»

وآخره «فرغت من تسويد كتابة الكتاب يوم الأحد اثني عشر سنة اثني عشر والف» وهو مكتوب بقلم نسخي حسن وقفه الخواجة شير احمد ورقمه (٢٣) ٠ وفي الخزانة نسخة اخرى مخرومة الأول والآخر رقمها (٣٤) ٠

(يتبع) اسعد طلس

التعريف والنقد

عبقرية الاسلام في اصول الحكم

ألفه الدكتور منير العجلاني
الأستاذ في كلية الحقوق بدمشق

هذا الكتاب مما جمعه مؤلفه فأحسن جمعه، ووضعه فأحكم وضعه؛ فجاء معلمة موجزة: «في تاريخ الحكومة الاسلامية من عهد الرسول (ﷺ) الى آخر العهد العباسي». فمن موضوعات الكتاب: «مولد الحكومة الاسلامية»، و«طبقات الناس»، وهو فصل تكلّم فيه عن الأرقاء، والموالي، والمرأة، واهل الذمة، والاشراف، عرّف كل طبقة وذكر ما كانت عليه قبل الاسلام، وما صارت اليه بعده. و«الحكومة في الجاهلية»، و«حكومة النبي»: كيف نشأت، وما كان فيها من اعمال، ومن مناصب وامراء وعمال. ثم «الخلافة» وطأ لها بمقدمة تاريخية. وذكر تعريفها وألقابها، وشعارها وأبهتها، ووحدتها وشروطها وحقوقها. و«الوزارة» تعريفها وتاريخها ووحدتها، وصفات الوزراء، وسلطانهم وتقاليدهم والقابهم وآدابهم. و«الامارة»، و«الحسبة»، و«الشرطة»، و«الدواوين»، و«المظالم»، و«القضاء»، و«العقوبات»، ثم «الموارد المالية» وهو خاتمة الكتاب.

استهل المؤلف كتابه بقوله: «نشر قاض مصري من سنوات كتاباً اسماه: «الاسلام واصول الحكم» زعم فيه: ان اصول الحكم ليست من الدين في كثير ولا قليل. فللمسلمين ان يختاروا لأنفسهم نوع الحكم الذي يرضي أذواقهم، فان أرادوا كانوا ملكيين، وان ارادوا كانوا جمهوريين، وان ارادوا كانوا فاشيين، وان أرادوا كانوا شيوعيين؛ كل هذا متروك لاجتهادهم الخاص

لا يلزمهم فيه الدين بشيء ، ولا يحاسبهم منه على شيء ؛ فان اصول الحكم كانت اهون عند محمد (ﷺ) من جناح بعوضة » .

وعقب الأستاذ العجلاني على كلمة القاضي المصري ، بكلمة لقاض لبناني : « أنكر فيها على الاسلام ان يكون عرف القضاء ـ ايام الرسول وايام خلفائه الراشدين ـ وانما هو شيء وجده الأمويون في الشام والعراق ومصر ، فأخذوه عن شعوبها .. »

قال المؤلف : « هذه المزاعم وأضرابها هي التي حفزتني الى الكتابة في تاريخ الحكم الاسلامي . ذلك اني التمست جواباً عليها في الكتب التي تداولتها الأيدي في هذا الفن فلم أجده ، وانما وجدته متفرقاً في كتب الأدب والتاريخ والتفسير والحديث والسير . »

واذا كان الأستاذ العجلاني قد وفق في الرد على القاضي اللبناني ؛ فجاءه بسند من التاريخ ، بل بنص من القرآن نفسه ، أن العرب عرفوا القضاء وعانوه ، قبل ان خرجوا من الحجاز الى الشام ومصر والعراق ؛ فانه ـ في رأينا ـ لم يوفق في رده على القاضي المصري ، التوفيق كله ، ولا بعضه .

نقل المؤلف في مقدمته ماحدّث به ابن حزم في كتابه (الفصل في الملل والنحل) : « ان الأمويين استبدوا بالخلافة ، فنهض فقيه من الأردن يقول : لا تجوز الخلافة شرعاً الا في بني امية بن عبد شمس . ثم استبد العباسيون في الخلافة . فقالت الراوندية : لا تجوز الخلافة شرعاً الا في ولد العباس بن عبد المطلب . ونادى ولد علي بن ابي طالب : انهم اصحاب الحق بالخلافة : فاجتمع حولهم علماء كثيرون لا يرون الخلافة جائزة الا فيهم » .

« كل هؤلاء الفقهاء السياسيين ، احتاجوا الى نصوص يسيطرون بها على عقول العامة ، فراحوا يطلبونها في « احاديث » الرسول .. وكم وضعت على لسان النبي احاديث لم يقلها ... أو اخذت الأحاديث التي قيلت في ظرف مخصوص ، فأخرجت عن دائرتها وفسرت على غير وجهها ..

لقد ترك لنا النبي (ﷺ) أموراً كثيرة من امور السياسة والادارة ، لم يبين لنا احكامها ، فلنفكر فيها بعقولنا ، ولنرجع فيها الى ضمائرنا ، فان ما نراه حسناً ، قد تكفل لنا رسول الله بأن الله يراه حسناً .»

قلنا : اذا كان «الفقهاء السياسيون» وجدوا أو اوجدوا لكل من تولوا الخلافة حديثاً او مستنداً يقول : ان الخلافة لا تجوز الا لهم ؛ فان هؤلاء الفقهاء لأحرياء ان يبتدعوا لكل شكل من اشكال الحكم القائم : خلافة ، أو ملكية او امارة ، او جمهورية ؛ مقيداً او مطلقاً ، فاشياً او نازياً او شيوعياً ؛ ما ينطبق على الدين ، بل هم خلقاء ان يجعلوه الشكل الذي أراده الدين نفسه .

واذا كان «الفقه السياسي» لم يؤثر قليلاً ولا كثيراً في سقوط خلافة قوم فسدت سياستهم ، فزالت دولتهم ، فشكل الحكم مهما كان ، لا يبقى على دولة فسد القائمون عليها .

وأخرى ، هي ان الاسلام او المسلمين ما وقفوا عند شكل واحد من اشكال الحكم فتقيدوا به ، فنقول : هذا هو الحكم الذي أمر الله به ورسوله . فلقد عرفوا الخلافة موحدة ومتعددة ؛ وعرفوا الملكية مطلقة ومقيدة ، وعرفوا ما يشبه الجمهورية قديماً ، وعرفوها اليوم ؛ بل هم قد عرفوا لكلٍّ من هذه الأشكال لوناً يختلف عن لون أخيه ؛ فخلافة الراشدين والبيعة في أيامهم ، وولاية العهد عندهم ، غيرها أيام الأمويين ؛ وليست هي اياها في عهد العباسيين والفاطميين ، بل خلافة الراشدين انفسهم على قلة في عددهم ، وعلى قربها عهداً من الرسول ، لم تكن واحدة : اختياراً وبيعة .

ثم ما لنا ولهذا كله ، فالمؤلف نفسه يقول : «لقد ترك لنا النبي أموراً كثيرة من امور السياسة والادارة ... نفكر فيها بعقولنا ، ونرجع فيها الى ضمائرنا ، فما نراه حسناً فهو عند الله حسن ! ..»

الاسلام يهمه من الحكم نوعه لا شكله ، فهو يريد العدل للناس ؛ والعدل

يقوم على روح الحكم ، ثم لا فرق بعد ذلك أكان ملكياً أم جمهورياً ؛ اشتراكياً ام شيوعياً ؛ فليست هذه المذاهب مطلوبة لذاتها ، محبَّبة لاسمها ؛ بل على قدر ما فيها من صلاح ، من حيث الزمان والمكان . فقد يقبح اليوم ما كان حسناً بالأمس ، وقد يحسن بهذا القطر ما يقبح بالقطر الآخر . فعلى الأمة الرشيدة أن تختار الحكم الذي يرضي مصلحتها ـ لا ذوقها ـ على ما قال الأستاذ عبد الرزاق ، بحيث تكون مصلحتنا العامة ، فثمة الحكم الذي نرضاه ، والصداقة التي ننشدها .

ولا نطيل في هذا ، اكثر من هذا ؛ بعد ان يقول المؤلف : « اذن ليس كل ما قاله القاضي المصري الفاضل (صحيحاً) ، وهبه صحيحاً فاننا انما نؤرخ في هذا الكتاب للحكم الاسلامي » .

يؤخذ على الأستاذ أنه يجتهد احياناً ليجعل من عمل بعض الخلفاء او الوزراء ؛ او من صفات يريدها أديب او فقيه او مؤرخ ، في الخليفة او الوزير ؛ قاعدة يبني عليها اصول الحكم . فاذا كان العمل الطالح بعمله الخليفة او الوزير ، لا يكون حجة في الطعن على الحكم عامة ، فكذلك العمل الصالح يقوم به خليفة او وزير ، لا يكون الحجة التي يقال معها : على هذا بنيت اصول الحكم . فأكثر كلام الأدباء والفقهاء والمؤرخين في الخلفاء والوزراء والمستوزرين لا قيمة له ، بل هو أشبه شيء بمقالات الجرائد ، وبيانات الوزراء وتصريحاتهم الرسمية ، وخطب المعارضين ، ومناهجهم الوطنية والشعبية ، في يوم الناس هذا .

وقد نقل المؤلف : أن جماعة ارادوا الرسول ـ وقد فتح مكة ـ على ان يصرف الحجابة عن صاحبها ويجعلها لعلي بن ابي طالب ، قال : « على نحو ما يصنع الحكام الجدد الذين ما يكادون يتسلمون مقاليد الحكم حتى يقذفوا (بالموظفين) الاكفياء ذات اليمين وذات الشمال ، ليضعوا مكانهم اقرباءهم وأنصارهم » .

وهي غمزة غمزها المؤلف قبل ان يلي الوزارة . ولكنها غمزة في غير موضعها . فليست البلية في ان الحكام عندنا يقذفون بالموظفين الأكفياء ذات اليمين

وذات الشمال . بل البلية في انهم لا يقذفون أحداً لا الأكفياء ولا غير الاكفياء . وهذا التصنيف ، قد فُتح به باب القذف على مصراعيه ، فما قذفوا منه حتى «أشد الناس عداوة للذين آمنوا» بل اصبح معه اتباع الأمس أسياد اليوم .

وأراد المؤلف ان يجعل من بعض الوقائع الغالبة احكاماً عامة ثابتة . من ذلك قسمه الامارة امارتين : امارة عامة على الصلاة والخراج . وامارة خاصة على الصلاة . قال : وان كلمة «الصلاة» لا تعني امامة الناس في صلواتهم فقط ، وانما تعني الولاية عليهم في جميع الأمور : الدينية والسياسية والحربية ، والقضائية والادارية باستثناء «جباية الأموال» فاذا جمع الأمير الصلاة والخراج كانت «امارته عامة» وان قصروا امارته على الصلاة فهي «امارة خاصة» .

ولو كان ذلك كذلك عاماً ، لكانت الامارة على الحرب مثلاً داخلة حكماً في الامارة على الصلاة ، ولما كان من حاجة الى ذكرها معها وعطفها عليها ، حتى في كثير من المواضع التي ذكرها المؤلف نفسه .

وقد جاءت في هذا الكتاب الفاظ لم يعرفها العرب حتى اواخر القرن الرابع الهجري ، فكان اولى ان يستعمل في مواضعها ما كان يعرفه العرب :

البحر الأبيض المتوسط ، بدلاً من بحر الشام . الموظفون ، بدلاً من العمال . « وقد تكررت هذه اللفظة عشرات المرات ، وفي الصفحة الواحدة حتى ليخيل اليك انك تقرأ قانون الموظفين » . روما ، بدلاً من رومية . والوليد الثاني بدلا من الوليد بن يزيد .

ومن الاستعمال الذي كان يستغنى عنه في مثل هذا الكتاب العربي البحت :

المراكز الحساسة ، والمنصب الحساس . والاكثار من استعمال (ما) : (رجل ما) و (حدما) و (جهة ما) و (خليفة ما) و . . . و . . . واعتنق ديناً ، ولا أكثر ولا أقل ، وهي ترجمة حرفية عن الفرنسية ، لا يجيزها البيان العربي الا بتأويل وتكلف . ولم يملك لا كثيراً ولا قليلاً .

ومن الكلمات التي تحتاج الى رجع نظرٍ فيها :

(مُباعات) وصوابها مبيعات . ومصانة وصوابها مصونة ، (وقد جاءت في تقليد الصابي وهي ولا شك من خطأ النساخ) ولا سيما وقد جاء فيه بعدها : (وامره ان يصون ...) .

ومثل هذه الهنات التي أشرنا الى بعضها لا يخلو منها كتاب يؤلفه احدنا في أيامنا هذه . وما أردنا الا ان نلفت نظر المؤلف العليم اليها حتى اذا رأى فيها رأينا استدركها في طبعة جديدة .

وبعد ، فان في هذا الكتاب من الفوائد الادارية والسياسية ، ما لو عمل القائمون على الحكم في البلاد العربية بعضه ، لكنا من أمرنا في أمَنة ومنعة ودعة ، ولكن أنى هذا ، وقد ذهب الذين يعملون ، وجاء الذين يقولون ؛ وشتان ما هما .

فنشكر للوزير المؤلف ما عاناه من جهد في جمع هذا الكتاب ووضعه ، حتى جاء مجموعة قيمة من الفوائد التي لا يستغني عنها معنيٌّ بالسياسة ، متتبع للتاريخ .

عارف النكدي

عائشة والسياسة

تأليف الأستاذ سعيد الافغاني

كتاب يقع في ثلاث مئة صفحة وتزيد ، من القطع الكبير ، حسن الطبع والتبويب . طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر .

الكتابة في التاريخ خطة صعبة ، لا يؤمن فيها العثار . فالانسان عسير عليه مهما اجتهد ان يتفلت من مشاعره ، وان يخالف عقائده ؛ وما فيه من نزعة الوراثة ، وهب استطاع ذلك او بعضه ، فهو في ما يكتبه عالة على من سبقه فكتب في التاريخ . والمؤرخون – الا اقلهم – جروا وراء منازعهم ، واتبعوا مذاهبهم ، وأرضوا نزعاتهم ؛ فأرخ كل مؤرخ ماأملاه عليه هواه السياسي أو المذهبي .

وصدق الأستاذ السيد محسن الأمين في كلمته التي بعث بها الى المؤلف وفيها :

«ومها بذل العلماء جهودهم في تنقية الأخبار لم يستطيعوا ـ وان يحاولوا ذلك ـ لأن العصبيات المذهبية والعداوات الدينية تأصلت في النفوس، وتوارثها الخلف عن السلف، ومن أراد تجريد نفسه عنها لم يوفق لكثرة ما في الأمر من اختلاط، الا ما شاء الله، ولا يمكننا تنزيه ما عند فريق دون فريق عن ذلك. فما علينا الا ان نعمم النظر، ونأخذ بما اتفق عليه الكل، وتوافقت عليه الأخبار من الطرفين - وأيده الكتاب العزيز والسنة الثابتة عند الجميع».

ويقول المؤلف: «.... ومن راعى جانب الناس وحاذر ان يصدم ما نشأوا عليه من اهواء، قضى ولم يقل من الحق شيئاً. وبحثنا هذا شائك، ما في ذلك ريب، وقد استعنت الله وسلكته على حرجه، بل لعلي لم اسلكه الا لحرجه، وأحب ان يعلم القارئ اني شرعت فيه قبل عشر سنين كوامل، وانا كغيري من المشتغلين بالتاريخ والأدب، احمل آراء في بعض الحوادث، واحكاماً على بعض الأشخاص، فما زلت أوغل في بحثي، واتحرى الصغيرة والكبيرة، وأنظر في مبادئ الحوادث ثم في ذيولها البعيدة .... حتى غيرت ـ على رغم هواي ومألفي ـ كثيراً من تلك الآراء وهذه الأحكام.»

فهل تحرر الأستاذ الأفغاني فعلاً في بحوثه (الشائكة) من سلطان المذهب والعصبية؛ فكان في ما كتبه المؤرخ العربي المسلم، او انه ظن ذلك في نفسه، ولم يكنه؟.

في الحق، ان الكتابة في مثل هذا الموضوع الذي عالجه المؤلف ليست صعبة فحسب بل شائكة؛ فعائشة (رضي الله عنها) طهرها قوم وكفرها آخرون؛ فهل جرى المؤلف في تأليفه على ما أخذ نفسه به من النزاهة والتجرد؛ فكان لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء، فذكر ما لها غير غال، وما عليها غير قال؟.

نعم! نقولها غير مترددين ـ واذا كان ثمة من موطن يناقش فيه، او رأي يؤخذ عليه، فما احسب ان المناقش او المؤاخذ يكون اكثر من المؤلف توفيقاً في دعم حجة وهدم حجة.

يقول الأستاذ : « ... الادارة والسياسة تقتضيان بعداً في التفكير ، ومنطقاً سديداً ، وحساباً دقيقاً للعواقب ، وصبراً مضنياً ، وضبطاً للعواطف ، وكبحاً للأهواء والنزوات .... الى صفات كثيرة كلها يعوز المرأة بل يعوز اكثر الرجال . فلا عجب ان كان اضطراب الأمور وتدخل المرأة في السياسة قرينين في التاريخ لا يفترقان ، الا حين يدير الأمور للمرأة وزراء حصيفون من وراء ستار . ومع هذا فقلما خلت امرأة ـ مهما حف بها من فحول المحنكين (كذا) ـ من طامع فيها ، مستغل لضعفها ؛ وما أكثر ما حفظ التاريخ من سير عروش كان الغرام هو الحاكم في ممالكها .... المرأة ريحانة وليست بقهرمانة » .

هذه كلمة عامة ، في المرأة عامة ، تنطبق على كل امرأة ومنهن عائشة ؛ غير ان المؤلف لم يقف عند هذه الكلمة العامة ، بل قال في عائشة كلمة خاصة في خاتمة كلامه :

« ان المرأة لم تخلق قط لتدس نفسها في المنازعات السياسية ... وليس لها ان تشارك في القلاقل والاضطرابات والفتن . ان بيدها مفاتيح خطيرة في التأثير في نفوس الجماهير واستغلال حميتهم ونخوتهم ... وقد أثبتت لك انه لولا موقف السيدة عائشة في امر عثمان ، ثم المطالبة بدمه من بعد ، لتغير مجرى الحوادث في تاريخنا ... ولسارت سيراً مأموناً مطرد الرقي مباركاً ، فيه الخير كل الخير للأقطار الاسلامية . »

هذا وأمثاله مما جاء في الكتاب ، يدلك على رأي المؤلف الناضج الموفق ؛ وهو : ان عائشة ما كان من مصلحتها ولا من مصلحة المسلمين ، ان تدخل نفسها في سياسة جرت كثيراً من المصائب على العرب وعلى المسلمين .

فاذا هو انتهى من هذا الذي عليها من الناحية السياسية ، عاد يثني على علمها : « وإنه قد بلغ ذروة الاحاطة والنضج في كل ما اتصل بالدين من قرآن وحديث وتفسير وفقه ... فكان عمر يحيل عليها كل ما تعلق بأحوال النساء او بأحوال النبي البيتية ؛ لا يضارعها في هذا الاختصاص احد من النساء على الاطلاق » .

وفي الكتاب على ما قال صاحبه : « الأدب الغزير ، من نثر وشعر واراجيز ، زخرت بها تلك الحوادث الجسام التي اكتوى بهـا العالم الاسلامي يومئذ . فنفث المصدورون من أبطال القتال وفرسان البلاغة أدباً حياً خالداً .... تقرؤه فتشارك قائليه شدائدهم وأهوالهم ، وتجد في نفسك الحسرة التي وجدوها ، وتعاني الآلام التي عانوا ، وتكاد كبدك تتفطر ألماً لما كابدوا .... واذا انت أيضاً تنفس عن صدرك بدموع حرار تسكبها غزاراً وأنت مغلوب على أمرك.... »

قلنا : كأننا في يومنا هذا ؛ نختلف ونتباحك ونتقاتل ؛ والعدو على الأبواب ، يستولي على ديارنا بقعة بقعة ، وبلداً بلداً ، ونحن في هذا الذي نحن فيه ، نمكّن له من التغلل والتغلب على العواصم والثغور .

والذي أريده ـ على ذكر هذا الذي ذكرته ـ ان يقرأ كل عربي ما جاء في كتاب الأستاذ الأفغاني عن ابن سبأ : هذا اليهودي الذي ملأت دسائسه ومؤامراته بلاد العرب ، ففرّق الصفوف ، وزرع البغضاء في القلوب ؛ كمثل ما يفعله قومه اليوم ، وهم يكتسحون بلاد العرب ويعملون على تهويدها قومياً ودينياً .

وفي الكتاب كثير من الآراء الصائبة (راجع الصفحات الـ ١٠٦ و ٢٠٧ و ٢١٠ و ٢١١) والحجج الراجحة كردّه على الشيخ عبد الوهاب النجار في الصفحة الـ ٩٦ وهو رد موفق ، لم يوفق مثله بالرد عليه في الصفحة الـ ١١٢ ـ ١١٣

والكتاب بعد مكتوب بلغة عربية ناصعة لا يكتب التاريخ في يومنا هذا بأحسن منهـا .

على أننا نريد ان نلفت نظر المؤلف المدقق الى بعض الفاظ وقفنا عندها . منها : جمعه (نيـة) على (نوايا) وما نحسبها تجمع على غير (نيات) . وضبطه (خُبْث) بالضم والتسكين ، في قوله : (كما يخلص الذهب من خُبْثه ، او الثوب من دَرَنه) ولعل الصواب من (خَبَثه) بالتحريك . و (الخَبَث) من المعدن : ما ينفيه الكير مما لا خير فيه ، وبذلك يستقيم المعنى والمبنى بين (خَبَثه) و (دَرَنه) .

واستعمل (الغوغاء) بمعنى الصوت والضجة في قوله: (وكانت بحيث تسمع الغوغاء ... فلم تلبث ان سمعت غوغاء شديدة فقالت ما هذا قالوا ضجة العسكر) .
و (الغوغاء) طغام الناس واوشابهم ولعله أراد (الضوضاء) .

وقوله: «ولنرجع ثلاثين سنة ... فسنجد» وفي رأينا ان الرجوع الى الوراء ثلاثين سنة لا يجتمع وهذه (السين) . وقوله: (تنبه الى هذا الخطر أهل البصر: السنيين والشيعيين) والصواب (السنيون والشيعيون) وقد يكون الأصل (من السنيين والشيعيين) فسقطت (من) في الطبع .

وفي بيت للزبير:

فقلت حسبك من عدل ابا حسن فبعض الذي قد قلت يكفيني

وهو عجز سقطت منه كلمة فاختل وزنه ، ويمكن ان يقال:

فبعض هذا الذي قد قلت يكفيني

واستعمل (المياتم) جمع (ميتم) لـ (بيت اليتيم) أو (دار اليتيم) وما اظن ان الميتم يؤدي هذا المعنى .

وكنت افضل لو كتب (روما) (رومية) كما كان يكتبها العرب .
وكذلك (روسية) و (اوربة) و (اميركة) فذلك اشبه بمصطلح العرب .

هذا ، والشكر الجزيل للمؤلف الفاضل على هذا الكتاب الذي أخرجه أحسن مخرج: موضوعاً ولغةً وأسلوباً وبياناً .

ع . ن

استدراك

ورد في السطر الخامس من الصفحة ٥٩٧ من المجلد الثالث والعشرين (لعله من العراق؟) والصواب حذف ذلك لأنه زيادة .

ع . ن

الدارس في تاريخ المدارس

تأليف عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي المتوفى سنة ٩٢٧

الجزء الأول ص ٦٦٥ عني بنشره وتحقيقه الأمير جعفر الحسني

وهو من مطبوعات المجمع العلمي العربي وطبع بمطبعة الترقي بدمشق ١٣٦٧ - ١٩٤٨

هذا كتاب آية من آيات المجد العربي فهو تاريخ العلم في دمشق مدة خمسة قرون، وتاريخ من درس في مدراسها من العلماء والفقهاء والمحدثين والقراء والأطباء، حرص المجمع العلمي العربي على نشره منذ زمن وعهد الى ثلاثة أساتذة من أعضائه (الشيخ عبد القادر المبارك والشيخ عبد القادر المغربي والسيد سليم الجندي) النظر في معارضته على عدة نسخ، ثم دفعه الى زميلهم الأستاذ الأمير جعفر الحسني فعلق عليه ونشره على صورة علمية مدققة فجاء مصدراً نفيساً من مصادرنا التاريخية التي لا غنية عنها.

وقد وقع في اسم كتاب الدارس واسم مؤلفه اختلاف منذ القديم فمنهم من نسبه لابن حجي ومنهم من عزاه الى النعيمي وكذلك كان اختلافهم في اسمه فقد قال السخاوي في الضوء اللامع عند ترجمة ابن حجي ان له كتاباً نفيساً سماه الدارس في أخبار المدارس قد احترق غالبه في وقعة التتار وقفت على كراريس منه محرقة. وقد كنا سألنا صديقنا فقيد العلم احمد تيمور باشا رأيه في الكتاب ومؤلفه فأجابنا: (والذي تبين لي أن الدارس في المدارس لا شبهة في أنه لابن حجي. اما موضوعه فيجوز ان يكون من موضوع كتاب النعيمي كما يجوز ان يكون مغايراً له. وأما كتاب النعيمي فلا أدري من أين اتاه هذا الاسم بعد ان صرح المؤلف في خطبته بانه سماه «تنبيه الطالب وارشاد الدارس لأحوال مواضع الفوائد بدمشق كدور القرآن والحديث والمدارس» الخ. وجاء في خطبة مختصره لعبد الباسط العلموي ما نصه «وبعد فهذا تعليق لطيف اختصرت فيه كتاب تنبيه الطالب وارشاد الدارس للعلامة محيي الدين ابي المفاخر النعيمي

الشافعي رحمه الله » الخ . وفي كشف الظنون : « تنبيه الطالب وارشاد الدارس فيما بدمشق من الجوامع والمدارس لمحيي الدين ابي المفاخر النعيمي الشافعي ومختصره للشيخ عبد الباسط الواعظ الدمشقي وهو مرتب على احد عشر باباً وخاتمة » انتهى ولم يذكر في حرف الدال الدارس . والظاهر ان بعضهم أراد اختصار اسم الكتاب فسماه بالدارس الا ان يكون المؤلف سمى الكتاب باسمين فقد يفعله بعض المؤلفين بل رأيت من سمى كتابه بثلاثة أسماء ولكن لا بد في ذلك من نص يثبته ولا أدري هل ورد هذا الاسم في طرة نسخة الظاهرية وهل هي قديمة يجوز الاعتماد على ما فيها ام لا) .

وبعد فانه لا يضرُّ العلم الاختلاف في اسم الكتاب واسم مؤلفه بقدر ما يضره فقده وعفاؤه . وان المجمع العلمي ليغتبط ان نشره للناس ووضعه بين أيدي العارفين للانتفاع به ، وعلى القصور في تراجم اكثر من ترجم لهم المؤلف من اعيان تلك العصور فانه ضمّ فوائد كثيرة وفيه وقفنا على اسماء مدارس وعلماء ما كانت تعرف لولا الدارس ، عرفنا في جملة ما عرفنا اسماء مهندسين واطباء وانه في دمشق كان للهندسة مدرسة ومدارس طبية وكانت عناية هذه المدارس بالعلوم الدينية خاصة ولم تغفل العلوم الدنيوية وما قيل في جقمق ومدرسته صورة من العصر مكبرة وما قيل في المدرسة الجقمقية وما صودر به جقمق وما كان اخذ قازان من اهل دمشق من الأموال واستفدنا مبلغ عناية الملوك بالعلماء والعلم وكانت التداريس براسيم سلطانية وتواقيع ملوكية واستفدنا منه اسماء الكتب التي كانت رائجة في التدريس وكانت تحفظ ومنها ما فقد واستفدنا مما نشر من الأقضية والأوامر فما ورد من مصر الى الشام ان القضاة لا يطلبون أحداً من عند حكام السياسة ولا يحكمون في من سبقت دعواه اليهم وكذلك حكام السياسة لا يأخذون أحداً من مجالس الشرع الشريف ولا يحكمون فيه الى غير ذلك مما لا نكاد نجده اليوم في كتاب .

فالشكر لصديقنا الأمير جعفر الحسني على العناية التي بذلها في خدمة هذا السفر الجليل .

محمد كرد علي

« مذكرات خالدة »

أدب المذكرات عريق في ثقافة الأمم، فلقد عرفته الانسانية المتأدبة منذ القديم وما آثار « تيت ليف » و « تاسيت » ولا خواطر « كسينوفان » و « أريستوفان » إلا مذكرات فيها كثير مما عاين هؤلاء المفكرون وما تمرسوا به من شؤون وشجون، وكتب من بعدهم ناس في دنيا الأدب العتيق أخباراً ورسائل وصفوا فيها صوراً من حياتهم ومنازعهم وألواناً من معايشهم وفنونهم، لكن أحداً منهم لم يفرد للمذكرات كتاباً خاصاً، وحين هب الأدب الغربي في أرجاء اوروبة أخذ فريق من الكتاب والمفكرين يعبرون عن آرائهم وخواطرهم بأسلوب المذكرات، وقد بدت آثارهم النفسية وميولهم الذاتية في صور اعترافات، والاعترافات أشد لصوقاً بصاحبها وتبياناً من المذكرات .

حين قرأت اعترافات فتى العصر لألفريد دهموسيه قلت كم يحلو التأدب بهذه الفكَر النافمة على مفاسد الحياة، والتي تبصر الناشئة بمزالق الشباب، فلما نقلها الى العربية الخطيب الأديب المأسوف عليه فليكس فارس أهدى الي نسخة منها فقرأتها وأنا أقول : هل يطلع أديب في لغتنا فيكتب لنا قصة حياته على هذا النحو الصادق في تمحيص الفلسفة الضارة والحضارة المتهورة، وراح فكري وراء كتاب « الأيام » الذي قص فيه الدكتور طه حسين ذكريات طفولته وصباه بين الريف والأزهر، فكانت هذه القصة الرائعة تأخذ مكانها في منتصف الطريق بين المذكرات والاعترافات، وكذلك « يوميات نائب في الأرياف » للأستاذ توفيق الحكيم، فقد صور فيها على السجية والحقيقة حياة القرية في مصر، فكانت أصدق آثاره وأحسنها، ولعل الأدب في دنيا المسيحيين قد تناول هذا اللون من الشعور الديني فانتقل فيه الاعتراف من حجرة الكنيسة الضيقة الى آفاق الحياة الواسعة، ويا روعة حدث في أدب الغرب الحديث جاء به آندره جيد في اعترافاته وذكرياته التي باتت أروع أدب إنساني موروث عن الحضارة

الفكرية الغربية وقد شاع هذا اللون من الأدب في آثار الأمم المعاصرة حتى رأينا كثيراً من المذكرات في الأدب وفي السياسة، لرجال ونساء .

وإذا انتقلت الى أدب المذكرات عند العرب وجدت أدبنا لم يكن خلواً منها، فان طائفة من الرواة والأدباء القدامى كانوا يعرفون بالأخباريين، وهل كان أدبهم في جملته إلا مذكرات عما عالجوا وعاينوا في حياتهم، وهذا ابو عثمان الجاحظ حشر في كتبه كثيراً من الذكريات في كل ما عرض له ورآه، فهو حيناً يصور مزاجه في الصحة والمرض، وآونة يعبر عن خواطره وأطواره فيما اتفق له مع العلماء والكبراء، ولكم قص علينا كيف كان يأكل وماذا أكل وأين سهر وبات؛ لقد عاش أوائلنا في أدبهم حياة خافقة بأرواحهم متألقة بمواهبهم، وما فاتهم أن يقيدوا في دفاترهم جوانب من حوادثهم اليومية ونوادر لفريق ممن عاشروهم ومارسوهم .

ولئن سبقت مصر في نهضتها الأدبية الحديثة الى أدب المذكرات، فشاع في آثار أعلامها فإن علامة الشام وباعث نهضتها الفكرية الأستاذ محمد كرد علي شاء ان يسد هذا النقص في أدبنا الجديد، بل ان ظهور مذكراته في فترة طغت فيها المادة وضاع صوت الأدب ليعد حدثاً رائعاً، وما هذه المذكرات إلا سجل كبير لحياة حافلة بالأحداث الجسام مرت بالمراحل والعهود التي ألمت ببلاد الشام، وفي المذكرات صور لطائفة ممن عرفهم المؤلف في الشرق والغرب وفي دنيا السياسة والصحافة، وفيها موضوعات منوعة عالجها وقيدها كما قال في روح مذكراته « ليشاركه أبناء هذا الجيل والذي بعده في الانكار على من أضجروه بقصورهم وآلموه بغرورهم »، وكان قصده منها « التحذير من دجل الدجالين والتنبيه على أحابيل المبطلين، والعمل على مكافحة الظالمين، ليعرف أن كل جيل لا يخلو من دعاة يحلو لهم الجهر بالحق مهما جشمهم، ومن افضل الطرق اليه ضرب السفهاء في وجوههم بعيوبهم » .

لقد جمع الأستاذ « كرد علي » في مذكراته سيرة حياته منذ كان يدلف الى الكتّاب الى يومه هذا وفي خلال ذلك ذكر أروع الحوادث التي عرضت له في وطنه وغربته ، في حياته العلمية والسياسية ، ولعل نبوغه المبكر وامتداد صيته الى مصر قد ملأا عمره بهذه الصفحات الغر من الذكرى البعيدة والقريبة

وأول ما طلع علينا من هذه المذكرات لقب مؤلفها وهو « كرد علي » فقد حيره هذا اللقب وحير الناس في أمره ، غير أنه أفضى بعنصره ولقبه الى قارئه فقال :

« جاء جدي من مدينة السليمانية من بلاد الأكراد ، شمال العراق ، وسكن دمشق قبل نحو مائة وخمسين سنة ، وأمي شركسية من قفقاسيا ، فأنا على رغم أنف من آمن وكفر من جنس آري لا يقبل النزاع ، وليس للغربي ولا للشرقي ما يقول في دمي » الى أن يقول « ولما بدأت أكتب في الصحف كان أقصى همي أن أعود الى اسمي الأول والى لقب بيتنا القديم ، فأصبحت « محمد كرد علي » واغتبطت ان حافظت عليه طول عمري وبه اشتهرت » .

وهنا لا بد لي أن أرى لنسب الأستاذ كرد علي الى العنصر الآري أثراً في نبوغه وإبداعه ، وهو رأي أرسله على نحو ما أرسل سليمان البستاني سنة ١٩٠٤ والأستاذ العقاد من بعده بأن تفوق ابن الرومي في الشعر وتجديده فيه كان من هذه الآرية المبدعة .

ثم يمضي الأستاذ كرد علي بقارئ مذكراته إلى ذكريات طفولته ، فيناله شيخاً باعد العمر بينه وبين تلك الطفولة الذكية التي كان يصحب فيها أمه الى أسرة بزقاق النارنجة في حي القيمرية بدمشق فيقع نظره لأول مرة على رفوف مصفوف عليها المجلدات ، فيشهق متعجباً ، ويسأل والدته عنها فتجيبه بأنها كتب يقرأ فيها العلماء ، ويعجب الصغير هذا المنظر الطريف فيقول لأمه : أنا أحب أن أتعلم هذه الصنعة !

وشاء القدر أن يربط بعد حين برابطة العلم والأدب بين هذا الفتى النجيب

وبين أكبر عالم سوري في زمانه هو الشيخ طاهر الجزائري الذي ملأ الأستاذ كرد علي قلبه وفاء له فوفاه حقه من الثناء والإعجاب في كثير من صفحات الكتاب ، وما كان أجدره بأن يؤلف للعالم الاسلامي كتاباً عن شيخه الجزائري الذي يعد في الديار الشامية كالشيخ محمد عبده في الديار المصرية .

ويصف بعد ذلك صاحب المذكرات أعذب الذكريات عن صغره العجيب وأثر الغوطة في حياته وثقافته ، منذ كان يذهب الى مزرعة أبيه في جسرين ويمتزج بالفلاحين فلا يتأنف منهم ولا يتجنى عليهم ، لقد نزل دوح جسرين فحنى عليه صغيراً وكبيراً ، وكان هو - مد الله في حياته - وفياً للغوطة على العمر ، ففي أفيائها ورياضها دوّن الأستاذ كرد علي كثيراً من ذكرياته ، ولو أن هذه المذكرات جاءت بترتيب زمني وتتابع منطقي لكانت أوفى بمعناها .

وإذا كانت تآليف الأستاذ كرد علي في جبين الحياة الشامية درة لا تقدر بثمن فإن مذكراته الخطيرة أروعها وأبقاها على الزمان ، فإلى صاحب هذه المذكرات التي جاءت بدعاً من مؤلفات العرب في هذا العصر بما فيها من حرية وبيان وعنافة وطرافة ، اليه تحياتي على الرغم مما جار فيه على بنات جنسي في مجاراة أعداء المرأة وظالميها الذين ينفون عنها كل موهبة ويجردونها حتى من خصائصها الطبيعية .

(دمشق) وداد سكاكيني

النظرية العامة

للموجبات والعقود في الشريعة الاسلامية

تأليف المحامي : صبحي المحمصاني

دكتور في الحقوق (ليون) ب . ح . (لندن)

أستاذ المجلة والقانون الروماني في جامعة بيروت الأميركية

الجزء الأول (ص ٢٦٠) . (الناشر : مكتبة الكشاف ومطبعتها : بيروت)

موضوع هذا الكتاب النفيس هو المقارنة بين فقه الاسلام في التصرفات الشرعية بوجه عام ، والتصرفات غير الشرعية أيضاً ، وبين ما يقابل هذه التصرفات

القانونية وغير القانونية في أعظم الشرائع القديمة والحديثة ، الدينية منها والمدنية ، كالعهد القديم (التوراة) والقانون الروماني ، وكالشرائع المدنية الأميركية والانكليزية والفرنسية والسويسرية ، والقانون المدني الألماني ، وقانون الموجبات والعقود اللبناني . والدكتور المحمصاني واسع الاطلاع على كتب الحديث ، ومذاهب الفقهاء فهو حجة في صحة ما ينقله عن أمهات المراجع الاسلامية كالمدونة الكبرى لإمام دار الهجرة مالك بن أنس المتوفى سنة ١٧٩ هـ والأم للامام الشافعي (٢٠٤) والمجموع للنووي (٦٧٦) وهو شرح مهذب الشيرازي الشافعي (٤٧٦) والمغني للموفق المقدسي الحنبلي (٦٢٠) مع الشرح الكبير لابن أخي المؤلف وتلميذه شمس الدين المقدسي (٦٨٢) وكالمحلى لمجدد القرن الخامس أبي محمد ابن حزم (٤٥٦) وكل مؤلف من هذه المؤلفات المذكورة يشتمل على اجزاء كثيرة ، فهو ينقل عن هذه الأمهات ، ويشير الى الأجزاء والصفحات ، وما يعزوه الى غيرها كثير أيضاً ، وهذا دأبه فيما يترجمه من المواد والأحكام ، عن كتب الحقوق الفرنسية والانكليزية وغيرها ، وهو ما تقتضيه أمانة العلم ، وقد قسم المؤلف هذا الجزء الأول من كتابه الى قسمين :

١ — التصرفات الشرعية بوجه عام .

٢ — التصرفات الفعلية أو الأعمال غير المباحة ويدخل فيها كما قال : أبحاث سوء استعمال الحقوق ، وأعمال الفضولي ، والكسب غير المشروع ، والجنايات والحدود ، والغصب والتعزير ، والجرائم المدنية ، ومسؤولية الإنسان عن أعماله وأعمال غيره ، وأعمال الجوامد والحيوانات التي تقع تحت حراسته .

نظرية الموجبات والالتزامات

قال الأستاذ المؤلف : إن نظرية الموجبات والالتزامات نظرية عامة ، وهي بلا ريب أهم ما ترك الرومانيون من نظريات وأبحاث فقهية ، فإنها تشمل ناحية كبيرة من المعاملات الشرعية ، وتضم القواعد التي ترتكز عليها جميعاً ، وقد

أعرب الدكتور المحمصاني عن قصده في طليعة كتابه فقال : وإنما الغاية من وضع كتابي استخلاص النظرية العامة للالتزام في الشريعة الاسلامية ، ومقارنتها بالنظرية العامة المعروفة في القوانين المدنية العصرية ، وأنا لا أدعي ان المسلمين في دراساتهم الفقهية تطرقوا من حيث الأسلوب الى نظرية عامة تشبه النظرية الحديثة ، بل انهم على العكس لم يفعلوا ذلك لأن هذه النظرية رومانية الأصل وإن الفقه الاسلامي لم يتأثر مبدئياً بفقه الرومان ، كما أثبت في كتاب « فلسفة التشريع في الإسلام » .

وهنا نشكر الدكتور على عنايته بهذا المبحث الجد ، وإثباته استقلال شرعة الاسلام عن فقه الرومان ، وتخطئته لمن يتخيل الإمام أبا حنيفة النعمان وغيره من الأئمة مترجين لفقه الرومان ، ويوهمون أن ما يقتبسه الشرق من قوانين الغرب الجديدة هو دليل على أن التاريخ يعيد نفسه في هذا المضمار ، ثم يكتبون ويستنتجون كما تشاء أهواؤهم ، أو كما يمليه عليهم اعتقادهم المغلوط ، أو كما توهلهم له دراستهم السطحية ، ثم قال أثابه الله وأدام توفيقه : وإن كل هذا والله كان من العوامل التي دفعتني الى تأليف كتابي (ص ٧) .

وأجاب المؤلف معتذراً عن فقهاء الإسلام – في إهمالهم لوضع النظرية العامة للعقود كلها ، وما يقابلها من موجبات والتزامات – ومعللاً ذلك بقوله : ولا عجب من ذلك فالفقه الاسلامي لم ينشأ تأريخياً عن بحث علمي ، بل هو وليد القضايا العملية التي كانت أسباب نزول الآيات القرآنية ، وأسباب السنة القولية والفعلية والتقريرية ، والتي كانت ميداناً للاجتهاد والقياس والاستدلال والاستحسان ؛ هذه القضايا العملية وجدت قبل أن توجد المبادئ العامة والقواعد الكلية . اه ص ٣١

وقد بين المؤلف معنى الموجب والالتزام في اللغة والاصطلاح الفقهي ، ومنه : وجب عقد البيع وجوباً بمعنى لزم وتم ، وعناصر الموجب : الدائن أو الدائنون ، والمدين أو المدينون ، ثم الرباط القانوني الذي يربطها ، ويعتبر المدين بموجبه ملزماً

(أو ملتزماً) نحو الدائن، وأخيراً الموضوع، وهو إما أداء شيء، أو تسليم شيء أو إجراء عمل، أو الامتناع عن عمل معين» .

وهنا يخطر في البال سؤال وهو أن الكتاب العزيز والسنة النبوية وافيان بالنصوص التي تعد أصولاً لهذه (النظرية العامة) ـ الرومانية الأصل والتي اقتبستها القوانين الحديثة ـ في العقود والعهود والشروط والموجبات والالتزامات، وهي دالة على معانيها ومقاصدها، بعموم الفاظها لا بطريق الاجتهاد والاستحسان، وقد ذكر الإمام ابن قيم الجوزية طائفة منها في (أعلام الموقعين) وسترى أنها هي في نفسها قواعد كلية ومبادئ عامة مشتملة على المصالح والمطالب الشرعية، معللة بعللها وأسبابها، ولم أرها في كتاب «النظرية العامة للموجبات والعقود» وهي مما يتصل بصميم موضوعه، وأعلام الموقعين من مراجع الدكتور الكبرى، وهو معجب بمؤلفه احد أئمة الاصلاح والتجديد (٧٥١) وقد نشر في مجلة مجمعنا العلمي وهو من اعضائه مقالاً ضافياً عنه (ج ٣ م ٢٣) أبان فيه اعجابه بمزاياه، وإني ألخص عن ابن القيم في أعلامه جملاً قصيرة مما يدخل في نصوص «النظرية العامة» وأدع الباقي لمن يريد استيفاءه منه .

قال عليه الرحمة والرضوان: ان ما لا تتناهى افراده لا يمتنع أن يجعل انواعاً، فيحكم لكل نوع منها بحكم واحد، فتدخل الأفراد التي لا تتناهى تحت ذلك النوع، الى أن قال: «دخل في قوله: وجزاء سيئة سيئة مثلها، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» ما لا تحصي أفراده من الجنايات وعقوباتها حتى اللطمة والضربة والكسعة[1] كما فهمه الصحابة . ودخل في قوله: «قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم والبغي بغير الحق» تحريم كل فاحشة ظاهرة وباطنة، وكل ظلم وعدوان في نفس او مال او عرض .

ودخل في قوله «والجروح قصاص» وجوبه في كل جرح يمكن القصاص منه، وليس هذا تخصيصاً، بل هو مفهوم من قوله قصاص وهو المماثلة .

(١) كسعه: اذا ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه

ودخل في قوله : « وعلى الوارث مثل ذلك » وجوب نفقة الطفل وكسوته ، ونفقة مرضعته على كل وارث قريب او بعيد .

ودخل في قوله : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » جميع الحقوق التي للمرأة وعليها ، وأن مرد ذلك الى ما يتعارفه الناس بينهم ، ويجعلونه معروفاً لا منكراً ، والقرآن والسنة كفيلان بهذا أتم كفالة (ج ٢ ، ٢٦ ـ ٢٧) [١] .

النصوص الكلية العامة المغنية عن القياس في « العقود والموجبات »

وقد زاد الامام ابن القيم على ما تقدم من النصوص العامة المغنية عن القياس في العقود والموجبات معاً ، زيادات مهمة تدل على شمول النصوص للأحكام وتفاوت الأفهام فيها ، وبيان دلالة النص ، والاكتفاء به عما عداه ، وأن القياس شاهد وتابع ، لا أنه مستقل في إثبات حكم من الأحكام لم تدل عليه النصوص : فمن ذلك الاكتفاء بقوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » عن إثبات قطع النباش بالقياس اسماً او حكماً ، إذ السارق يعم في لغة العرب وعرف الشارع سارق ثياب الأحياء والأموات .

ومن ذلك الاكتفاء بقوله : « قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم » في تناوله لكل يمين منعقدة يحلف بها المسلمون من غير تخصيص إلا بنص أو اجماع ، وقد بين ذلك سبحانه في قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ، فكفارته إطعام عشرة مساكين » فهذا صريح في أن كل يمين منعقدة فهذه كفارتها ، وقد أدخلت الصحابة في هذا النص الحلف بالتزام الواجبات ، والحلف بأحب القربات المالية الى الله وهو العتق .

ومن ذلك الاكتفاء بقوله ﷺ : من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد في إبطال كل عقد نهى الله ورسوله عنه وحرمه ، وأنه لغو لا يعتد به نكاحاً كان او طلاقاً او غيرهما .

---

(١) من أعلام الموقعين المطبوع مع حادي الأرواح للمؤلف أيضاً (طبعة فرج الله زكي الكردي بمصر سنة ١٣٢٥ هـ) .

ومن ذلك الاكتفاء بقوله تعالى : « وقد فصّل لكم ما حرم عليكم » مع قوله ﷺ : « وما سكت عنه فهو مما عفا عنه » فكل ما لم يبين الله ولا رسوله تحريمه من المطاعم والمشارب والملابس والعقود والشروط فلا يجوز تحريمها ، فان الله سبحانه قد فصل لنا ما حرم علينا ، فما كان من هذه الأشياء حراماً ، فلا بد أن يكون تحريمه مفصلاً ، وكما أنه لا يجوز إباحة ما حرمه الله ، فكذلك لا يجوز تحريم ما عفا عنه وأحله وبالله التوفيق » (ج ٢ : ٨١ ـ ٨٣) .

أقول : هذا قليل من كثير من النصوص العامة الشاملة التي تجمع بين المتماثلات ، وتثبت « النظرية العامة للعقود والموجبات » إذ أنها صريحة في أن جميع العقود الدنيوية مأذون فيها ، وعلى الإباحة والصحة وهي تشمل الغذاء والكساء والبناء ، والبيوع والأنكحة وغيرها ، وما فيها من شروط وقيود ، وأنه لا يصح تحريم شيء منها ، ولا تأثيم أحد فيها ، إلا بنص من الشارع ، وقد فصل لنا ما حرم علينا منها . والأصل في ذلك قول الله العليم الحكيم في اول سورة المائدة « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » فهو أمر بالوفاء في كل عقد عقده المؤمن وارتبط به مع غيره ، ويدخل في هذا الباب : العقدُ بالفعل ، كإعطاء المال لمن بيده تذاكر السفر في البواخر ، والمراكب البرية والجوية . ومثله قوله : « وأوفوا بالعهد » فهو أمر بالوفاء بالعهود كلها ، وقال : « والموفون بعهدهم اذا عاهدوا » فهذه الأدلة تثبت « النظرية العامة في العقود » ويدخل فيها جميع ما أورده الفقهاء في أبواب المعاملات التي عقدوها في كتبهم ، وما سكت عنه الشارع رحمة منه غير نسيان ولا إهمال . وإنما نهى الرسول ﷺ ، عن أنواع من المعاقدات كانت في الجاهلية لما فيها من غبن وغش ، وغرر وضرر ، وأمثلتها معروفة في الصحيحين وغيرهما ، وهي معاقدات باطلة ، لأنها مناقضة للعقود الصحيحة النافعة ، أو هي من الكسب غير المشروع ، ومثلها الخلف في العهود ، والحنث في الأيمان والعقود ، والأعمال غير المباحة كالجرائم (التي يرتكبها شخص ،

ويلتزم بضمان تناتجها) كما قال المؤلف فهي كلها داخلة في مصادر الالتزام والموجبات من كتاب « النظرية العامة » .

ومن هذه القواعد القرآنية ، والمبادئ الكلية العامة التي اشتقت منها ، أخذ علماء الأصول قواعدهم ، وبنى عليها الفقهاء أحكامهم ، فالقرآن الكريم ـ في هذا الباب كشريعة الرومان ـ هو أصل الأصول ، ومصدر التشريع والتفريع ، والاستنباط والتخريج ، وقد أسند فيه الافتاء والقضاء الى منزله « قل الله يفتيكم » « فالله يحكم بينهم » وقضت به سنة النبي عليه السلام ، في النوازل والأحكام ، وسار على هذين الأصلين الصدر الأول ومن تبعهم بإحسان ، أخذاً واستدلالاً ، واجتهاداً وقياساً ، فتولدت الفروع من الأصول ، وتنوعت فيها المآخذ والمدارك ، ودونت المذاهب على تراخي العصور ، ورتب الفقه هذا الترتيب الذي تراه في مصنفاته .

ولعل مؤلفنا القانوني الكبير يفرغ في الجزء الثاني هذه المباحث العلمية في لغة النظريات الحديثة ، ويضيف ذلك الى مآثر ابن القيم وخصائصه .

هذا وانا نوجه نظر المؤلف الكريم إلى ما يأتي ولعله من سهو القلم :

جاء في ص ٨٤ و ٨٥ و ٨٧ : « ابن القيم الجوزية » وإنما هو ابن قيم الجوزية ، والجوزية من مدارس دمشق وقد أم الناس فيها كما في طبقات الحافظ ابن رجب « ودرس بالصدرية وأم بالجوزية مدة طويلة » والدرر الكامنة ج ٣ ص ٤٠ ، والشذرات ج ٦ ص ١٦٩ .

ص ١١٧ و ٢٢٥ « في المذهب الظاهري البائد »

إن أدري كيف يكون بائداً وهو مدون في كتب المذاهب والخلاف المطبوعة ، ومعدود من أفضلها بما فيه من اتباع الدليل ، ومستفاد منه على مر العصور ، وهذا امام الشافعية في عصره ، العز بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء (المتوفى سنة ٦٦٠) يقول : ما رأيت في كتب الإسلام في العلم ، مثل : المحلى والمجلى (لابن حزم) وكتاب المغني للشيخ موفق الدين بن قدامة في جودتها ،

وتحقيق ما فيها ، وكان يستعير المحلى وشرحه المحلى كما انه نقل عنه أنه قال : لم نطب نفسي بالفتيا حتى صارت نسخة من المغني عندي (انظر ترجمة الموفق في مقدمة المغني طبعة المنار) وقد طبع كتاب المحلى العظيم لابن حزم الظاهري ، وعنه نقل المؤلف ، كما طبع بعض فضلاء الحنابلة بدمشق أقوال الإمام داود الظاهري واختيارات شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالة واحدة .

ص ١٧٣ «وهذا الاختلاف في الاستعمال لايجب ان يفسر بالغموض ولابالابهام» وإذا انتفى الوجوب في لغة الفقه بقي الجواز ، والصواب : لا يجوز أن يفسر الخ .

وبعد فإن هذا الكتاب من خير ما ألف في موضوعه ضبطاً وتحريراً ، ودلالة على المصادر الفقهية الكبرى ، وأخذاً عنها ، وموازنة بينها وبين المآخذ الأورپية ، وترجيحاً للفقه الاسلامي عليها ، وهو من أهم المراجع لانشاء مجلة تسير على نهج مجلة الأحكام العثمانية (على ألا تكون مثلها مقيدة بمذهب واحد) تبحث في المسائل الشرعية العصرية ، وتضع لها ما يناسبها من الأحكام .

فشكر الله لمؤلفه ما بذل من جهد ، وأنفق من وقت ، وجعله قدوة للعاملين المحسنين في هذه السبيل .

محمد بهجة البيطار

الدرر المباحة في الحظر والاباحة

تأليف الشيخ خليل بن عبد القادر الشيباني الشهير بالنحلاوي

أحسن المؤلف رحمه الله في جمع ما يحتاج الانسان الى معرفته في مأكله وملبسه ومسكنه ، وفي عبادته لربه ، ومعاملته لخلقه ، وما قاله الفقهاء في ذلك كله حظراً أو إباحة ؛ وقد رتب هذا الكتاب الذي يقع في نحو (١٥٠) صفحة على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة . فالمقدمة في تعريف الحظر والاباحة ، والباب الأول في الأكل والشرب ، والثاني في اللبس والكسوة ، والثالث في النظر والمس ، والرابع في الكسب والحرفة ، والخامس في الاخلاق الذميمة ، والخاتمة في العقيدة

الإسلامية - والمؤلف ناقل غير قائل، وهو يعزو إلى الكتب وصفحاتها، وقد ذكرها في آخر كتابه مع رموزها ليسهل الرجوع اليها .

وكنا نرجو أن يختار المؤلف من بين تلك «الدرر المباحة» ما كان أكثر ملاءمة لحاجة العصر، ليتبين به يسر الفقه الإسلامي، وان اختلاف الأئمة رحمة، والأخذ من متنوع مذاهبهم نعمة، وأما التمسك بقول واحد لا محيد عنه فهو نقمة، لا سيما اذا لم يرد به نص صحيح، ولا قياس صريح، وقد قال الشهاب القرافي في قواعده: «ومن جهل المفتي جموده على النصوص في الكتب، غير ملتفت الى العرف» .

وأيضاً فينبغي للمفتي أن يذكر دليل الحكم ومأخذه ما أمكنه من ذلك، ولا يلقيه الي المستفتي ساذجاً مجرداً عن دليله ومأخذه، ومن تأمل فتاوي النبي ﷺ الذي قوله حجة بنفسه، رآها مشتملة على التنبيه على حكمة الحكم ونظيره ووجه مشروعيته، لا سيما اذا كان الحكم مستغرباً جداً مما لم تألفه النفوس وانما ألفت خلافه، فينبغي للمفتي أن يوطئ قبله ما يكون مؤذناً به كالدليل عليه، والمقدمة بين يديه . وقد ختم الإمام ابن القيم كتابه أعلام الموقعين بفوائد تتعلق بالفتوى ومنها ما ذكرناه، وانما دعانا الى هذا بعض ما أورده المؤلف من المسائل الغريبة التي يحتاج إثباتها الى نص ديني قاطع وإلا وقع الناس في حرمات لا نهاية لها من غير بينة شرعية قطعية، واليك ملخص قوله من الباب الثالث في النظر والمس: «إذا مس الرجل امرأة مشتهاة حية تم لها تسع سنين بشهوة من احدهما أو منهما ولو لشعر على الرأس ولو بحائل لا يمنع الحرارة! .. حرم عليه أصولها وفروعها وحرم عليها أصوله وفروعه! ... «فلو قبل الرجل بنت امرأته المشتهاة أو مسها بشهوة من احدهما حرمت عليه أمها حرمة مؤبدة ... ثم قال بعد ايراد مسائل من هذا النوع: ولا فرق في ثبوت الحرمة بالجماع أو اللمس أو النظر بشهوة بين كونه عامداً أو ناسياً او مكرهاً او مخطئاً ؟

وليس الكلام في حرمة ما ذكره وانما السؤال عن الدليل في تحريم كلٍّ من اصول الرجل والمرأة وفروعهما على التأبيد ، لا سيما الناسي والمكره والمخطئ المرفوع عنهم الإثم بنص الحديث ، فما دليل ما ذكروه وما تعليله يا ترى ؟ لقد كان على المؤلف رحمه الله أن يمحص الأقوال قبل عرضها ، فما كل بيضاء فضة ، ولا كل خضراء روضة .

وعلى كل فقد أحسن أولاده الأكارم بنشر هذا المؤلف ففيه فوائد كثيرة مجموعة في كتاب واحد جزاهم المولى خيراً .

م . ب . ب

شروح سقط الزند

قسمها الثالث من السفر الثاني

على أثر إقامة مهرجان ابي العلاء المعري بدمشق (٢٥ ايلول سنة ١٩٤٤) ألفت وزارة المعارف المصرية لجنة دعتها (لجنة إحياء آثار ابي العلاء) تعمل على جمع أخباره ونشر ما انطوى من مختلف آثاره فكان أول ما أصدرته السفر الأول المسمى (تعريف القدماء بأبي العلاء) اقتصرت فيه على تراجمه وأخباره ونشرته خلال ايام المهرجان ثم في سنة ١٩٤٥ م اصدرت السفر الثاني واقتصرت فيه من شروح أشعار ابي العلاء المسماة (سقط الزند) على ثلاثة (التبريزي) (والبطليوسي) (والخوارزمي) وجعلته أقساماً وضمنت كل قسم ما قاله الشراح الثلاثة على كل قصيدة من قصائد (السقط) فتذكر البيت من القصيدة وتعقبه بما قاله كل واحد من الثلاثة في شرح معناه وهي طريقة طريفة يستخفها المطالع من حيث أنها تُسهل عليه تناول الفائدة وتقريب ما يريد فهمه من شعر ابي العلاء فالقسم الأول من السفر الثاني استوعب شرح اربع عشرة قصيدة ولم يصل الينا القسم الثاني ، ويظهر أنه استوعب سبعاً وعشرين قصيدة حتى وصل الى مجمعنا بالأمس القسم الثالث مطبوعاً كاخوته في مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٧ م

وقد استوعب هذا القسم اثنين وعشرين قصيدة فالمجموع الناجز الى اليوم ٦٣ قصيدة .
وأولى قصائد هذا القسم (اي الثالث) في رثاء ابي ابراهيم العلوي ومطلعها :

(بني الحسب الوضاح والشرف الجم   لساني ان لم ارث والدكم خصمي)

وهو في نحو ٤٦٠ صفحة حسنة الطبع كاملة القطع توفرت فيها العناية ومظاهر الضبط والتصحيح والتعليق الى أقصى حد ممكن ، ولا عجب فان أعضاء اللجنة من أنجب من أنبتتهم ارض مصر وأكملهم ثقافة وأشدهم كلفاً بخدمة العلم .

أشرنا آنفاً الى عناية اللجنة بالتعليق والشرح بيد أنا عثرنا ونحن نتصفحه على بضع ملاحظات أحببنا ذكرها توفية لخدمة الكتاب واستئناساً بمشايعة اخواننا أعضاء اللجنة في عملهم .

ص ٩٨٧ في الهامش : قولهم وانما كان مولد الشافعي يوم وفاة ابي حنيفة فلا يتصور التحامل منه على ابي حنيفة صوابه (التحامل على الشافعي) كما هو ظاهر من سياق الكلام في المتن .

ص ١٠٩٩ في الهامش : الميْس شجر تعمل منه الرماح صوابه تعمل منه اكوار الإبل ورحالها وكان يحسن ان يقال في التعليق على كلمة الميس الواردة في هذا المقام هكذا : (الميس) اكوار الابل وهو اسم شجر سميت الرحال والاكوار باسمه . وهذا كالشيزى اسم لشجر اسود تتخذ منه جفان تسمى باسمه والغضار اسم لطين حر علك تتخذ منه آنية خزفية وتسمى باسمه . والركب في بيتي ابي تمام انما يمتطون أكوار الميس لا اشجاره .

ص ١١٠٧ قول رؤبة (اذا الدليل استاف أخلاق الطرق) (أخلاق) بالقاف كذا رواها الشراح الثلاثة وقال المصححون : (أخلاق الطرق) هي الطرق القديمة العادية ثم أحالوا القارئ الى خزانة الأدب وديوان رؤبة وأرى ان كلمة (اخلاق) صحفت على من رواها عن رؤبة لا على رؤبة نفسه وإنما قال (اي رؤبة) (اذا الدليل استاف اخلاف الطرق) بالفاء لا بالقاف والاخلاف جمع خلف .

وهو. الناقة بمنزلة الضرع لغيرها جعل رؤية الطرق اخلاقاً بعد ان شبهها بالنياق. وكانوا اذا أخطأ الدليل الطريق في الظلام عمد الى ترابه فاستافه اي شمه ليعلم من رائحة ما اختلط به من بول او روث ان كان الطريق طريقه الذي يريده أم لا وهذا كالفصيل يشم اخلاف أمه ليعلم ان كانت هي أمه فيمتلج أم لا فيعمد الى غيرها حتى يهتدي الى أمه ·(والأخلاق) بالقاف جمع (خَلَق) وأكثر ما توصف به الثيــاب وما يتخذ منها: رداء خلق · ملحفة خلق جبة خلق الخ ولم نر في المعاجم أثراً لوصف الطرق بالخلوقة فلم ينقلوا أنه يقال طريق خَلَق أي قديم او بالٍ على ان الدليل انما يعمد الى شم تراب الطريق الذي يشك فيه سواء أكان قديماً أم حديثاً · وقد استعمل هذه الجملة (استاف اخلاف الطرق) عبد الله بن احمد الخازن من صنائع الصاحب بن عباد (المتوفى سنة ٣٨٥) وملازمي مجلسه ثم هجره مغاضباً ثم تاب اليه تائباً وقال في كتاب قص فيه واقعة حاله: (وصيحت جرجان اهدى من القطا الكدري · كأني دعيميص الرمل · استاف أخلاق الطرق الخ) كذا ورد نص هذا الكتاب في ترجمة الخازن في يتيمة الدهر للثعالبي طبعة دمشق (جزء ٣ ص ١٤٨) وفيه (أخلاف) بالفاء وليس في هذا حجة ما دام التصحيف ممكناً وانما حجتنا ما ذكرناه آنفاً · والحجة الوثقى هي مخطوطة ديوان (رؤبة) المقروءة على الشيوخ بالرواية عنه اذا تيسر العثور عليها ·

ص ١١٨٧ في الهامش قول متمم بن نويرة:

(وما وجد أظآر ثلاث روائم   أصبن مَجَرّاً من حوار ومصرعا)

المجرّ موضع جر الشيء قال ابو الطيب المتنبي (مجرّ عوالينا ومجرى السوابق) وهنا الحوار اذا صرع اما يكون له مجرّ يُجرُّ فيه؟ نعم ولكن ربما كان الأصح والأصوب (مخرّ) بالخاء المعجمة بمعنى المصرع جاء في اللسان (وخرّ مات وذلك ان الرجل اذا مات خرّ اي سقط ····· وقوله تعالى: فلما خر تبينت الجن · يجوز ان تكون خر هنا بمعنى وقع ويجوز ان تكون بمعنى مات اه)

وأشرنا آنفاً الى ان (عجرا) بالجيم لا تعدم تأويلاً ولا سيما اذا ظفرنا برواية عن الشيوخ ·

ص ١١٩٩ قال امرؤ القيس يصف ثغراً :

(منابتــه مثل السدوس ولونه كشوك السيال وهوعذب بفيص)

فسروا (في الهامش) بفيص بمعنى يحيد وتفسيره بذلك لا يناسب هنا وانما المناسب ان يفسر بأحد معانيه الآخر وهو ما فسره به اللسان في مادة (فيص) (جزء ٨ ص ٣٣٥) وهذه عبارته (وقول امرئ القيس منابته مثل السدوس الخ قال الأصمعي ما أدري ما يفيص · وقال غيره هو من قولهم فاص في الأرض اي قطر[١] وذهب · قال ابن بري وقيل يفيص يبرُق · وقيل يتكلم يقال فاص لسانه بالكلام وأفاص الكلام أبانه · فيكون يفيص على هذا حالاً أي هو عذب في حال كلامه اهـ) · فيفيص في قول امرئ القيس عن الثغر (وهو عذب يفيص) انما يفسر بأحد هذه المعاني أما تفسيره بيحيد فلا نرضى به وان ارضانا كل ما جاء به اولئك الفضلاء مصححو (شروح سقط الزند) ومفسروها والمعلقون عليها جزاهم الله خيراً عن أتعابهم في خدمة لغتنا وآدابنا ·

المغربي

---

(١) قطر في الأرض قطوراً ذهب وأسرع ·

من تراث النبوة

في العلم والحكمة والأخوة

تأليف الأستاذ حمدي عبيد

طبع في مطبعة الترقي بدمشق في زهاء ٢٠٠ صفحة بالقطع الصغير

جمع المؤلف في هذا الكتاب المفيد ١٥٥ حديثاً نبوياً التقطها من حديث البخاري وكأنه راعى في اختيارها الإيجاز . ليسهل استظهارها على مطلق الناس . كما انه تعمد بسط معناها بعبارة لينة لا تعقيد فيها ولا تكلف جزالة زيادةً في تسهيل فهمها . وتيسير أمرها على قارئيها . والقليل من هذه الأحاديث المختارة في العبادات . وجلّها في يسر الاسلام وفي الآداب ومكارم الأخلاق فما أجدر الجمهور من عامة وفتيان وفتيات بالحرص على مطالعتها والاستضاءة بنور هدايتها مكان تلك (النشريات) الملأى بما يضر ولا ينفع . ويفسد ولا يصلح . والكتاب حسن الحرف جيد الطبع وقد ضبطت احاديثة الشريفة بالشكل الكامل فكان بمجموعه قليل الأغلاط ، ومما لاحظناه عليه وأحببنا التنبيه اليه ان المؤلف ترك تفسير الألفاظ اللغوية الواردة في الحديث والاكتفاء بفهم القارئ لمعنى اللفظ من السياق أو من الشرح والتعليق على الحديث : فأحياناً لا يفهم القارئ معنى اللفظ اللغوي بالمرة وأحياناً يفهمه على صواب كتفسير فعل (لا تزرموه) (ص ١٤) وأحياناً يفهمه على خطأ كتفسير قوله ﷺ (ولعل بعضهم ألحن بحجته) ـ وفسر (اللحن) بالفصاحة وقوة الحجة إذ قال الشارح (لم ألسنة فصيحة وحجة قوية)(ص ٥٣) مع ان صاحب النهاية في تفسير غريب الحديث يقول في تفسيره : (أراد ان بعضكم يكون أعرف بالحجة وأفطن لها من غيره) وتابعه السيوطي فقال : (أي أفطن لها وأعرف بها) ومهما يكن من أمر فللمؤلف الشكر وجزيل الأجر .

المغربي

آراء وأنباء

أعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م

١	الأستاذ محمد كردعلي (رئيس المجمع)	دمشق
٢	الدكتور اسعد الحكيم	〃
٣	الأمير جعفر الحسني	〃
٤	الدكتور جميل الخاني	〃
٥	〃 جميل صليبا	〃
٦	〃 حسني سبح	〃
٧	الأستاذ خليل مردم بك (امين السر العام)	«
٨	〃 سليم الجندي	〃
٩	〃 شفيق جبري	〃
١٠	〃 عارف النكدي	〃
١١	الشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس)	«
١٢	الاستاذ عز الدين التنوخي	〃
١٣	〃 فارس الخوري	〃
١٤	السيد محسن الأمين	〃
١٥	الاستاذ محمد البزم	〃
١٦	الشيخ محمد بهجة البيطار	〃
١٧	الدكتور مرشد خاطر	〃
١٨	الأمير مصطفى الشهابي	〃
١٩	الدكتور منير العجلاني	〃
٢٠	الاستاذ هنري لاوست	〃
٢١	الشيخ راغب الطباخ	حلب
٢٢	〃 عبد الحميد الجابري	〃
٢٣	〃 عبد الحميد الكيالي	〃
٢٤	الدكتور عبد الرحمن الكيالي	〃
٢٥	الاستاذ عمر ابوريشة	〃
٢٦	الشيخ محمد زين العابدين	〃
٢٧	البطريرك مار اغناطوس افرام	حمص
٢٨	الأستاذ محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)	اللاذقية
٢٩	الشيخ سعيد العرفي	دير الزور
٣٠	〃 ابراهيم منذر	بيروت
٣١	الاستاذ أنيس المقدسي	〃
٣٢	〃 بشارة الخوري	〃
٣٣	الدكتور صبحي المحمصاني	〃
٣٤	〃 عمر فروخ	〃
٣٥	الشيخ فؤاد الخطيب	〃
٣٦	الفيكونت فيليب دي طرازي	〃
٣٧	الدكتور نقولا فياض	〃
٣٨	الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	زحلة
٣٩	الشيخ احمد رضا	جبل عاملة

٤٠	الشيخ سليمان ظاهر	جبل عاملة
٤١	الأب أ.س. مرمرجي الدومنكي	القدس
٤٢	محمد الشريقي باشا	عمان
٤٣	الشيخ رضا الشبيبي	بغداد
٤٤	طه باشا الهاشمي	〃
٤٥	الاستاذ عباس العزاوي	〃
٤٦	الشيخ كاظم الدجيلي	〃
٤٧	〃 محمد بهجة الاثري	〃
٤٨	الدكتور مصطفى جواد	〃
٤٩	الاستاذ احمد حامد الصراف	〃
٥٠	〃 كوركيس عواد	〃
٥١	الدكتور داود الجلبي	الموصل
٥٢	الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني	القاهرة
٥٣	احمد امين بك	〃
٥٤	الاستاذ احمد حسن الزيات	〃
٥٥	الدكتور احمد زكي بك	〃
٥٦	احمد لطفي السيد باشا	〃
٥٧	الاستاذ خليل ثابت	〃
٥٨	خليل مطران بك	〃
٥٩	الاستاذ خير الدين الزركلي	〃
٦٠	الدكتور طه حسين بك	〃
٦١	الاستاذ عباس محمود العقاد	〃
٦٢	الدكتور عبد الوهاب عزام	〃
٦٣	الشيخ محمد الخضر حسين	〃
٦٤	الاستاذ محمد لطفي جمعة	〃
٦٥	الامير يوسف كمال	〃
٦٦	الأستاذ عبد الحميد العبادي	الاسكندرية
٦٧	حسن حسني عبدالوهاب باشا	تونس
٦٨	الاستاذ مارسه	〃
٦٩	〃 عبد الحي الكتاني	فاس
٧٠	〃 عبدالعزيز الميمني الراجكوتي	عليكر
٧١	〃 عباس إقبال	طهران
٧٢	〃 محمد الحجوي	مراكش
٧٣	〃 كي	بوليفيا
٧٤	〃 ماسه	باريس
٧٥	〃 دوسو	〃
٧٦	〃 كولان	〃
٧٧	〃 ماسينيون	〃
٧٨	〃 هيس	سويسرا
٧٩	〃 كرينكو (كمبردج)	انكلترا
٨٠	〃 هـ.ا.رجيب (اوكسفورد)	انكلترا
٨١	〃 بروكلمن	المانية
٨٢	〃 هارتمان (ريشار)	〃
٨٣	〃 سترستين	السويد
٨٤	〃 استروب	الدانيمارك
٨٥	〃 موجيك	فينا
٨٦	〃 ماهلر	بودابست
٨٧	〃 كراتشكوفسكي	لينغراد
٨٨	〃 كرسيكو	فنلاندة
٨٩	〃 فيليب حتي	اميركة
٩٠	〃 هرزفلد	〃
٩٢	〃 سعيد ابو جمرة	البرازيل

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

١	الشيخ طاهر الجزائري	دمشق
٢	〃 سليم البخاري	〃
٣	الاستاذ مسعود الكواكبي	〃
٤	〃 الياس قدسي	〃
٥	〃 أنيس سلوم	〃
٦	〃 جميل العظم	〃
٧	〃 مالنجو	〃
٨	〃 سليم عنحوري	〃
٩	〃 عبد الله رعد	〃
١٠	〃 رشيد بقدونس	〃
١١	الشيخ عبد القادر المبارك	〃
١٢	الاستاذ اديب التقي	〃
١٣	〃 معروف الأرناؤط	〃
١٤	الأب جرجس شلحت	حلب
١٥	〃 جرجس منش	〃
١٦	الاستاذ قسطاكي الحمصي	〃
١٧	الشيخ كامل الغزي	〃
١٨	الاستاذ ميخائيل الصقال	〃
١٩	الشيخ بدر الدين النعساني	〃
٢٠	الدكتور صالح قنباز	حماة
٢١	الشيخ سليمان احمد	اللاذقية
٢٢	الاستاذ ادوار مرقص	〃
٢٣	الاستاذ حسن بيهم	بيروت
٢٤	الأب لويس شيخو	〃
٢٥	الشيخ عبد الله البستاني	〃
٢٦	الاستاذ جبر ضومط	〃
٢٧	〃 عبد الباسط فتح الله	〃
٢٨	الشيخ عبد الرحمن سلام	〃
٢٩	〃 مصطفى الغلاييني	〃
٣٠	الاستاذ عمر الفاخوري	〃
٣١	〃 بولص الخولي	〃
٣٢	〃 امين الريحاني	لبنان
٣٣	الامير شكيب ارسلان	〃
٣٤	الاستاذ جرجي يني	طرابلس الشام
٣٥	〃 نخلة زربق	القدس
٣٦	الشيخ خليل الخالدي	〃
٣٧	الاستاذ عبد الله مخلص	〃
٣٨	〃 محمد اسعاف النشاشيبي	〃
٣٩	الشيخ سعيد الكرمي	طول كرم
٤٠	الاستاذ محمود شكري الآلوسي	بغداد
٤١	〃 جميل صدقي الزهاوي	〃
٤٢	〃 معروف الرصافي	〃
٤٣	〃 طه الراوي	〃
٤٤	الأب انستاس ماري الكرملي	〃

٤٥	الشيخ احمد الاسكندري	القاهرة
٤٦	احمد زكي باشا	〃
٤٧	احمد شوقي بك	〃
٤٨	الاستاذ اسعد خليل داغر	〃
٤٩	حافظ ابراهيم بك	〃
٥٠	السيد محمد رشيد رضا	〃
٥١	الاستاذ مصطفى صادق الرافعي	〃
٥٢	احمد كمال باشا	〃
٥٣	احمد تيمور باشا	〃
٥٤	الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	〃
٥٥	الدكتور يعقوب صروف	〃
٥٦	الاستاذ اوجينيو غريفيني	〃
٥٧	〃 رفيق العظم	〃
٥٨	〃 داود بركات	〃
٥٩	الدكتور امين المعلوف	〃
٦٠	الشيخ عبد العزيز البشري	〃
٦١	الدكتور احمد عيسى بك	〃
٦٢	الشيخ مصطفى عبد الرازق	〃
٦٣	انطون الجميل باشا	〃
٦٤	الأمير عمر طوسون	الاسكندرية
٦٥	الشيخ محمد بن ابي شنب	الجزائر
٦٦	الاستاذ رينه باسه	〃
٦٧	〃 ميشو بللير	طنجة
٦٨	〃 زكي مغامز	الاستانة
٦٩	الحكيم محمد أجمل خان	الهند
٧٠	الاستاذ فران	باريس
٧١	〃 كليمان هوار	〃
٧٢	〃 بوفا	〃
٧٣	〃 جويدي	ايطاليا
٧٤	〃 نللينو	〃
٧٥	〃 هومل	المانيا
٧٦	〃 ساخاو	〃
٧٧	〃 هوروفيتز	〃
٧٨	〃 مارتين هارتمان	〃
٧٩	〃 ميتفوخ	〃
٨٠	〃 مونته	سويسرا
٨١	〃 سنوك هوغرنيه	هولاندة
٨٢	〃 اراندونك	〃
٨٣	〃 هوتسما	〃
٨٤	〃 مرجليوث	انكلترا
٨٥	〃 بفن	〃
٨٦	〃 براون	〃
٨٧	〃 بوهل	الدانيمارك
٨٨	〃 بدرسن	〃
٨٩	〃 اغناطيوس غولدصهير	بودابست
٩٠	الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	زنجان
٩١	الاستاذ ماكدونالد	اميركا
٩٢	〃 آسين بلاسيوس (مجريط)	اسبانيا
٩٣	〃 لويس (لشبونة)	البرتغال
٩٤	〃 موزل	تشيكوسلوفاكية
٩٥	〃 كوفالسكي	بولونيه

طه الراوي

هو الأستاذ النحوي الأديب المتفنن السيد طه بن السيد صالح الفُضَيل الراوي نسبةً الى « راوة » قرية مشرفة على الفرات تقابل « عانة » أو « عانات »[١] البلد القديم المشهور في العراق . ولد سنة ١٣١٠ هـ — ١٨٩٢ م في راوة ، ونشأ بين قوم لهم في القبائل أنساب يتمجّدون بها ، وكثير منهم يدعون العَزْوة الى السلالة النبوية ويغلب عليهم التدين والشغف لبعد صقعهم عن العمران . فلما كان في نحو العاشرة ذهب الجُدَريُّ بإحدى عينيه ، فيقال إنه ما رُئيَ غلام يجزع مما حلّ به جزعَهُ . حتى اذا شبّ شبابه لم تتسع القرية الصغيرة لمطارح آماله ، فيهجرها الى « بغداد » في طلب العلم ، وليس له فيها من وَزَر يلجأ اليه إلاّ نفس صافية تألف وتُؤلف وذكاء حادّ يحببه الى الأرواح وتدين بريء يعطف عليه القلوب ، فأوى الى مساجد الكرخ والرُصافة زمناً طويلاً ، واختلف الى المدارس ومجالس العلم يتلقى عنها علوم العربية والشريعة ويحفظ المتون ويستوعب الشروح والحواشي في جدّ بالغ ونفس طامحة الى منازل الكمال ، فكان لحرصه وقلة ذات يده يقرأ كتب العلم والأدب في ضوء الشمعة فاذا عزّ عليه ففي ضوء القمر[٢] . حتى اذا أوفى من (علوم الجادّة) على الغاية أو كاد ، سما الى الاستزادة من معرفة علاّمة العراق شيخنا الإمام السيد محمود شكري الألوسي رحمه الله ، وذلك في غمرة الحرب العالمية الأولى ، فأسعفه بالإعفاء من حمل السلاح ، واكتُفي منه بتعليم رجال الجيش ومدربيه من الجرمانيين اللغة العربية ونحوها وصرفها .

ولما استولى البريطانيون على العراق وبدأوا اعادة سيرة التعليم النظامي فيه ، انتمى الى « مدرسة المعلمين » ، وعين بعد ستة أشهر قضاها فيها مديراً لمدرسة ابتدائية في الكرخ ، وأوى الى الحياة الزوجية . ثم عين بعد عامين مدرساً في

(١) معجم البلدان ٦/٢٠٠ ، مطبعة السعادة ، القاهرة .

(٢) حدث بهذا عنه ابنه الأوسط ، مجلة الرحاب ، الجزء السادس ٢٣-٢٢/٢٣ ١٩٤٦ م .

« دار المعلمين الابتدائية » فالمدرسة « الثانوية المركزية » . ودخل « كلية الحقوق » طالباً ، فاستعان بشهادتها على الانتقال الى المسلك الإداري ، وعين سنة ١٩٢٦ مديراً للمطبوعات ، ثم أميناً لسر مجلس الأعيان في سنة ١٩٢٨ ، وكان معتماً فاستبدل الزي الافرنجي (وهو الزي الرسمي للموظفين) بالجبة والعمامة ، واستمر الى جانب عمله الاداري يدرس ويحاضر ، في بعض المعاهد العالية ، في التاريخ العربي والاسلامي والتفسير والحديث والأدب وعلوم العربية .

وطفق في هذه المرحلة من حياته ينتهز الفرص للرحلة ، فزار تركية وسورية ومصر ، وأفاد من لقاء العلماء صداقة وخبرة ونظراً وعلماً ، وتوسم فيه رجال « المجمع العلمي العربي » في دمشق الفضلَ ، فانتخبوه في ١٩٣٣/١/٥ م عضواً مراسلاً ، وشرع ينشر في مجلته أبحاثه ومحاضراته .

كما أتاحت له تسع سنين لبثها في وظيفته بمجلس الأعيان صداقات وصلات وثيقة بهؤلاء الرجال الذين يؤتى بهم الى مناصب الدولة ومجلسي التشريع ، وأعانه على كسب هذه الصداقات والصلات دماثة لطيفة فيه وجودة تصرف وحسن مداخلة ، فاستأنس بعشرته من كان يصيب اللذة بالأحاديث والأسمار من القوم ، ورجع الى مذاكرته بما يدور في المجلس من شؤون السياسة والتشريع آخرون مثقفون ثقافة تركية عسكرية او مدنية ليقيم لهم على عمود القوانين رأياً يريدون إعلانه ، او يحكك لهم كلاماً مكتوباً يبغون إذاعته في الصحف المنتشرة .

فلما صارت الوزارة الى بعض هؤلاء أسندوا اليه مديرية المعارف العامة في ١٩٣٧/٩/١٩ م . وما لبث أن دار الفلك دورته ، واذا بالسياسة المتحولة من يد الى اخرى تمتد اليه بالتحويل الى مسلك التعليم وتجعله استاذاً في « دار المعلمين العالية » في ١٣/٣/١٩٣٩ م كأن العناية الالهية تأبى الا تيسيره لما خلق له من القيام على اللغة القومية وآدابها . فلم يزل في منصبه هذا الى أن وافاه اجله ضحوةَ يوم الاثنين ٢٤ ذي القعدة ١٣٦٥ هـ = ٣١ تشرين الأول ١٩٤٦ م .

***

كان المترجم به واسع الرواية ، غزير العلم ، متفنناً ، صاحب ملكات عالية وذكاء حادّ ، حسن الاستنباط ، جيّد التوليد ، سليم الفكر ، غير أنه كان يؤثر الانزواء ويرى الخِيَرَة في الوقوف عند حدود المدرسة ومذاكرة الرفقاء ، ولبث على ذلك دهراً لم يؤثر عنه فيه أثر منظور ذو خطر . الى أن انتخبه المجمع العلمي العربي عضواً مراسلاً ، فبدأ ينشر في مجلته ما تهيأ له من ابحاث ورسائل ، كما بدأ ينشر في بعض المجلات العراقية محاضراته ، وكان العقد الأخير من عمره احفل ايامه بالبحث والنشاط للكتابة في الصحف اليومية في موضوعات شتى يعالجها معالجة خفيفة سهلةً حيناً فيكتفي منهـا بالرأي العارض والنظرة العجلى مسايرةً لطبيعة الحوادث الزمنية المسرعة في السير . ويعالجها معالجة دقيقة مستوعبة حيناً آخر فيتعمق الفكرة ويستقصي ويبالغ في هذا الاستقصاء ويجوّد التعبير حتى تجد عنده طابع المنشئين الأوائل من السجع والموازنة وقوة الأسر ونصاعة البيان .

ولقد أتاحت له الحرب العالمية الأخيرة وضرورات التعاون المحدث بين الأقطار العربية في اثنائها فرصاً مواتية لهذا النشاط الى الكتابة في الصحف والظهور في المجتمعات . اذ انتدبته الحكومة العراقية لتمثيلها في بعض المؤتمرات الثقافية والتربوية والمهرجانات الأدبية في مصر والشام ، فذاكر وحاضر وخطب وكتب ، وعمل في كثير من الجمعيات ورأس بعض اللجان العلمية في وزارة المعارف .

***

أما الآثار التي خلفها مما حاضر ودرس وكتب ، فهي :

(١) « بغداد مدينة السلام » نُشِر ملخصاً في سنة ١٩٤٥م في جملة سلسلة (إقرأ) لدار المعارف في القاهرة .

(٢) « ابو العلاء في بغداد » طبع سنة ١٩٤٤م بمطبعة التفيض الأهلية

ببغداد، وهو محاضرة تقع في ٧١ صفحة حاضر بها في الموسم الثقافي، وكان تقيمه وزارة المعارف في اثناء الحرب الأخيرة.

(٣) «نظرة في النحو» بحث يتضمن أنظاراً مقبولة في بابها، نشر في مجلة المجمع العلمي العربي تباعاً.

(٤) «رسالة الضاد والظاء» لم أرها.

(٥) «تفسير سورة البقرة» نشر اكثره في مجلة الهداية الإسلاميه البغدادية.

(٦) «تاريخ العرب قبل الإسلام» محاضرات حاضر بها طلاب جامعة آل البيت التي انشئت في اوائل ايام الحكومة العراقية ولم تطل مدتها، نشر اكثرها في مجلة الهداية الإسلامية البغدادية.

(٧) «تاريخ علوم الأدب» مخطوط في مجلد لطيف.

(٨) «الأخلاق» مخطوط يبلغ زهاء ١٠٠ صفحة، وهو خلاصة محاضراته في كلية الشرطة ببغداد.

(٩) «الرسائل والمقالات» مجموعة ما نشر في الجرائد والمجلات من المقالات العلمية والأدبية والاجتماعية.

(بغداد) محمد بهجة الاثري

مؤتمر اليونسكو الثالث

تتألف منظمة الأمم المتحدة للعلم والتربية والثقافة من ثلاثة أقسام رئيسية: المؤتمر العام والمجلس التنفيذي وامانة السر العامة. اما المؤتمر العام فيشبه المجلس النيابي في كل دولة، وهو يحدد توجيه المنظمة، ومنهجها العام، ويبدي رأيه في البرامج التي يهيئها المجلس التنفيذي ويقر الميزانية، وينصح منظمة الأمم المتحدة في القضايا التربوية والعلمية والثقافية، ويتسلم تقارير الدول الأعضاء، وينتخب أعضاء المجلس التنفيذي والمدير العام.

وأما المجلس التنفيذي فيتألف من ١٨ عضواً ينتخبهم المؤتمر العام وهو مسؤول

عن تنفيذ البرنامج الذي يقرره المؤتمر ، ويشرف على اعمال المنظمة ويهيء ترتيب اجتماعات المؤتمر وبرنامج أعماله .

وأما أمانة السر العامة فتقوم بتنفيذ جميع المشاريع والخطط ، ولها مدير عام ينتخبه المؤتمر ولموظفيها صفة دولية محضة .

ان الاجتماع الأول لمؤتمر اليونسكو العام عقد في باريز عام ١٩٤٦ ، والاجتماع الثاني عقد في مكسيكو عام ١٩٤٧ . أما الاجتماع الثالث فقد عقد في بيروت بدعوة من الحكومة اللبنانية بين السابع عشر من شهر تشرين الثاني والحادي عشر من شهر كانون الأول عام ١٩٤٨ .

لقد قام مؤتمر بيروت بدراسة جميع القضايا الواردة في جدول أعماله وعالج قضايا اخرى غيرها واهتدى الى مقررات تربوية وعلمية وثقافية لم يصل اليها في باريز ومكسيكو . ويرجع ذلك في نظرنا الى حسن تنظيمه ورغبة أعضائه في التفاهم والتعاون وايمانهم جميعاً بمبادئ اليونسكو .

تنظيم المؤتمر :

افتتح المؤتمر في الساعة الحادية عشرة من يوم الأربعاء السابع عشر من شهر تشرين الثاني عام ٩٤٨ من قبل فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية في حفلة رسمية القيت فيها بعض الخطب ، ثم عقد المؤتمر اجتماعه الأول في الساعة الثالثة بعد الظهر من اليوم نفسه ، فدرس بعض القضايا الادارية وانتخب السيد حميد فرنجية وزير التربية الوطنية للحكومة اللبنانية رئيساً له . ثم وزع بعد ذلك اعماله المختلفة على اللجان وهي :

(١) الهيئة العامة (٢) لجنة الصلاحيات (٣) لجنة النظام الداخلي

(٤) لجنة الترشيح (٥) اللجنة الادارية (٦) لجنة العلاقات الرسمية والخارجية (٧) لجنة البرامج والميزانية .

ولجنة البرامج والميزانية أكثر لجان المؤتمر عملاً وأعظمها نشاطاً ، لذلك انقسمت الى عدة لجان فرعية وهي :

١ — اللجنة الفرعية للميزانية ٢ — اللجنة الفرعية للتعمير

٣ — اللجنة الفرعية لوسائل نشر الأفكار ٤ — اللجنة الفرعية للتربية

٥ — اللجنة الفرعية للعلوم الاجتماعية ٦ — اللجنة الفرعية للعلوم الطبيعية

٧ — لجنة المسائل الثقافية ٠

وقد سبق اجتماع هذه اللجان كلها اجتماع خاص عقده مندوبو اللجان الثقافية الوطنية لبحث المشاكل التي تلاقيها هذه اللجان في ممارسة اعمالها ٠

ومما يدل على نشاط المؤتمر وكثرة أعماله ان هيئته العامة عقدت (١٩) جلسة القيت فيها كثير من الخطب حول تقرير المدير العام وبحثت فيها تقارير اللجان الفرعية ٠

ويكاد يكون لأعمال لجنة الصلاحيات ، ولجنة النظام الداخلي ، ولجنة الترشيح واللجنة الادارية ، ولجنة العلاقات الرسمية والخارجية ، واللجنة الفرعية للميزانية ، واللجنة الفرعية للتعمير صفة ادارية محضة ، اما أهداف اليونسكو الحقيقية ووسائل تحقيقها فلم تعالج الا في اللجان الفرعية الأخرى كاللجنة الفرعية للتربية والعلوم الاجتماعية والانسانية والعلوم الطبيعية ، والمسائل الثقافية ، ووسائل نشر الأفكار ٠

قرارات المؤتمر :

ان في القرارات التي اتخذها المؤتمر في ميدان التربية والنشاط الثقافي وفي ميدان العلوم الطبيعية والاجتماعية والانسانية ٠ وفي وسائل التبادل الثقافي ونشر الأفكار اموراً كثيرة لا يتسع المجال لذكرها هنا ، كما ان في التقارير التي قدمتها الدول الأعضاء عن نشاط لجانها الوطنية ، وفي الخطب التي القيت في الجلسات العامة والخاصة افكاراً مختلفة يصعب جمعها في مقال واحد ٠ فلنقتصر الآن اذن على الإشارة دون الإبانة ، وعلى التلميح دون التصريح ٠

تنقسم قرارات المؤتمر في نظرنا الى قسمين : فمنها ما هو عام يشمل الدول العربية وغيرها من الدول ومنها ما هو خاص بالدول العربية وحدها ٠

أما القرارات العامة فتشتمل على قسمين الأول اداري والآخر فني ٠ فمن المسائل الادارية : تنظيم الميزانية ، وتحديد الملاك ، وانتخاب المدير العام ، وقبول

بعض المراقبين والأعضاء الجدد ، وانتخاب ستة أعضاء للمجلس التنفيذي . ومن القرارات الفنية ما يتعلق بالتربية والعلوم الطبيعية والاجتماعية والانسانية والنشاط الثقافي ، وهي كلها ذات صفة توجيهية عامة سنعود الى ذكرها في مقال آخر ، حتى لقد عاب بعض الخطباء على المؤتمر اقتصاره على هذه المسائل العامة ، وعدم عنايته بدراسة بعض المسائل الثقافية دراسة فنية عميقة ، فاقترح لذلك بعض الخطباء ان ينصرف المؤتمر في دورته القادمة الى دراسة مسألة او مسألتين دراسة علمية شاملة كمسألة حرية الفكر ، او مسألة تعليم التاريخ او مسألة التربية الأساسية أو غيرها .

القرارات الخاصة بالعالم العربي :

القرارات الخاصة بالعالم العربي تشتمل على عدة مسائل أهمها مساعدة اللاجئين الفلسطينيين واقصاء المؤسسات الصهيونية عن المؤتمر ، والاعتراف بان اللغة العربية لغة رسمية من لغات اليونسكو ، وتأسيس مركز اقليمي للعلاقات الثقافية في بلدان الشرق الأوسط ، ولنبحث الآن كل مسألة من هذه المسائل على حدة .

١ — اعانة اللاجئين الفلسطينيين : لقد وافق مؤتمر اليونسكو بالاجماع على تقديم الاعانة للاجئين الفلسطينيين من ميزانية التعمير والانشاء التربوي ، ولفت اهتمام السلطات المختصة ولا سيما مؤسسات التعليم العالي الى ذوي الثقافة العالية من اللاجئين الذين يمكن الاستفادة من معارفهم في مختلف حقول العلم . ويمكن ان يعد هذا القرار نتيجة للقرار الذي اتخذته اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية في دورتها الرابعة المنعقدة في لبنان خلال الصيف الماضي . اذ أوصت الحكومات العربية بأن تتخذ الاجراءات اللازمة كي تقدم اليونسكو من ميزانية التعمير مساعداتها لانشاء مدارس جديدة للطلبة الفلسطينيين وتعمير ما خربته الحرب من المعاهد الفلسطينية على ان لا يكون لهذه الاعانة اي وسيلة للتدخل في شؤون فلسطين والمساس بحقوق السلطات المشرفة عليها .

٢ — المؤسسات اليهودية : ومن القضايا التي واجهتها الوفود العربية في اليوم الأول من أيام المؤتمر البحث في قبول ممثلي المؤسسات اليهودية او عدم قبولهم . لقد دارت حول قبول هؤلاء الممثلين مناقشات طويلة انسانية وغير انسانية . فالذين أيدوا قبولهم زعموا ان من واجب المؤتمر ان يسمو الى جو انساني بعيد عن السياسة والذين رفضوا قبولهم ايدوا رأيهم بالفظائع التي ارتكبها الصهيونيون في فلسطين وبمضادة مبادئ مؤسساتهم لأهداف اليونسكو العامة . وقد تبين بعد البحث ان ممثلي المؤسسات اليهودية لم يلبوا دعوة المجلس التنفيذي ، ولم يصل احد منهم الى بيروت فكان هذا الأمر في النهاية حجة جديدة في يد الوفود العربية لحمل المؤتمر على اسقاط اسمائهم . فوافق المؤتمر على اقصائهم عن دورته الحاضرة .

٣ — اللغة العربية : ومما طلبته الوفود العربية من المؤتمر ان تتخذ منظمة اليونسكو لغتنا العربية لغة عمل لها كاللغة الانكليزية والفرنسية . فوافق المؤتمر على ان تكون اللغة العربية لغة رسمية لا لغة عمل . والفرق بين اللغة الرسمية ولغة العمل في نظام اليونسكو ان اللغة الرسمية لا تستعمل الا لترجمة الاقتراحات المتعلقة بتبديل ميثاق اليونسكو . اما لغة العمل فتستعمل في جميع المراسلات والنشرات والوثائق وضبوط الجلسات . وفي وسع الأعضاء أن يخطبوا في لغة العمل وان يستعملوها في مذاكرات اللجان وجلسات المؤتمر العامة . وليس لهم ان يستعملوا لغة اخرى غيرها الا اذا هيأوا هم أنفسهم وسائل الترجمة الى احدى لغات العمل كما فعل لبنان في دورة المؤتمر الحاضرة .

لقد أيدت الوفود العربية اقتراح دول امريكا اللاتينية بعدّ اللغة الاسبانيولية لغة عمل ضمن شروط خاصة ، وادى هذا التأييد الى وقوف هذه الدول موقفاً كريماً من القضايا التي تهم العالم العربي . اما اللغة العربية فقد اكتفى المؤتمر بعدها لغة رسمية تترجم اليها أمهات الوثائق كتقرير المدير العام والميزانية وبرنامج المؤتمر وغير ذلك . وقد وضع لهذا الغرض في ميزانية عام ١٩٤٩ مبلغ قدره عشرون الف دولار .

٤ – المركز الاقليمي للعلاقات الثقافية في بلدان الشرق الأوسط : ومن المسائل التي بحثها المؤتمر انشاء مركز اقليمي للعلاقات الثقافية في الشرق الأوسط .

ان انشاء هذا المركز على أساس جغرافي لا يخلو من المشاكل السياسية التي تعرقل عمل الثقافة لذلك رأت الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ان تقيد انشاءه بثلاثة شروط وهي :

آ – ان يكون المركز مقصوراً على الدول العربية نظرا لاتحاد ثقافتها وتقارب ميولها .

ب – ان تكون اكثرية اعضاء المركز من الحكومات العربية يختار كل قطر من يمثله، وان يكون للحكومات العربية رأي فيمن تختارهم اليونسكو له .

ج – ان يكون للحكومات العربية وحدها اختيار القطر الذي سينشأ المركز فيه .

لذلك رأى مؤتمر اليونسكو ان يستبدل بانشاء المركز الاقليمي في هذا العام فكرة جديدة وهي انشاء مكتب في باريز للاتصال الثقافي يقوم بايفاد الخبراء والممثلين الاقليميين لدراسة العلاقات الثقافية بين بلدان الشرق الأوسط .

تلك هي أهم المسائل الخاصة بالعالم العربي . وهناك مسائل اخرى غير هذه كتأليف لجنة من الخبراء العالميين والخبراء العرب لدراسة شؤون التربية الأساسية في بلدان الشرق العربي ، وترجمة كتب ابن سينا الى اللغات الأجنبية لمناسبة مرور الف عام على ميلاده ، وانتخاب عضو عربي للمجلس التنفيذي ، ونقد ما جاء في تقرير المدير العام من الاشارة الى ما في بلدان الشرق الأوسط من الانعزالية والتعصب ، وتأليف كتاب في تاريخ الثقافات وتطور العلم يشترك في وضعه علماء اختصاصيون يمثلون الثقافات العالمية الكبرى كالثقافة اليونانية واللاتينية والعربية والفارسية والهندية والصينية وغيرها . وقد أيدت سورية ولبنان مشروع هذا الكتاب لاعتقادهما انه سيؤدي الى تقريب الأمم بعضها من بعض، والى إقامة حصون السلام في نفوس الناس .

* * *

ولعل أعظم فائدة جنتها البلاد العربية من انعقاد المؤتمر في بيروت أطلاع البلاد العربية على ما تقوم به منظمة اليونسكو من الأعمال الثقافية في سبيل توطيد السلام ، واطلاع البلاد الأخرى على ما بلغته الدول العربية من الرقي في مضمار التربية والعلم والثقافة . فقد ألقى ممثلو الدول العربية عدة خطب ومحاضرات أشاروا فيها الى أثر العرب في العلم والفلسفة والثقافة والى ما تبذله حكوماتهم من الجهود العظيمة في سبيل تعميم التربية وتحقيق مناهج اليونسكو ، واقيمت في مدينة بيروت عدة معارض اشتركت فيها سورية ومصر ولبنان والعراق كمعرض الكتاب ومعرض التربية ومعرض العلم ومعرض الفن وهي كلها تدل دلالة واضحة على نهضتنا الحديثة وتشير الى أثر العرب في تاريخ العلم والثقافة .

وقد كان للرحلات التي قام بها أعضاء المؤتمر في سورية ولبنان وللمآدب والحفلات التي أقيمت على شرفهم أثر عظيم في نفوسهم . فأعجبوا بما أحيطوا به من اللطف والكرم والايناس . ولا غرو فالكرم هو أول الصفات الدالة على ايمان العرب منذ القدم بمبادئ اليونسكو وميلهم الى تحقيق التفاهم بين الشعوب وازالة الريبة وسوء الظن ، وتأمين المثل الأعلى الديموقراطي في الكرامة والمساواة واحترام حقوق الانسان دون تفريق في العرق أو الجنس أو اللغة أو الدين .

جميل صليبا

ما هي العربية ؟

ما هي العربية ؟ أهي لغة قريش التي كان اعجازها القرآن الكريم ام هي لغة العرب من اقدم الأزمنة في كل الأماكن التي حلوا بها ؟ الأجوبة التامة لهاتين المسألتين تتضمن مسألة اخرى وهي تأريخ العرب القديم وهجراتهم ونزوحهم من الصحراء الى الحضارة منذ الوف السنين بل قبل فجر التاريخ ولا يعلم عالم بمشرق الأرض او بمغربها ما كانت لغة العرب القديمة على وجه الدقة والحقيقة ولكننا نعرف (أ) انّ لسان حمير كان اقدم من اللغة الفصيحة في بعض الوجوه و (ب) أنه ما من بلاد في جزيرة العرب الا لغة قومها كانت من جنس العربية

وان كان يطلق اسم «سامية» عليها وما من بلاد في جزيرة العرب تخلو من نزوح العرب او فتوحهم و (ج) ان لهجة القبائل تفرقت بعد ظهور الاسلام وان كان التباين اقل مما هو اليوم و (د) ان طلاب الشواهد اخذوا من شعراء العرب من أي حي ولم يقصروا أبحاثهم على قبائل الحجاز رغماً عن انصراف شعراء الشمال عن قواعد النحاة . لا شك ان العربية تماثل سائر لغات العالم من حيث انها تطورت وتغيرت على ممر الزمان وفي كل نواحي الجزيرة تكلم الناس لغات تماثل العربية من قريب او بعيد .

لقد كان العرب كالبحر فاضوا على الحضارة جيلاً بعد جيل حتى وان كانت الأعاجم استولوا على بعض بلادهم مثل الحثيين الذين خالطوا العبريين كما قال النبي خزقيال لليهود «أبوك أموري وأمك حثية» ومثل الصليبيين فقد غرقوا في امواج العرب التي تتابعت عليهم حتى ان استرجاع مآثرهم شغلت المستشرقين في كل البلاد العربية .

كانت لغة العرب الذين رحلوا الى فلسطين والشام والعراق في الأيام القديمة لغة العرب في العهد الذي عاشت فيه مع ان الحجة على استمرار كلام العرب منذ ما قبل الاسلام الى الوقت الذي ألفت فيه المعاجم العربية صعبة جداً فان وجدت كلمة في دواوين شعراء العرب قالت النحاة هي كلمة عربية وان لم توجد في الدواوين قالت إنها معربة . وقالوا عن كلمات اخرى اننا لم نسمع بها لذا فهي ليست عربية او لم تستعمل ببلادنا لذلك هي معربة ! وما نحتاج اليه هو برهان (أ) ان كلمة ما قد بقيت ودامت على حالها من الزمان القديم حتى اليوم و (ب) ان متكلميها كانوا عرباً . وأعتقد انه من المحتمل ان درس اللهجات العربية يكشف عن الفاظ بهذه الصورة .

ولا شك ان الناس من داخل جزيرة العرب ما زالوا يدخلون المدن والقرى في الأزمن التاريخية وقبلها وما نعرفه من لسانهم يدلنا على أنه تفرق وتميز من اللغة الفصيحة تميزاً شديداً مع أن هذا الفرق لا يجيز الاثبات بأنه ليس عربياً

لأسباب عديدة أهمها أن درس لسان العرب القدماء يحل كثيراً من المشكلات اللغوية والنحوية التي نقلتها الينا النحاة بغير ايضاح مقنع . فمثلاً ان المضارع يدل على الزمان الحاضر او المستقبل وان الماضي يدل على مامضى . وفي هذا الشرح يقع إبهام والتباس كأنهم لم يقرأوا الآية الكريمة « فَلِمَ تقتلون انبياء الله من قبل » وايضاً « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان » فمن الواضح ان الأعمال المشار اليها قد عُملت في الماضي البعيد وليست في الحاضر ولا في المستقبل . والحلّ لهذه المشكلة كما قلنا يوجد في لغة العرب العاربة فانهم استعملوا صيغةً قد سقطت من لغة العرب وهي صيغة « يِفَعِّل » (بكسر اوله ثم فتح الفاء والعين او « يفَعُّل » بضم العين) للحاضر وكان الماضي بلغتهم « يفْعُل » او « يفْعِل » واما صيغة فَعَل فهي غنية عن الزمان مطلقاً . وفي العربية اتحدت الصيغتان القديمتان « يفْعَل » (الماضي) و « يفَعَل » (المضارع) [1] وأُهملت الصيغة الثانية وذلك بسقوط حركة الفاء في الصيغة الأخيرة ولهذا السبب تستعمل صيغة المضارع بمعنى الماضي احياناً .

وبناءً على ما اوردناه اعلاه فإننا لا نستطيع ان نهمل اللسان العربي القديم إن اردنا ان نفهم اللغة العربية بشكلها الحاضر وإذا حاولت لغتهم بعض المشكلات في اللغة الفصيحة فليس من المستبعد ان توجد فيها اصول وكلمات قد سقطت من اللغة الفصيحة في الوقت الحاضر بسبب عدم الاستعمال او غيره فإن من درس مجرى تطور اللغات في الشرق وفي الغرب يعرف انه من اسس التطور الحذف والتغيير والاقتباس والزيادة وان في عقل الانسان دواعيَ تؤدي الى التطور . وبلغت لغة العرب نهايتها وكمالها في القرآن الكريم وفي شعر الجاهلية ، وفي مجال الأدب ثبّت القرآن قواعد اللغة الى الأبد .

وقصدي هنا ان اقدّم بعض إشارات قليلة الأهمية فأحاول ان اقارن تطور

(١) أما كسرة الياء فان بعض القبائل العربية كانت تميل الى ابدال الفتحة الى كسرة .

العربية بتطور الانكليزية فهما متشابهتان من وجهتين مهمتين : الأولى ان المقياس هو كتاب مقدّس وشعر رفيع . ففي الانكليزية ترجمة الكتاب المقدس وشعر شكسبير ينزلان منزلة القرآن والشعر الجاهلي كما سبق . ثانياً جاء الانكليز الى هذه الجزيرة في موجات متعاقبة قرناً بعد قرن فبقيت في مناطق مختلفة كلمات وصيغ لا توجد في الانكليزية الفصيحة ولكن لا يُنفى كونها انكليزية . ولا يكاد يوجد قوم في العالم اقتبسوا كلمات اجنبية وحفظوا ذكر اصلها اكثر من الانكليز وكانت نتيجة ذلك ان كلمات اجنبية صارت بعد « تجنيسها » فصيحة بينما اصبحت كلمات وطنية قديمة دارجةً وهي في الحقيقة تستحق ان تعتبر انكليزية بحتة .

وإني لأجرؤ ان أشير إلى أن البطريرك مار اغناطيوس في تعليقاته المهمة التي زادت علمنا بالغرائب زيادة عظيمة قد بالغ في الدور الذي لعبته السريانية واظن ان بعض الكلمات التي نسبها الى السريانية على نوعين هما : (أ) اقتباسات واضحة بعيدة عن الصور العربية و (ب) كلمات قديمة مشتركة بين اللغات السامية عدا العربية الفصيحة .

فما يعنينا من النوع الأول الآن ان نشكر المؤلف على بحوثه النفيسة ، وعلى كل من يشاء ان يحمل لقب « المستعرب » (١) ان يدافع عن العربية القديمة التي هي في النوع الثاني . وأريد ان أدعي اصلاً عربياً للألفاظ التالية :

بعير : قال البطريرك « عدّ السيوطي هذه الكلمة من الألفاظ المعجمة في كتاب الإتقان » . وينبغي ان يذكر أولاً أن في كتابه المتوكلي (٢) ترك هذه الكلمة من جملة الألفاظ المعربة التي جاءت في القرآن . ثانياً ان الدميري في كتابه « حياة الحيوان » قال : « سمي بعيراً لأنه يبعر يقال بعر البعير » وهذا

---

(١) انظر ما قال الأستاذ محمد كردعلي في مجلة المجمع (المجلد ٢٣ ص ٣٤٧ — ٣٦٢) .
(٢) خرّجه وترجمه ولنّي بك القاهرة ١٩٢٤ .

الخبر صحيح للسبب التالي فان بعيراً بالعربية الابل الذكر أو الانثى وبعض العرب يقول للحمار بعير وهذا شاذ كما قال الدميري . وبالعبرية والآشورية البعير هو البقر او دابة الحمل وبالسريانية هو اي حيوان كان مثل ܒܥܝܪܐ ܕܟܝܐ ܘܒܥܝܪܐ ܛܡܐܐ اي الحيوانات التي لحومها محللة ومحرمة . ومن المستحيل ان تعبر كلمة واحدة عن أي حيوان بين الساميين إلا لسبب خفي في اصلها وهو ما قاله الدميري كما سبق ويدل على ذلك الفعل « بعر » بالعبرية ومعناه حرق واستعمال البعر (بالسريانية ܒܥܘܪܐ) للوقود مشهور [1] . لذلك فان لم يغير السيوطي رأيه اضطررت الى ان أناقضه وأحتج بان كلمة « بعير » عربية محضة ومن اقدم الفاظ الساميين .

بوص : هذه ليست سريانية بل من اصطلاحات التجار القديمة في المشرق أجمع ومن المحتمل ان يكون اصلها مصرياً .

بيعة : لا اعرف اصلها بيد ان جريراً سمى مقدس المجوس « بيعة » :

يمشي بها البقر الموشّى أكرُعهُ مشيَ الهرابذ حجّوا بيعة الزون

ثب : اصلها « وثب » ولا تحتاج الى الكلمة السريانية لأن المعنَيين « قفز » بالعربية و « جلس » بلغة حمير يجتمعان في « قرفص » فمن وثب هو بمنزلة من جلس في الهواء . والكلمة توجد في كل اللغات السامية . فالتاء بالسريانية بمنزلة الثاء بالعربية فالقاعدة ان كل شين في العبرية مع ثاء بالعربية تقابلها تاء بالسريانية مشهورة .

اخيراً فان استعادة الألفاظ العربية التي كنت في الترجمة اليونانية للعهد القديم ستبين قدم العربية اذ ان المترجمين في بعض الحالات قد ترجموا الألفاظ العبرية كما لو كانت عربية محضة مثل « عطا » (وهب) والمعنى بالعبرية غطا ولا توجد

(١) انظر كتابي « النبوة والكهانة » لندن ١٩٣٨ ، ص ١٤١ .

كلمة «عطا» بهذا المعنى في العبرية او في السريانية . وينتج من ذلك ان لغة العرب كانت من لغات فلسطين قبل الاسلام بقرون . واني اعتقد ان تأثير العربية واهميتها في الأزمان القديمة كان اعظم مما قدره اللغويون ولست ابالغ إن قلت انه ما من نحت بلهجة غير معلومة حتى الآن إلا وسيبقى غامضاً إن لم يستعن المترجمون بالمعاجم العربية لحلّ مشكلاته .

(لندن) الفرد غليوم

توضيح وتصحيح

رأينا لزميلنا الأستاذ احمد رضا في مقاله المتتابع المنشور في مجلة المجمع بعنوان (العامي والفصيح) رأياً في كلمة (زلة) وارجاعها الى العربية الفصحى (ص ٥٨٧ مجلد ٢٣) وقد وجدنا في بعض جوانب رأيه هذا غموضاً والتباساً احببنا ان نذكر بجانبه رأياً لنا في الموضوع فيتعاون الرأيان على إيضاحه وكشف اللبس عنه :

الزلم كالقلم كلاهما بمعنى القطع او هو قطع خاص : أن تحذف عن الشيء زوائده وما تشعب او نتأ منه كقلم الأظفار والأشجار ومنه (القلَم) آلة الكتابة فانك اذا بريته حذفت منه وقطعت ما يجعله صالحاً للعمل .

أما (الزلم) فاكثر ما يستعمل في القِداح واحجار الرحى يعمدون الى الحجر الصالح لأن يكون رحى فيأخذون من اطرافه وجوانبه بالأزاميل والمناقير ولا يزالون في نحت حروفه وتسويتها حتى يصبح على استدارة وصلاحية للانتفاع به فهذا الصنع بالحجر يقال له (زَلْم) و (تزليم) ويكونان ايضاً في القداح : يأخذون من اغصان الأشجار الصلبة كشجر النبع عوداً فينحتونه ويسوّونه بعد ان يقطعوا الزائد عنه ويسمى القِدْح اذ ذاك زَلَماً (بالتحريك) وزُلَماً (على وزن خرد) ويجمع على ازلام وهي الأزلام المشهورة في الجاهلية والمنهي

عنها في الاسلام : لما انهم كانوا يستقسمون بها اي يطلبون الخير والشر بواسطتها : فيكتبون على بعضها (افعل) وعلى بعضها (لا تفعل) ثم ينتهون الى فعل ما تأمرهم به أو تركه .

هذا هو المعنى الحقيقي لكلمة (الزَلَم) واذ قد كان فيه دلالة على معنى الصلابة والقوة والرشاقة استعمله العرب مجازاً في ما فيه صلابة وقوة ورشاقة وخفة : لأن (الزَلَم) كذلك : ففي مستدرك التاج (ومن المجاز أزلام البقر قوائمها) وقد عنى بالبقر بقر الوحش وهي المها التي تشبه بعيونها عيون الحسان ثم قال (وقيل لها اي لقوائمها ذلك للطافتها شُبهت بأزلام القِداح وفي الأساس : سميت بذلك لقوتها وصلابتها اهـ) .

ومن هنا سرى الى سكان الديار الشامية استعمال (الزَلَمة) بمعنى الرجل النشيط الماضي في صنع ما يطلب منه ويقال في المدح (فلان زَلَمة) كما يقال فلان رجل وكما يقول المصريون (جدع) .

ومهما يكن من هذا الأمر فان الزَلَم والأزلام لا يستعمل في أشراف القوم وساداتهم وذوي الخطر فيهم وانما يستعمل في ما يقرب من طبقة (الفتوّات) بدليل انه احياناً يستعمل بمعنى الأتباع مذ يقال (أرسل الأفندي زلمته الى فلان) و (جاء الآغا راكباً جواده وأمامه زلمته) أو (حواليه زلمه أو أزلامه) ونرى العرب استعملوا من مادة (زلم) وصفاً للرجل على وزن (مُفَعّل) فقد جاء في المعاجم : ان المُزَلَّم من الرجال القصير الخفيف الظريف شبه بالقِدح الصغير . ويقال للرجل اذا كان خفيف الهيأة رجل مزلَّم . [وكأنهم ارادوا بالهيأة شكل الجسم وتقاطيعه] وقال ابن الأعرابي : المزلَّم الصغير الجثة اهـ .

وكل هذا يرشح استعمال اهل الشام للزلمة بمعنى الرجل مطلقاً تارة وبملاحظة القوة والنشاط تارةً اخرى . اما الأصل الصريح في مأخذ الشاميين لكلمتهم فهو قول أهل اللسان (أزلام) لقوائم بقر المها مذ رأوها جمعت بين الصلابة والرشاقة .

وقول العرب في الهجو (انت العبدُ زلمةً) لا يصلح أبداً ان يكون مأخذاً لقول الشاميين لأن معناه انك عبد من جهةِ زَلمك وخَلقك وتكوينك فكأنك هو وقد أفرغتما في قالبٍ واحد: قدّك قدّه. وحذوك حذوه في شكلكما وتقاطيعكما. وليس لهذا المعنى علاقةٌ ما باستعمال الشاميين لكلمة (الزَلمة) في المعنى الذي يستعملونه فيه.

بقي شيء وهو آخر ما في الكنانة بل هو الأمر الذي حفزنا الى تسطير هذه الكلمة وهو لعمري يصلح وحده للتفكير فيه ومشادّة الرأي حوله. اعني به ما جاء في مستدرك التاج ونصه الزَلَم (محركة) الغلام الشديد الخفيف جمعه أزلام قال الشاعر:

(بات يقاسيها غلام كالزَلَم ليس براعي إبل ولا غنم) اه

فمن تأمل عبارة صاحب التاج وجدها لا تصلح شاهداً بل يغلب على الظن أنه سهو منه وجب علينا تأويله والا فان الرجز الذي استشهد به لم يسمّ الغلام زَلَماً وانما شبه الغلام بالزلم. ويؤيد ما قلنا أن أحداً من أرباب المعاجم لم يذكروا ما قاله صاحب التاج ولم يشيروا اليه فما ادّعاه ذهول منه أو أن في عبارته نقصاً ارتكبه ناسخ نسخته وان اصل عبارته هكذا (الزَلَم «محركة» يشبّه بها الغلام الشديد الخفيف) ثم استشهد لهذا التشبيه بقول الشاعر المذكور.

هذا ما خطر لنا من الأمر والمهم فيه استمالة نظر اخواننا المشتغلين في اللغة الى نص عبارة المستدرك فلعل لهم رأياً فيها غير ما قلنا وأصوب مما قلنا.

المغربي

نظرات في ذيل الروضتين

لأبي شامة المقدسي

— ٣ —

٥٨ — وفي ص ٢٠ س ١٠ « صاحب الجزيرة المعظم شجر شاه وكان أبوه يلقب الناصر شجر شاه بن مودود بن زنكي » والصحيح « سنجر شاه » .

٥٩ — وفي ص ٢١٢ س ٢٣ « توفي الشريف المخلص من بني ابي الحسن الحسيني التاجر » والمعروف أنه « ابن أبي الجن » وبيته مشهور بدمشق ، وقد ذكر اسمهم في ص ٢١٨ س ١٨ من الكتاب ففيها « بهاء الدين علي من بني أبي الجن » وهو نقيب الأشراف الطالبيين بدمشق[1] .

هذه هي النقدات التي اعتمدتُ فيها على الذاكرة ، وقد أرجأت ما أرجأت الكلام على الأخرى الى أن أكون على مقربة من المراجع التاريخية كما قدمت ذكره ، أما غلط التصحيف الذي حدث في هذا الكتاب فهذا هو :

٦٠ — جاء في ص ٥ س ٤ « فتخرمه دونها الآجال » والصواب « فتخرمه » بالخاء المعجمة ومنه قولهم « خرمته الخوارم » أي مات ، ومثله « اخترمه الموت » .

٦١ — وفيها س ١١ « وحبّب إليّ الى أن جمعت » والصحيح « وحبّب إليّ أن جمعت » فلا وجه لتكرار « الي » .

٦٢ — وفي ص ٦ س ٢٥ « وهو الذي كان عسكر الخليفة على همذان وكان طغرل » والصحيح « وهو الذي كسر عسكر الخليفة » .

٦٣ — وفي ص ٨ س ١٦ « في غرة شعبان كسر عسكر الخوارم شاه الأحول ... عسكر الخليفة في عشرين الفاً » والصواب « عسكر خوارزم شاه » بالتنكير لا بالاضافة و « عسكراً للخليفة » .

---

(١) وجاء في ص ٢٠١ س ٥ « الشريف مختار الدين عبد المطلب » والصحيح « افتخار الدين » وهو من المحدثين المشهورين جداً وقد ورد لقبه أيضاً في ص ٨٤ من هذا الكتاب « وسمعت شمائل النبي ﷺ من الافتخار ... » .

٦٤ — وورد في ص ٨ س ٢١ «فانزعج الخليفة وأهله وغلب الأمصار» . والصواب «وغلت الأسعار» .

٦٥ — وفي ص ١٢ س ١٢ «أراد من تخضب يزول خضابه بليمونة» . والصحيح «يخضب» ولعله من غلط الطبع الصناعي .

٦٦ — وفي ص ١٣ س ٢٨ «وتارة يشفق من حبس ابن الراوندي» وهو تصحيف جميل والصواب «يسقف من جنس ابن الراوندي» والتسقيف في لغة أهل العراق اذ ذاك هو التجديف على الله . ومراده انه كان يتكلم مثل كلام ابن الراوندي في ذلك .

٦٧ — وفي ص ١٤ س ٢٩ «واختلف الأمر عليه وتفرق عنه أصحابه» والصواب «الأمراء» وهم أمراء بلاد الجبال الذين كانوا مضادين لخوارزم شاه ، وايضاح الخبر في كتاب كامل ابن الأثير ، فقد ذكر ذلك .

٦٨ — وفي ص ١٨ س ٩ «عبد العزول» والتصحيح «العذول» وهذه الأبيات وردت في نكت الهميان في نكت العميان وغيره .

وأرى أنّ من الاطالة ذكر التصحيفات على هذه الصورة ، وأنّ اتباع الجدولة خير منها ، وهذا هو الجدول :

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
٢٢	١١	لأنك تريد أن تفرح	... أن تتفرج
«	١٧	قيل جثوا المطيّ	قيل : حثوا المطيّ
«	٢٠	لئن تصحب ... خير من أن	لأن تصحب ... خير ...
٢٣	٢٦	وسئل عن لعتة يزيد ...	... عن لعنة يزيد ...
«	٢٩	في خفارة الصبحة	... الصحبة ...
٢٥	١٤	خلق بغير تصبر وميت	... وتثبت
٢٧	٢٩	وعفاكم مما ألاقيه منكم	وعافاكم مما ألاقيه منكم

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
٣٥	٨	وعابوا كلباً يشق الصفوف	وعابنوا ...
«	٣١	فيرسل عنه الى بغداد	فترسَل عنه الى بغداد — كما ورد في ص ٢٦ س ٢١ — .
٣٦	٢٨	تمذهب للنعمان بعد ابن حنبل	تمذهبت ...
«	٣١	يحي بن طاهر	يحي ابن طاهر
٣٧	٧	وكانت ودلاته	وكانت ولادته
٤٠	١٨	وبنص أسماء الوري وحديثهم	وبنصّ اسماء...
٤١	٣	لا يطيقون ما أطاق دعوا التغني ...	... دعوا البغي...
«	٤	مواظب الاشغتال	مواظب الاشتغال
«	٩	عن نشره علمه للموالي	عن نشر علمه ...
«	١٤	ناشر العلم قائل الحق كم	... قائلوكم قد إ
«	١٥	عن مهنة وابتذالي	عن مهنة وابتذال

وأكثر هذا التصحيف في الشعر والاستمرار عليه يطيل الجدول فلنقتصر على التصحيف المهمّ الوارد في النثر، وهذا هو :

٥٠	٢٧	وكتب [1] المكين كتاباً	ولقب المكين كتاباً
٦٩	٢٣	وحرزُوا ثلاثين الفاً	وحزرُوا ثلاثين الفاً
«	٢٧ ـ ٢٨	شكلاً لخيل المسلمين وكرفسارات	... وسرفسارات [2]
٨٠	١٩	وخفّ ولدين	وخلّف ولدين
٨٨	١١	بعدمامات جدي: تيسر لي صديق	بعد ما مات جدّي بيسير :

(١) وأول الجملة « وأنشأ محمد بن محمد القمي .... — ولقب المكين — كتابا ... —

(٢) السرفسار هو اللجام وقد ورد ذكره في الروضتين « ج ٢ ص ١٩ » وفي معجم الأدباء ج ٦ ص ٢٥٧ « وبين يديه ثمان جنائب بالمراكب والسرفسارات الذهب ». —

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
٩١	١٧	ثم تعدّت اليه العساكر	ثم تفذت اليه العساكر
٩٢	٢	ففعل في ملكه ما أراد	ففعل [الله] في ملكه ما أراد
٩٧	٣	خرجت ... الى الفراة	... الى الغزاة ـ كما في ص ١٢٨ ـ
١٠٠	٢٣ ـ ٤	وانهدمت بغداد بأمرها والحال	... والمحال
١٠١	١٤	وصحبتُ في عودة	وصحبتُ في عودتي
١٠٣	٢٦	ودفن في الشونيزية في صفط الجنيد	... في صفّة الجنيد
١٠٨	٨	في تولية القضاء	في تولّيه القضاء
١٠٩	١٥	أخذ الفرنج النازلين	اخذ الفرنج النازلون
١١١	١٢	في المدنة مع الانكليز ملك الفرنج	... مع الانكتار او الانكلتر
١١٤	٤	ومائة فوحرة تمر	ومائة قوصرة تمر
«	١٤	فدعى له الأمير ابو العباس ذلك	فرعى ... ذلك
«	١٩	ويسمّى بالملك الرحيم	وتسمّى بالملك الرحيم
١١٨	١٤	ويأسف الناس لما جرى عليه	وتأسّف الناس ...
١٢٤	٢٨	وكأن حفظه للحكايات	... حُفَظة ... (على وزن هُمَزة لُمَزة)
١٢٥	٢	قال : فأقبل وحدي ?	قال فأقتل وحدي [1] ?
«	١١	تفعه في بلاد العجم	تفقّه في بلاد العجم
«	٢٨	الشيخ الفاعل الصانئع	... الصانع ...
١٢٧	٢٠	قد نخرت الصخرة	قد نجرت الصخرة

(١) ومضمون الحكاية أنّ امرأة دعت رجلاً في محلة الشينة بأبي بكر ليفتكوا به فقال لها « يا عيشة » أي ياعائشة ـ حتى يقتلوها ، وذلك أضعف الدفاع عن نفسه ، فلما استغربت ذلك منه، قال لها « أأقتل وحدي ؟ » أي أتكون السبب في قتلي وتريدي أن تنجي ؟ وهذه الحكاية من طرف الحكايات وأدلها على الفكاهة .

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
«	٣٢	ونظر إليّ شذراً	... شزراً
١٣٣	٢٣	فأبقاه وأخوه المعظم	فالتقاه أخوه ...
١٤٠	١٤	فرضت مرضاً شجّ أعضائي	... شنج أعضائي
١٤٢	١٥	كلاب حديد يضربه به كيفما أراد	... يصرّفه به ...
١٤٣	٩	قاعدتين يتحدثان	قاعدتين تتحدثان
١٤٤	٢٥	ولم يزل ينتقص عليه حتى مات	ولم يزل ينتقض عليه حتى مات
١٤٥	١٣	قد استوى على الخلافة	قد استولى ...
«	٢١	فقيل له : ألا يتفسّح ؟	... ألا تتفسّح ؟
١٤٧	٢٦	يتجدونّي ، قال : نعم	تتجدونّي قال: نعم
١٥٠	٢٩	فكان البوّاب إذا مسكوا	فكان التُواب اذا مسكوا
١٥٣	٨ — ٩	وعرة كثيبة الصوان	... كثنيّة الصوان
١٥٥	٦	فلم ينظم صلح ظاهر	فلم ينتظم ...
«	٢٦	تكثر الرجة والضراب	... الزحمة ...
١٥٧	٣١	ههنا رجلاً من الأبدال	... رجل ...
١٩٦	٩	ويلقب شجرشاه	... وتلقب ...
٢٠١	٢٣	وكثرت الرجعات	وكثرت الرجفات ...
٢٠٢	١٩	بالمأمونية من أعمال بغداد	... من محالّ بغداد
٢٠٣	٣	مملوك بنت أتابك	مملوك بيت أتابك
«	١٠	سمار القضايا	مسمار القضايا
٢٠٨	٤	ويقرّب بها الى الرؤساء	... وتقرّب ...
٢١٠	٧	بين قتل المظم ابن الصالح	... المعظم بن الصالح

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
٢١٠	٢٧—٨	ونظيرذلك لأنّ نجم الدين	ونظير ذلك أنّ ...
٢١٧	٤	ومسوّد تاريخاً بحلب	... لحلب ...

وجاء في ص ١٤٣ س ١١ « وكان يقدم كل عام من بغداد على بعض سيلانات الخليفة (؟) » ثم استدرك المصحح في ص ٢٨٥ وقال « لعله معرب ساليانات اي المخصصات السنوية » . قلت : وذلك بعيد والصواب « سبيلات » جمع سبيل وهو ما كان يوقف على حجاج بيت الله الحرام في أثناء سفرهم من الماء والطعام والكساء وذلك شيء متعارف في اصطلاح القوم حتى لقد ورد في الكتاب نفسه ص ٩٣ س ٢٣ « وجهّزني الأشرف الى الحج وعمل لي سبيلاً مثل سبيله » . وقد جاء في الوفيات ج ٢ ص ٧ « يقيم في كل سنة سبيلاً للحج » وأصله للماء ، ففي الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٥٦ « ويقولون : الماء للسبيل » . ولم نزل نسمع العامة بأعراق يسمون السقاية الموقوفة « سبيلخانة » . وفي ص ٨٤ س ١٢ « أتتك بخائن رجلاه » والمثل هو « أتتك بحائن » أي من حان موته .

وجاء في ص ١٤٨ س ٥ « وعنده الأشرف من هذا المقعد المقيم (؟) » ولا حاجة الى الاستفهام والصواب حذف الهاء من (عنده) أي ان ذلك يقعده ويقيمه غضباً وحنقاً .

وورد في ص ٩٨ س ٧ :

ولا غرو أن آتي هنيدة سالماً فقد يدرك الانسان ما يتوقع

ثم قال المؤلف . س ١٠ « هنيدة اسم علم على المائة (؟) » وقد وضع القائم على الطبع علامة الاستفهام كما ترى ، ولا وجه لذلك ، فان هُنَيدة اسم علم للمائة — كما قال المؤلف — ومنه قول الشاعر « لنصر بن دهمان الهنيدة عاشها » . والأصل للابل ثم أطلقت على المائة من كل شيء .

مصطفى جواد

حب العرب والاسلام

كتب الينا من كمبردج العلامة السيد كرينكو من اعضاء المجمع العلمي العربي يقول من رسالة : كانت مطالعاتي في الآداب القديمة من زمان الجاهلية الى غاية القرن الثامن من الهجرة .. ولعلي قرأت من كتب الشعر والعلوم الدينية والدنيوية والتواريخ القديمة ما يزيد على كثير مما طالعه بعض أبناء لغة الضاد والمستشرقين في سائر بلاد اوربا . وقد جمعت على طباق وورقات مخصوصة جملة كثيرة من الابيات القديمة وتاريخ وفيات الرجال من كل طبقة الى منتهى القرن الثامن .. قال ان الألفاظ الجميلة التي تذكروني بها كل مرة لا استحقها وما نشأ حبي للعرب خاصة الا من تعميقي في آدابهم ومن حبي الاسلام والمسلمين .

بيان من الادارة الثقافية

في جامعة الدول العربية

تود الادارة الثقافية بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية أن تلفت الأنظار الى أن مسابقة التأليف التي سبق الاعلان عنها في مطلع هذا العام ، والتي اختير لها الموضوعان التاليان :

(ا) تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامي الى خروج العرب منها ، وما يتصل بذلك من الحوادث في بلاد المغرب .

(ب) تاريخ الأمة العربية (العراق — الشام — مصر والسودان — بلاد المغرب — جزيرة العرب) من سقوط بغداد الى أول القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) .

وقدّر مبلغ ٥٠٠ جنيه مصري لأحسن ما يكتب في كل من الموضوعين ، قد امتد آخر موعد لتقديم الرسائل المكتوبة فيها الى أول مايو سنة ١٩٤٩ بدلاً من الموعد المحدد سابقاً وهو اول مايو سنة ١٩٤٨ .

فهرس الجزء الأول من المجلد الرابع والعشرين

الصفحة		
٣	الألفاظ السريانية في المعاجم العربية (٤)	لبطريرك مار اغناطيوس افرام الأول
٢٢	كنوز الأجداد (١٠)	للأستاذ محمد كرد علي
٤٢	اثر الهند في الثقافة العربية	« خليل مردم بك
٤٧	تحقيقات معجمية (٢)	للأب مرمرجي الدومنكي
٥٩	المدرسون تحت قبة النسر	للأستاذ محمد بهجة البيطار
٧٣	كتاب البرهان في وجوه البيان	للدكتور علي حسن عبد القادر
٨٢	كنز من كنوز الجاحظ (٤)	للأستاذ عبد القادر المغربي
٩٠	نفائس المخطوطات العربية في المشهد الرضوي	للدكتور اسعد طلس

التعريف والنقد

١٠٣	عبقرية الاسلام في اصول الحكم	للأستاذ عارف النكدي
١٠٨	عائشة والسياسة	« « «
١١٣	الدارس في تاريخ المدارس	« محمد كرد علي
١١٥	مذكرات خالدة	للسيدة وداد سكاكيني
١١٨	النظرية العامة للموجبات والعقود	للأستاذ محمد بهجة البيطار
١٢٥	الدرر المباحة في الحظر والاباحة	« « « «
١٢٧	شروح سقط الزند (القسم الثالث)	« عبد القادر المغربي
١٣١	من تراث النبوة	« « « «

آراء وأنباء

١٣٢	أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٨ م	
١٣٤	الراحلون	« « « «
١٣٦	طه الراوي	للأستاذ محمد بهجة الأثري
١٣٩	مؤتمر اليونسكو الثالث	للدكتور جميل صليبا
١٤٥	ما هي العربية ؟	للأستاذ الفرد غليوم
١٥٠	توضيح وتصحيح	« عبد القادر المغربي
١٥٣	نظرات في ذيل الروضتين (٢)	للدكتور مصطفى جواد
١٥٩	حب العرب والاسلام	
١٥٩	بيان من الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية	

الجزء الثاني . المجلد الرابع والعشرون

مجلة المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٤٩ ٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٨

الألفاظ السريانية في المعاجم العربية

- ٥ -

حرف الشين

شاطر : قال ابو عبيدة : الشاطر الذي شاطر الى الشر اي عدل اليه بوجهه ، وفي اللسان : الشاطر من اعيا اهله خبثاً واراه مولداً . هو سرياني ܫܳܛܽܘܪܳܐ و ܫܰܛܽܘܪܳܐ shotouro , shatouro ومدلوله : جاهل ، غبيّ ، ضالّ والفعل ܫܛܰܪ shtār زاغ ، جهل ، ذهب عبثاً . وفي انجيل لوقا (١ ص ١٥) ورد مثل الابن الشاطر . وفي الحوادث الجامعة لابن الفوطي ص ٤٠٣ « ظهر ببغداد صبيان من الشطّار » .

شاطئ : الساحل من النهر والبحر وقال الاسكافي ص ١٩ « الشطّ والشاطئ والشفير : فم النهر » وهو بالسريانية ܫܰܛܳܐ shato ولعله من توافق اللغتين .

شانئ : مبغض ، عدوّ وبالسريانية ܣܳܢܝܳܐ ، ܣܳܢܳܐ sanoio , sono والفعل ܣܢܳܐ sno شنأ ، ابغض . والاسم ܣܢܳܝܬܳܐ ، ܣܶܢܐܬܳܐ sénétho ,

sénoutho شناة ، بغضة ، ومثله بالعربية ، ومنه في سفر اللاويين ١٩ : ٧ « لا تشنأ رفيقك » وفي سفر الأمثال ١٤ : ١٧ « وذو المكايد يشنأ »[1] .

شَبّوط : قال الجواليقي ص ٢٠٧ « شَبّوط اسم اعجمي وهو ضرب من السمك . قال الليث : والشُّبوط (بضم الشين) لغة فيه وهو دقيق الذنب عريض الوسط ، ليّن الملمس ، صغير الرأس » قال الخالدي في بعض اشعاره في دير مار ميخائيل الواقع على ميل من الموصل :

يجرّ صيادُه الشّبوطَ مضطرباً حيّا وقاصدُه اليعفورَ مذبوحا[2]

هو سرياني ܫܒܘܛܐ ، ܫܒܘܛܐ shibouto , shabouto .

شَبين ، واشبين : ويقال له أيضاً عرّاب الطفل المعتمد اي كفيله ، كلمة مسيحية سريانية ܫܘܫܒܝܢܐ shaweshbino ، والمرأة شبينة واشبينة ܫܘܫܒܝܢܬܐ shaweshbinto ، الاسم ܫܘܫܒܝܢܘܬܐ shaweshbinoutho وجمع الاشبين اشابين واشابنة . عمّ استعمالها الروم والقبط فوردت في كتاب الناموس بلفظها السرياني بحذافيره قال : « يحرم عليهم أيضاً ان يتزوجوا شابين آبائهم وأمهاتهم من المعمودية » وكذا في كتاب الجوهرة لابن السباع القبطي .

شَتَل : غرس ، نصب ܫܬܠ shtal ومنها ܫܬܠܐ shetlo : غرس و ܫܬܠܬܐ shétltho غرسة و بيث ܫܬܠܬܐ Beth shetlotho : مغرسة (مشتلة) فالمادة سريانية وتداولها عامة اهل العراق والجزيرة والشام . وفي معجم الشهابي ص ٤٨٤ مشتل ، من اصل سرياني و ص ٥٠٣ وشتلة ، سريانية —

(١) الشاوي في عرف اهل الشام ، هو الذي يتعهد توزيع الماء على المزارعين وتنقيته ، وهو حرف سرياني ܫܘܐ shawi ومعناه : سوّى وساوى وعادلَ وطرح .

والشبشت او الشبش : غصن الكرم الدقيق الذي يكسّح في كل سنة ، اورده ابن بهلول في معجمه عمود ١٩٣٣ و ١٩٣٤ وهو حرف سرياني ܫܒܫܬܐ shbeshto وقيل في جمعه ܫܒܫܬܐ shebshotho لفائف قضبان الكرم وهي لفظة يتداولها عامة أهل الجزيرة .

(٢) مسالك الأبصار ص ٢٩٨ .

وصح استعماله فصيحاً اذ قالوا : المشتل الزراعي — وفي الفصيح والمولد للأستاذ كرد علي مج ١٩ : ٧ والشتلة آرامية عربيتها غرسة ، ومنها المشتلة اي المغرسة .

شَحيثا : قال الفيروزابادي ٢ : ١٦٨ « شَحيثا كلمة سريانية تنفتح بها الاغاليق بلا مفاتيح » واعترض عليه مؤلف الجاسوس بقوله ص ٣٠٩ « وهو باطل من وجهين ، الأول ان صيغة هذه الكلمة لا توافق صيغ اللغة السريانية وانما يوجد فيها شحتو بالتاء ܫܚܬܐ shhôtho اي الوسخ وشحّد بالدال ܫܚܕ shhadh وهو البرطيل « صوابه رشا ، برطل » . واظن هذا هو الذي يفتح الاغاليق بلا مفاتيح . الثاني كيف يكون عند السريان هذه الكلمة وهم لا يعرفونها ولا يستعملونها فتكون الدنيا كلها مسخَّرة لهم ! قال المحشي : بعد ذكر هذه الكلمة : اي مناسبة بين هذا وبين كلام العرب ولغاتهم ... انه لغو من الكلام الباطل ... ولا ينبغي ذكره من المصنف لو كان صحيحاً ولا يليق اهـ . فان قيل إن الأزهري نقل أيضاً هذه الخرافة ، قلت قد نقلها عن الليث وقال في اولها الليث بلغنا انها كلمة سريانية الخ ولا يخفى ان قوله بلغنا يصرف النقل عن التحقيق بخلاف رواية المصنف » اهـ .

قلنا ، ويشمل هذا النقد صاحب اقرب الموارد الذي نقل في ص ٥٧٣ عبارة القاموس بنصها . وكله خطأ صوابه في ما ترى ان اللفظة المبحوث عنها هي بالسريانية ܫܘܥܝܬܐ shouiitho ومعناها قصة وخرافة او ܫܥܬܐ shoôtho ومدلولها لعب ، باطل هذيان . وتوسع اهل الباطل فيها فزعموا ما زعموا . واما ܫܒܝܛܐ shbitho فمعناها : كامخ وقضيب وغصن .

شِرْش : عِرْق : سريانية ܫܪܫܐ shersho : اصل كل شيء ، اساس ، والفعل ܫܪܫ sharèshe اصّل ، اسّس . استعملها (وفا) الشاعر الارامي الذي كان قبل العصر المسيحي بدهر طويل في ما نقله الراهب انطون التكريتي الفصيح[1]

(١) اللؤلؤ المنثور للمؤلف ص ١٧٠ .

وصرّح صاحب معجم الألفاظ الزراعية بسريانيتها ص ٥٣٠ وفي النصيح للاستاذ كرد علي ١٩ : ٧ شرّشت الشجرة ضربت عروقها في الأرض ومنها الشرش للجذر .

شُرعوف : في القاموس ٣ : ١٥٧ « الشُرعوف كعصفور نبت او ثمر نبت ، والشرعاف بالكسر والضم قشر طلعة الفحّال من النخل » وفي السريانية ܣܪܥܘܦܐ و ܣܘܪܥܦܬܐ souroofo , sarèfto وفيها لفتان اخريان : شعبة سعفة ، غصن فرع ، والفعل ܣܪܥܦ نبت ، تفرّع sareef .

شَتقَل : ܣܟܠ ܒܬܩܠܐ skal - bteqlo استوفى حقه من الفضة موزونة بالمثقال (المزهر ١ : ١٦٤) « قال في الجمهرة قيل ليونس بِمَ تعرف الشعر الجيد فقال بالشتقلة ، قال والشتقلة ان تزن الدينار بازاء الدينار تنظر أيهما اثقل ، ولا احسبه عربياً محضاً ، وشتقل الدينار عيّره » . وكذا الصغاني نبه على ان لفظة شتقل ليست بعربية محضة[1] قلنا هي سريانية مركبة مدلولها الحرفي اخذ بالوزن .

شَطَح : ورد في معجم الأدباء ١٣ : ٥٨ ثم شطح في الكلام . وعلق عليها الناشر « اي توسع وتبسط ولم اجد شطح فجعلتها سطح بمعنى بسط ... ويقال ان هؤلاء لم شطحات » قلنا الكلمة سريانية ܫܛܚ shtah ومعناها : سطح ، بسط ، مدّ ، و ܫܛܚ ܡܠܬܐ ܥܠ shtah meltho ʿal : اسهب الكلام . ولا (شطح) في الفصحى ولكنها من كلام العامة ، ومنها ܡܫܛܚܐ Mashtoho : لما ينشر من عنب ونحوه وجمعه مشاطيح[2] .

شُفنين : الشفنين بالضم اليمام او الورشان (ابن بهلول) وفي صبح الأعشى ٣ : ٧٤ الشفنين بالضم اليمامة . وفي كتاب المرشد للتكريتي (الباب ٥١) « ومن القربان ... فراخ الشفنين والعصافير » . لفظة سريانية ܫܘܦܢܝܢܐ

(١) الجاسوس على القاموس ص ١٣٣ .

(٢) شطف : غسل : سريانية ܫܛܦ shtaf ومنها التشطيف في كتاب ابن البياع وهي عامية : واما في العربية فمن شطف : ذهب وتباعد .

shoufnino • والجمع شفانين. قال الجاحظ في كتاب الحيوان ١ : ٢٨٨ « واصناف الشفانين والوراشين » •

الإشفى : المثقب والسراد يُخرَز به ، وعن ابن السكيت : الإشفى ما يُخرز به الأساقي ج اسقية وهي جمع سقاء ، والمزاود واشباهها • والمخصف للنعال ج الاشافي • وقال ابن فارس في مقاييس اللغة ص ١٠٧ « آشف : الهمزة والشين والفاء كلمة ليست بالأصلية فلذلك لم نذكرها ، والذي سُمع فيه : الإشفى » قلنا هي سريانية ܡܫܦܝܬܐ Mashfitho و ܫܦܝܐ shfoio ومعناهما ، منخس ، مهماز ، مسلّة • وحقها ان تذكر في حرف الالف •

الشاقول : وزّان البنائين والمهندسين : ܬܩܘܠܐ Tokoulo •

شِقِرّاق : جنس طيور من الجواثم (المعجم ٥٥٠) وبالسريانية ܫܪܩܪܩܐ shraqroqo وقالوا فيه شرقرق •

شُقفة : قال ياقوت في معجم الأدباء ٥ : ٤٢٧ طبع مرجليوث « واتفق ان الطبيب المذكور لحقته بعد هذا بأيام شقفة وهي التي تسمى التراقي ويقال لها قملة النسر أيضاً فمات منها » قال الكرملي (مجلة مج ١٦ : ١١٧) انه مشتق من الارامية من فعل « ܫܩܦ shkaf » ومعنى الكلمة الرضّة والشدخة والصدعة بمعنى اختها (التراقي) ويجب ان تضبط وزّان الغرفة • اه ܫܘܩܦܬܐ shoukftho: لطمة ، صدمة ، صفعة ، و ܫܩܦ : شقف ، لطم ، صدم ، رضّ •

شَلّ : في شفاء الغليل ص ١١٨ « شللت الثوب ، خطته خياطة خفيفة ، كذا في المصباح » ܫܠ shal : شلّ ، خاط •

شَليل : غلالة تلبس تحت الدرع ، ومسح من صوف او شعر يجعل على عجز البعير من وراء الرحل ، ܫܠܠܐ shélo (١) •

(١) شلّح فلاناً عرّاه ، سواقية أورثتها احد عيي في الحكم • وجاء في اقرب الموارد « وفي حديث علي تخرجوا لصوصاً مشلّحين » هي سريانية ܫܠܚ shalah ومعناها سلب ، قطع الطريق ، ومثلها أشلح ܐܫܠܚ ashlah •

شَليف : سلف ، جوالق . قال الاسكافي ص ٨٨ : الشليف قطعة من خيش تُلبَس السِقاء والقِرَب لتكنَّها من الشمس ، يقال إداوة مُشلَّفة ، وفي السريانية ܫܠܝܦܐ ، ܫܠܝܦܐ shalifo , shlifo . وهذه الألفاظ الثلاث اما سريانية الأصل واما من توافق اللغتين .

شمّاس : خادم ديني وهو دون القسيس ومعاونه في اثناء القيام بالخدَم الكهنوتية وجمعه شمامسة وجمعه البيروني : شماسين (الآثار الباقية ص ٢٩٢) ومصنف ديارات الحيرة : شماميس (مسالك الأبصار ص ٢١٢) وفيه أيضاً ص ٣٤٢ قال مؤلفه ابن فضل الله العمري في دير الدواكيس شرقي القدس :

دير الدواكيس ام ريشُ الطواويس ام الشموسُ سنا تلك الشماميسِ

وقال ص ٣١٢ في دير الاسكون : راكب للنجف فيه قلالي وهيا كل ورهبان يقيمون الضيافة لمن ورد عليهم ، فاذا كان يوم الشعانين اتوه من كل ناحية مع شماميسهم بصُلُبهم وأعلامهم . وجمعه البحتري : شماس قال: بين شماس وقسوسِ (معجم البلدان لياقوت ٢ : ٨٣) وقال عبد الله بن العباس الربعي (الأغاني ١٧ : ١٦٩) :

رُبَّ صهباء من شراب المجوسِ قهوة بابليّة خندريسِ
قد تجلّيتها بناي وعودِ قبل ضرب الشماس بالناقوسِ

قال ابن سيدة ١٣ : ١٠١ (الشماس من رؤس النصارى يحلق وسط رأسه ويلزم البيعة ، وليس هو بعربي صحيح ، وكذلك قال صاحب التاج وزاد : وهذا عمل عدولهم وثقاتهم ، قاله الليث ، وقال ابن دريد : فاما شماس النصارى فليس بعربي محض ، وفي المحكم ، ليس بعربي صحيح ، والصواب ما قلناه في أعلاه ، وليس الشماس رأساً للنصارى ، وكان قديماً يلزم البيعة اما اليوم فلا . والكلمة سريانية من الألفاظ المسيحية ܫܡܫܐ shamosho و ܡܫܡܫܢܐ Mshamshono . والاسم الشماسية ، والشموسية غلط . قال القس ابو البركات ابن كبر في كتابه

« مصباح الظلمة » ص ٤٩ « من كان موسوماً بسمة الشماسية مرسوماً للخدمة الكنائسية » والفعل : شمّس ܫܰܡܶܫ shamèshe خدم ، وفي الجدل لعمرو الطيرهاني ص ١٣ « رأى الملائكة يشمّسون اعني يصلّون »[1] .

شُمْرَة : رازيانج ، وفي معجم الزراعة ص ٢٧٠ « شمار » رازيانج وله اشباه في الآرامية والعبرية والاثورية ، وبالسريانية ܫܰܡܪܳܐ ، ܫܽܘܡܪܳܐ shamro shoumro[2] .

شَمَّلَ : حرف سرياني ܣܰܡܶܠ samèl ومعناه انحلّ بالتقشف والنُسك ورثاثة الثياب و ܐܶܣܬܰܡܰܠ Estamal : تزهد ، تنسك . والاسم ܣܽܘܡܳܠܳܐ soumôlo : نسك ، زهد . واسم الموصوف ܡܣܰܡܠܳܐ Msamèelo الناسك ، الزاهد . قال مُدرك الشيباني (تزيين الأسواق ص ٣٣٠) :

بحقّ قومٍ حلقوا الرؤوسا وعالجوا طولَ الحياة بؤسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا مُشَمَّلينَ يعبدون عيسى

وقال جحظة يصف دير العذارى (ياقوت ٢) :

وقد نطق الناقوسُ بعد سكونه وشَمَّلَ قسيسٌ ولاحَ فتيلُ

وقال ربيعة بن مقروم في وصفه راهباً « الأغاني ١٩ : ١٢ » :

جَئّارُ ساعاتِ النيامِ لربه حتى تخدَّد لحمُهُ متشمِّلِ

وقال : المتشمل : المتغني في تلاوة الزبور .

الشَّهر اي القمر : ܣܰܗܪܳܐ sahro وورد في الاتقان ص ١٤٠ في شهر قال الجواليقي ص ٢٠٧ فاما الشهر ، فقال بعض اهل اللغة : اصله بالسريانية (سهر)

(١) شمس : قال حنين بن اسحق في كتاب القوانين بالسريانية « سميت الشمس بالسريانية ܫܶܡܫܳܐ شمشا shémsho لخدمتها البشر بنورها » يريد اشتقاقها من فعل ܫܰܡܶܫ ومدلوله خدم .

(٢) يستدرك على صاحب التاج قوله : ٥ ، ٣٩٦ « شمون الصفا اخو يوسف الصديق » فشمون هامة رسل السيد المسيح استشهد عام ٦٧ م ويوسف الصديق بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم الخليل وُجد في القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، فانظر المدة التي بينهما ومبلغ هذا التخليط !

فعرّب · وقال ثعلب : سمي شهراً لشُهرته وبيانه ، لأن الناس يشهَرون دخوله وخروجه · وقال غيره : سمي شهراً ، باسم الهلال لأنه اذا أهلّ يسمى شهراً قال ذو الرُمّة : يرى الشهرَ قبل الناسِ وهو نحيلُ

وقال صاحب اللسان : والشهر القمر سمي بذلك لشهرته وظهوره · وفي المصباح : الشهر قيل معرب وقيل عربي وقيل الشهر الهلال سمي به لشهرته ووضوحه ثم سميت به الأيام ·

اسماء الشهور : وقال صاحب اللسان « وآب من الشهور اعجمي معرّب » وأخطأ بنسبة الشهور الى الرومية بقوله : « والكانونان شهران في قلب الشتاء رومية » ووهم مثله صاحب القاموس بقوله : وحزيران اسم شهر بالرومية وكذلك نيسان وتشرين وآذار · وزاد الشرتوني تمحلاً بقوله ٢ : ١١٠٨ « الكانونان كانون الأول وكانون الثاني شهران في قلب الشتاء ، قيل هو عربي مأخوذ من معنى الثقل لشدّة برده وصعوبة التسبُّب والحركة فيه ، وقيل دخيل » اهـ ·

وقال البيروني في الآثار الباقية ص ٥٩ و ٣١٨ « المجوس وقد يسمون الشهور بالأسماء السريانية ، اما النصارى بالشام والعراق وخراسان فقد مزجوا بين شهور الروم وشهور اليهود ··· وسموها باسماء سريانية وافقوا في بعضها اليهود وبابنوهم في بعضها » وذكر شهور السريانيين ص ٧٠ ·

وقال ابن العبري في كتابه الفلكي السرياني الموسوم بالصعود العقلي مج ٢ ص ١٩٠ « فمن الأمم من عدّت بعض شهورها ثلاثين يوماً ·ومنها اكثر من ثلاثين ، وبعضها اقلّ منه كالروماني واليونان والرهاويين السريان ، واما الرهاويون لما اقتبسوا اسماء الشهور من العبرانيين لم يوافقوهم في تقسيم كمية ايامها لكنهم وافقوا في ذلك اليونان والرومان » اهـ ·

وفي قول هذا العلامة نظر ، فان اربعة اسماء من شهور العبرانيين لا توافق اسماء شهور السريانيين وهي : مرحشوان وكسليو وطيبث وسيوّن ، والثلاثة

الأولى توافق تشرين الثاني وكانون الأول وكانون الثاني · واورد الأب دُورم في كتابه «البلاد الواردة في الكتاب المقدس ص ٤٢ و ٤٣ و ٤٦ ان طيبث Tebet وسيوَن Siwan اسمان بابليان ، اذاً لا تثبت نسبتها الى العبرية · وذكر أيضاً في كتابه المنوَّه به وكتابه الموسوم بالديانة الاثورية البابلية ان اسماء شهور آذار ونيسان وايار وتموز وآب وايلول (ويسمونه Ululu اولولو) وتشرين ويذكرونه مرخّماً (تشري) كما هو عند العبرانيين والسريانيين أيضاً Tésrit هي بابلية الأصل «راجع في الكتاب الأول ص ١٠ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ وفي الثاني ص ٦٧ ، ٧٥ ، ٨٢ ، ١٠٧ ، ١٤٩»

ومن البابلية اخذها العبران والسريان فقال العبرانيون : نيسِ واوب (مثل السريان) وتمّز وايلل وشغط · وأما حزيران وكانون الأول والثاني فأسماء سريانية ܚܙܝܪܢ ، ܟܢܘܢ ، ܩܕܡܝܐ ، ܬܪܝܢܐ ، ܟܢܘܢ Konoun , Hziron ، Traïno , Konoun , Kadhmoïo · ولما كان كتبة العصور الوسطى العرب يجهلون ماورد في اللغة البابلية وخالطوا السريانيين ، اثبتوا ان الشهور المذكورة كلها سريانية لاستعمال السريان اياها · وكأنّ البيروني أراد بالمجوس البابليين ·

شواصرا : اقحوان او شويلاء ، حشيشة لونها بين خضرة وصفرة لها رائحة طيبة وزهرة صفراء ܫܘܨܪܐ shouoçro [1] ·

شوَبَق : قضيب ، عصا دقيقة تستعمل لبسط الرغيف حتى يرق · قال الاسكافي ص ٦٤ ويقال للذي تُسوّى به الرغفان وترقّق : المرقاق ، والمحوَر ، والكَرْيب والصوبَج · وفي شرح درة الغواص للخفاجي ص ١٦٩ «صوبج على فوعل وهو ما يبسط الخبّاز عليه الرقاق والعامة تقول له شوبق» وفي لغة الموصل وغوطة دمشق العامة : الشوبك ، بالكاف · ويسمى أيضاً المِلْدَة وهي آلة تسوّى بها الطلمة ، والمِسطع · وبالسريانية ܫܒܘܩܐ shabouqo ·

(١) يسميا أهل أرياف جمى : صويصرا ·

شوَّشَ : اختلف اللغويون في هذا الحرف . فجاء في المزهر ١ : ١٧٩ « قال عبد اللطيف البغدادي في ذيل الفصيح : أجمع أهل اللغة على ان التشويش لا أصل له في العربية وانه مولّد وخطّأوا الليث فيه » وقال الخفاجي في شرح درة الغواص ص ٦٢ « التشويش وقع في كلام الزمخشري واهل المعاني كقولهم : لفّ ونشر مشوش ، وفي شعر الطغرائي :

وان قدرتِ على تشويش طرّته فشوّشيها ولا تبقي ولا تذري

وما أنكره الحريري أثبته الجوهري فقال التشويش ، التخليط . وقد تشوش عليه الأمر ، وكذلك قال الليث ، وقال صاحب القاموس انه وهم . وقال ابن بري انه من كلام المولدين ، ولا أصل له في العربية الا ان الليث أثبتها وهو ثقة » وقال في الشفاء ص ١١٥ والجوهري والليث ثقتان . وقال السيد محمود آلوسي في كتابه : كشف الطرة عن الغرة ص ٢٩٣ « ولا عبرة بانكار صاحب القاموس وغيره بعد رواية الثقة ذلك » قلنا وممن استعمله البيروني قال ص ٣٣٢ « فانها (القوانين) اذا قرّت على حالها لم تخلُ عن تشاويش وتخاليط وقد أنبأنا عن اكثرها » والحرف سرياني ܫܘܫ shawèshe ومعناه شوّش ، بلبل ، والاسم ܫܘܫܐ و ܫܘܫܘܬܐ shawshoutho , shawsho . فهو اذا معرّب من السريانية [1] .

شِيد : ما طلي به الحائط كالجص ونحوه ، وبالسريانية ܣܝܕܐ sido .

شَيلَم ، شَوْلم ، شالم : نبت بين الزؤان والشعير حبّه مرّ ، قيل انه فارسي ، وقالوا فيه : الزؤان يكون بين الحنطة ، وفي معجم البلدان ٥ : ٣٢٨ « الشيلم بلغة السواد الزؤان الذي يكون في الطعام » كذا . وهو بالسريانية ܫܝܠܡܐ و ܫܝܠܘܡܐ shiloumo , shaïlmo .

(١) شياف : الشيف نوع من الأدوية يستعمل للعين وغيرها: قال ابن ابي اصيبعة ١ : ٢٣٨ « ثم بدأ يداوي عينه بالأشياف » وهو بالسريانية ܫܝܦܐ shiofo .

والشيح : نبات انواعه كثيرة منه طيب الرائحة ، ومنه ينبت في بلاد العرب ترعاه المواشي وهو بالسريانية ܫܝܚܐ shiho . وهذان الحرفان لم نتحقق أصلهما اللغوي .

حرف الصاد

صامَ : فعل سرياني بحت : ܨܳܡ som والمصدر ، صوم وصيام ܨܰܘܡܳܐ sawmo وفي نبوة اشعيا ٥٨ وهل تسمي هذا صوماً» وقال النمر بن تولب :

صدّت كما صدّ عمّا لا يحلّ له ساقي نصارى قبيل الفِصح صوّامُ

(كتاب سيبويه طبعة بولاق ٢ : ٢٩) .

صحناء ، صحناة : سمك صغير مملّح ، وفي اللسان : الصحناء ادام يُتخذ من السمك ، والاصح من السمك الصغار ، وفي عيون الاخبار لابن قتيبة الدنيوري ١ : ٢٢١ « اما الجائع فيأكل خبز الأرز والصحناء » وفي معجم الادباء ١٣ : ٢٥٩ تعليق من عبد الخالق على الصحناة قال «وكأنه ما نسميه السردين» سريانية ܨܰܚܢܺܝܬܳܐ sahnitho .

صَدَقة : عطية يُراد بها المثوبة ܙܶܕܩܬܳܐ Zedktho والفعل ܐܶܙܕܰܕܰܩ Ezdaqaq تصدّق وفي انجيل لوقا ١٢ : ٣٣ «بيعوا ما لكم واعطوا صدقة» وفي الحديث (جس ٣٧) (ان الصدقة تقع في يد الله) .

صِدّيق : بكسر الصاد وتشديد الدال ، قال القاموس : الصِدّيق : الكثير الصدق . واضبط منه : هو البار قولاً وفعلاً ، وفي سفر التثنية ٣٢ : ٤ «لا جورَ فيه صدّيق وعادل» وقال جبرائيل الملك ليوسف : أتعرفني ايها الصدّيق . حرف سرياني ܙܰܕܺܝܩܳܐ Zadiqo ومنه :

صِدّيقية : ܙܰܕܺܝܩܽܘܬܳܐ Zadiqoutho : برارة : قال الشرتوني نقلاً عن التعريفات : «الصدّيقية درجة أعلى من درجات الولاية وادنى من درجات النبوة ، فمن جاوزها وقع في النبوة» وفي عيون الاخبار لابن قتيبة ٢ : ٢٧١ «وقرأت في الانجيل «... فالتمسوا ملكوت الله وصدّيقيته فانكم سوف تُكفَون»

صُراحيّة : قلة ، جرة اناء للخمر : جاء في شفاء الغليل ص ١٢٦ «صراحية يستعملها الفرس والروم لزجاجة معروفة يوضع فيها الشراب ، وهي لفظ عربية

صحيحة اهملها القاموس ، وفي شرح ابنية سيبويه : الصُّراحيه الخمر التي لم تُشب بمزاج » اه . قال بعضهم ان وضعها الأصلي للدلالة على الخمر ثم استعملت مجازاً لآنية الخمر . وفي التاج : الصراحية بالضم وتشديد المثناة التحتية ، آنية للخمر ، قال ابن دريد ولا أدري ما صحته » . قلنا هي سريانية معربة من ܨܠܘܚܝܬܐ slouhitho ومعناها صراحية ويقال أيضاً صلاحية ، قلة ، جرة .

صُرصُور ، والصُّرصُر : حيوان فيه شبه من الجراد قفّاز يصيح صياحاً رقيقاً وقيل هو الجُدجُد (الشرتوني : ١ : ٦٤٣) وفي سفر التثنيه ٢٨ : ٤٢ «يتولاّه الصرصر» . ووقع في شعر نرمي من شعراء المشارقة المتوفى سنة ٥٠٧ م ܨܪܨܘܪܐ ، ܨܨܪܐ sarsouro . sesro .

صرّهنّ : قال السيوطي في كتاب الاتقان : اخرج ابن جرير عن ابن عبّاس في قوله « فصرّهن » قال هي نبطية : فشققهن . واخرج مثله عن الضحاك ، وأخرج ابن المنذر عن وهب ابن منية قال : ما من اللغة شيء الا في القرآن شيء منه ، قيل وما فيه من الرومية ؟ قال فصرّهن . يقول قطّعهن اه . قلنا لاحاجة لهذا التكلف فاللفظة سريانية من فعل ܣܪܐ sro ومعناه : قطع ، شقّ ، خرق .

صَفصاف : جنس شجر حرجي مائي (الشهابي ص ٥٦٦) وفي المعاجم الصفصاف الخلاف او صنف منه . وفي التاج : انها لغة شامية : ܨܦܨܦܐ safsofo سريانية . ورد في سفر ايوب : ٤٠ : ٢٢ « يحيط به صفصاف » .

الصَّليب : ܨܠܝܒܐ slibo حرف سرياني لم يرد في المعاجم وبمعناه المسيحي وهو الخشبة التي عليها صُلب السيد المسيح . وليس معرّب جليبا بالجين كما زعم صاحب التاج في هامش صفحة ٥٥ اذ لا (جين) بالسريانيه لكن معرب صليبا السريانية . وجمعه صُلبان وصُلُب ، كما نقله مصنف ديارات الحيرة في مسالك الأبصار ص ٣١٢ . ومنه :

الصَّلَبوت : بالمعنى نفسه خاصّ بالصليب المقدس ܨܠܝܒܘܬܐ slibou̇tho :

وفي مختصر الدول ص ٣٨٦ «واعادة صليب الصلبوت» وقال البيروني ص ٣١١ «الجمعة التي صُلب فيها المسيح وهي الصَّلَبوت» وقال ابو الفداء في تاريخه ١ : ٩١ في يوم الجمعة «ويسمى جمعة الصلبوت» .

صلّى : الرجل ، دعا وأقام الصلاة مبتهلاً الى ربه ، فعل سرياني بحت ܨܰܠܺܝ sali[1] ، والاسم : الصلوة ܨܠܘܬܐ ، ܨܠܘ slou , sloutho ، وبالواو لا بالألف كُتبت في أقدم نسخ القرآن . ورد في المزمور ٤ : ١ «اسمع صلاتي» وفي الحديث «الصلاة مفتاح كل خير» (المناوي ١٩٣) وقال منظور الاسدي

كأنّ مَهْواه على الكَلْكَلِ   موقعُ كفّي راهبٍ يُصلّي

وبيت الصلاة : ܒܝܬ ܨܠܘܬܐ Beth sloutho : المصلّى ، المعبد .

قال الفرزدق يمدح جُبيرة بنت ابي بذّال :

تَهادى الى بيت الصلاة كأنها   على الوَعْث ذو ساقٍ مهيضٍ كسورُها

والوَعْث العظم المكسور .

ويُجتزأ عن بيت الصلاة باللفظة الثانية «الصلاة» للمعنى نفسه كما اعتاد مسيحيو أهل حمص وشرقي الأردن تسمية البيعة بالصلاة فيقول احدهم : هل فتحتَ الصلاة ؟ يريد البيعة . ومن السريان أخذ العبريون اللفظة فسموا كنيستهم «صَلوتا» والجمع صلوات على ما ورد في القرآن في سورة الحج ٤٠ ونصه «ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعض لهُدّمت صوامعُ وبِيَعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يُذكر فيها اسم اللهِ كثيراً»[2] .

وبما أن اللفظة سريانية النجار والاشتقاق وهي دخيلة في العبرية التي لا تعرف سوى فعل «صلح Sâlâh» بمعنى «شوى» كما ورد في العربية «صليت اللحم

(١) وتوافق اللغة الاكدية السريانية بهذه اللفظة Sullu : صلّى (الديانة الأثورية البابلية لدورم ص ٢٤٨) .

(٢) نقل الخفاجي في شفاء الغليل ص ١٢٣ انهم فسروها بقولهم : الصلوات لليهود والبيع للنصارى والصوامع للصابئين ، وانما قُدّمت على المساجد لأن الهدم اهانة .

اصليهُ من باب رمى : شويته ُ » (المصباح المنير ١ : ٥٢٩) وكذلك العربية اخذت الكلمة من السريانية بمعنى الدعاء والاستغفار والبركة وما الى هذا ، وليست الصلاة في ماوهم ابن فارس من صليت العود بالنار اذا لينته لأن المصلي يلين بالخشوع (المصباح ١ : ٥٣٠) ولا من قول بعضهم ان أصلها من الصَّلاء ومعنى صلّى الرجل أي انه ازال عن نفسه بهذه العبادة الصِّلاء الذي هو نار الله الموقَدة (المفردات للراغب الاصفهاني ص ٢٨٧) .

فقد غلط الجواليقي في المعرّب ص ٢١١ والسيوطي الذي نقل عنه في الاتقان ١ : ١٤٠ ، والخفّاجي في شفاء الغليل ص ١٢٣ ـ ١٢٤ والفيروزابادي ٤ : ٣٥٣ والشرتوني الذي نقل عنه ١ : ٦٦٠ وغيرهم بقولهم ان « صلوات » عبرية الأصل .

صَمصام : سيف لا ينثني وورد في السريانية ܨܡܨܡܐ ، ܨܡܨܘܡܐ Smomo Samsomo أورده ابن بهلول ع ١٦٧١ وفي هامش ١٦٧٢ وصاحب كنز اللسان السرياني مج ٢ ص ٣٨١ ومؤلف اللباب ٢ : ٣٧٥ وأثبته دوفال في الألفاظ السريانية مج ٣ : ١٦٨ .

مِصنَفة : وزان مفعلة بفتح الميم او كسرها : عصابة كالمنديل يغطي بها الاسقف السرياني رأسه في أثناء اقامته القدّاس وسائر الخدم الحبرية ، وتكون من قماش حرير مزركش ، ويقال فيها أيضاً : تاج او منديل شبيه بالبَيرون ، نصيف ، صِماد ، عمامة ومقنعة للرأس ولها شرُفات كالتاج . وقال فيها ابن بهلول ع ١١٤١ « عمامة ، عصابة ، نصيف ، مقنعة أو هي قبع له شرفات من الأمام وتشبه التاج الذي يُلبَس في الرأس تحيط برأس رئيس الكهنة كالاكليل وتشبه بالتفافها النصيف الذي تلفه النساء الروميات على رؤوسهن » ذُكرت في التوراة السريانية البسيطة احدى عشرة مرة في سفر الخروج ٢٨ : ٤ و ٣٧ و ٣٩ ـ و ٢٩ : ٦ و ٣٩ : ٢٨ و ٣١ . وفي سفر اللاويين ٨ : ٩ و ١٦ : ٤ . ܡܨܢܦܬܐ Masnaftho «ܘܡܨܢܦܬܐ» خروج ٢٨ : ٤ «ܘܥܒܕܘ ܡܨܢܦܬܐ ܕܒܘܨܐ»

لاويين ٨ : ٩ » . وترجمتها النقول العربية ب : تاج ، برنس ، عمامة ، قلنسوة . ما عدا النقل القديم الذي ترجمها بلفظة مصنفة في ثلاثة مواطن قال « واصنع مصنفة من كتان » ـ خروج ٢٨ : ٣٩ « واجعل المصنفة على رأسه واكليل القدس على المصنفة » ـ خروج ٢٩ : ٦ ، وفي سائر المواضع وافق النقول . وأما المعاجم فانفرد منها دليل الراغبين بايرادها بلفظها ص ٦٤٣ . واللفظة من فعل ܨܢܦ snaf : لفّ عمد رأسه ، و ܨܢܦ sanef : عصب ، لفّ ، عمد رأسه بعماد وهو المأنوس ، والاسم ܨܢܦܬܐ senefto : صَنِفة ، حاشية الثوب ، طرفه . وورد أيضاً ܢܨܝܦܐ nsifo : نصيف ، جنّة ، عمامة (دليل الراغبين ص ٤٦٢) وكذلك هي باللغة العبرية מצנפת Misnêfêt (معجم برون : ٥٤٩) و sanif : عِمامة والفعل sanaf : طوي ، دوّر ، أدار .

وأما في العربية فقد جاء في القاموس ٣ : ١٦٣ « صَنِفة الثوب كفرِحة ، وصِنفُه وصِنفته بكسرها : حاشيته أيّ جانب كان ، أو جانبه الذي لا هُدْب له او الذي فيه الهُدب » وفي الفائق للزمخشري ص ٣٩٣ « الصَنِفة ، حاشية الازار التي تلي جسد (الرجل) ، ونصف الجارية خمّرها وتنصفت الجارية اختمرت ، والنصيف كأمير : الخمار والعمامة وكل ما غطى الرأس ، ومن البرُد ماله لونان (القاموس ٣ : ٢٠٠) .

فاللفظة سريانية وعبرية لثبوت الفعل فيها . ولا بدّ من ادخالها المعاجم واستعمالها دفعاً للالتباس بينها وبين تعريف التاج والعمامة والنصيف والبرنس كما هو واضح [1] .

صَنَم : وثن ، تمثال : جاء في التاج « يقال انه معرّب شمن ولا أدري في أي لسان فانه في الفارسية بتّ ، وقال الدكتور الجلبي : شمن فارسية ومعناها عابد صنم ، ورجع أصل اللفظة السرياني بدليل مشتقاتها فيه (الآثار ٦١)

(١) ارتأى الأب اوغسطين مرمرجي في كتابه « هل العربية منطقية ص ٦٤ – ٦٥ » ان صنيف أو مصنفة دخلت مقلوبة الى العربية عن العبرية رأساً ؟

قلنا هي معربة من السريانية : ܨܠܡܐ Salmo والفعل ܨܠܡ Salèm : صوّر : وفي سفر التكوين ٣١ : ١٩ «فسرقت راحيل أصنام ابيها» وفي نبوة اشعيا «وسبك صنماً لغير نفع» ٤٤ : ١٠ [١] .

صِير : في مبادي اللغة : ٣٩ «والخرق في الباب يسمى الصير وهو الشق» ، وفي الحديث : من نظر في صير بابٍ ففُقئت عينه فهو هَدَر» وعن ابن سيدة قال ابن دريد : احسبه سريانياً معرباً لأن أهل الشام يتكلمون به . قلنا هو كذلك : ܨܪܝܐ ، ܣܪܝܐ Sroio , Serio . أما ان الصير نوع من السمك وهو سرياني معرب كما زعم الجواليقي والخفاجي (ص ١٢٤) او انه إدام من سمك كما ذهب غيرهما فلا صحة له [٢] .

حرف الطاء

طاغوت : كاهن رأس ضلال ، وفي ذيل اقرب الموارد عن التاج ص ٢٧٧ «الطاغوت ، الصارف عن طريق الخير ، والطواغيت والطواغي : بيوت الأصنام» وفي القرآن «اجتنبوا الطاغوت» وفي مفردات الراغب ص ٢٠٧ «والطاغوت عبارة عن كل متعدٍّ وكل معبود من دون الله . . . ولما تقدم سمّي الساحر والكاهن والمارد من الجن والصارف عن طريق الخير طاغوتاً ووزنه فيما قيل فَعَلوت نحو جبروت وملكوت» اهـ فاللفظة بصيغتها هذه سريانية الأصل ܛܥܝܘܬܐ Toôioutho ومعناه : ضلال ، غلط ، غش ، من فعل ܛܥܐ Too : ضلّ ، طغى ، غلط ، اغوى ، والدليل وزنه نحو جبروت وملكوت وهما وزنان

(١) وكذلك بالعبرية (بروك ص ٥٤٥) .

(٢) صلاّم ، شجر صَلب وهو بالسريانية ܨܠܡܐ ܨܠܡܘܢܐ ܨܠܡܐ Salomo , Salmouno , Salmo (دليل الراغبين ٦٣٨ وابن بهلول ع ١٦٦٩ وقال فيه : شجرة صلم) ولم نعثر عليه في دواوين اللغة .

الصَّريق : قال الجواليقي ص ٢١١ عن ابن قتيبة «الصبق الريح وأصله نبطي» (زيقا) وقال الليث : الصَّيق ، الغبار الجائل في الهواء ، وعلق الشارح عن اللسان نقلاً عن بعضهم ان الكلمة عبرانية بقوله : لا دليل لمن زعم عجمتها .

يوافقان الصيغة السريانية ، وليس فارسية الأصل كما وهم الثعالبي (فقه اللغة : ٣١٦)

طِبْطاب : جاء في التاج : قال ابن دريد « الطِبطاب الذي يُلعَب به ليس بعربي » قلنا هو سرياني ܛܦܛܘܦܐ Taftofo : طبطابة خشبة يُلعب بها بالكرة[1]

طلا ، طَلو ، طُلَيّ : وفي الجمهرة الطُلَيّ تصغير طلا (ص ٤٤) الطَلا والطَلو ، ولد الظبي ساعة وُلد ، والصغير من كل شيء ، وهو بالسريانية ܛܠܝܐ ، ܛܠܐ : Tlo , Tli ، ܛܠܝܐ : طلو ، طلا ، حدث صغير ، والفعل ܛܠܝ و ܛܠܐ : Tàlio , Tlé صغر ، ولا فعل منه بالعربية فنرجح سريانيته بدليل فعله .

طَنَز به : سخر ، قال الجوهري ١ : ١٧٨ الطنز أظنه مولَداً أو معرّباً ومعناه السُخرية » وفي الجاسوس ص ٣٥٨ « الطنز غير عربي نبَّه عليه الجوهري . قلنا هو سرياني ܛܢܙ Tnaz .

طُوبى : جاء في التاج ٣ : ٧٥ طوبى لهم وحسن مآب اي الحسنى لهم وطوبى ، اسم الجنة بالهندية (كذا) معرب عن توبى . وعن سعيد بن جبير ان طوبى اسم الجنة بالحبشية . وفي المزمور ١ : ١ « طوبى للرجل » وفي الحديث « طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني » المناوي ٨٨ .

قلنا طوبى سريانية ܛܘܒܐ Toubo ومدلولها الغبطة والسعادة والحسنى ، ويقال طوبى لك وطوباك ، والأولى أفصح . وليست من جمع الطَيبة من نوادر الجموع كما زعموا ، ولا هي شجرة في الجنة ، وليست الجنة بالهندية والحبشية ، وأنى لهم ان يعرفوا اسم شجرة في الجنة فقالوا فيها طيبى ، وأين ورد هذا وما سنده ؟

(١) من الألفاظ التي أخذها السريانيون من اليونانية ثم وردت في العربية :

طِرّيخ : وهو سمك صغار تمالح بالملح وتقول فيه العامة ترّيس : ܛܪܝܟܘܣ Torikhos

وطغمة : جوقة ، كتيبة ، جماعة تطلق على الناس والملائكة ܛܓܡܐ Tègbmo

وطقس : نظام ، رتبة ، صف ، ويعنون بها خصوصاً : مجموعة أدعية ، وحفلات دينية ܛܩܣܐ Teqso وأصلها Taksoes وصاغوا منها فعل ܛܩܣ Takes : رتّب ، هذّب وغير ذلك .

وقال البيروني في الآثار الباقية ص ٣٣٣ « شوال اول يوم منه عيد الفطر ... وزعموا ان فيه خلق الله الجنة ولم يذكر في قولهم معا فيه ويلزمه حتى الحقوا به التشبيه الفظيع من قولهم : ان فيه غرس شجرة طوبى بيده ، ولم يأوّلوا ذلك بل اعتقدوه جهلاً كما هو » اه . ومن هذا الحرف طوباوي ܛܘܒܢܐ Toubono ومؤنثه ܛܘܒܢܝܬܐ طوباوية Toubonitho .

طُور : الطور ، الجبل ، وفي التاج ٣ : ٣٦٩ والطور جبل قرب أيلة وهو بالسريانية طورى ، والطور الجبل بالسريانية (أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٢٦٣ والجواليقي ٢٢١) وفي الاتقان : اخرج الفريابي عن مجاهد قال : الطور الجبل بالسريانية ، وأخرج ابن أبي حاتم الضحاك انه بالنبطية . قلنا هو ܛܘܪܐ Touro ومنه (طورزيتا) لفظتان سريانيتان معناهما : جبل الزيتون . وفي معجم البلدان ٦ : ٦٨ و ٦٩ « طور زيتا جبل بقرب رأس عين عند قنطرة الخابور على رأسه شجر زيتون عذيّ يسقيه المطر . ولذلك سمي طور زيتا . وفي فضائل البيت المقدس وفيه (طور زيتا) وهو مشرف على المسجد ومنه رفع عيسى بن مريم »[1] واللفظة توافقت فيها السريانية والعبرية والعربية (معجم برون ص ١٨٤) .

الطُّوري والطُّوراني : الوحشي من الطير والناس (اقرب الموارد ١ : ٧٢١) ولعلها ܛܘܪܝܐ Touroio بمعنى ناسك ، متوحد ساكن الجبال ، وقد وقعت في بعض أشعار الامام القديس افرام السرياني .

الطَّوف : الرَّمث ، الكَلَك : وفي ذيل أقرب الموارد عن اللسان : الاطواف الارماث التي يركب عليها فوق الماء ، الواحد طوف وهو مذكور في الكتاب : قلنا وفي سفر الملوك الأول ٥ : ٩ « وأنا أصيّرها أطوافاً في البحر » (في الترجمة الموصلية عن النسخة السريانية البسيطة) وهو حرف سرياني ܛܘܦܐ Tawfo .

(١) طورعبدين ܛܘܪܥܒܕܝܢ Tourabdine من أعمال نصيبين ، وليس هو بلدة كما قال ياقوت لكنه جبل فسيح المدى يشتمل على قرى كثيرة .

طوفان : سيل عرمرم ܛܘܦܢܐ Tawfono وفي سفر التكوين « فها أنا جالب طوفان الماء على الأرض ٦ : ١٧ - ان دوفال أحصى هذه اللفظة في عداد الألفاظ السريانية ٣ : ١١٧ . أما نحن فاذا اعتبرنا فعل طاف في السريانية والعربية فلا نغالي دوفال في رأيه ونرجح اشتراك اللغتين فيها[1] .

طَيْجَن، طاجن : مقلاة، طابق . وفي كتاب العنوان للمنبجي ص ١٣٤ «وطرحوه في طيجن» قال الخفاجي في شفاء الغليل ١٣٨ «طاجن وطيجن بمعنى مقلي : فارسي معرب تكلموا به قديماً» وقال السيوطي في المزهر ٢ : ٩٤ و ١٥٩ و ١٦٦ « في الجمهرة الطيجن، لغة شامية وأحسبها لغة سريانية او رومية» . وعدّه يرون في معجمه ص ١٨٠ والأستاذ بندلي جوزي في مجلة مجمع اللغة ٣ : ٣٤٣ من الألفاظ اليونانية Teègan - on ورجح المطران ادّى شير يونانيته . اما المستشرق روبنس دوفال فاحصاه في عداد الألفاظ التي توافقت فيها السريانية والعبرية فهو بالسريانية ܛܓܢܐ Tegno و ܛܝܓܢܐ Tigno والفعل ܛܓܢ Taguène : طجن ونحن الى رأيه أميل بدليل وقوعه في التوراة بحسب الترجمة السريانية البسيطة « ܘܐܢ ܩܘܪܒܢܐ ܥܠ ܛܓܢܐ : لاويين ٢ : ٥ ومثله في النقل اليسوعي «وان كان قربانك تقدمة على طاجن» والشدياقي « وان كان قربانك هدية في طاجن» .

---

(١) الطيبوث : لفظة سريانية ܛܝܒܘܬܐ Taibautho يراد بها ، عجينة من زيت مقدّس وماء ورميم بعض القديسين ، قال الخالدي « في دير القيّارة بين الموصل والحديثة على جانب دجلة الغربي تحته حمّة عظيمة ، وسبيل من قصدها أن يظلّ نهاره في مائها ويأوي ليلهُ هيكل ديرها ، ويلعقه رهبانه بالطيبوث فيشفى باذن الله » وقال الكندي المنبجي حين مرّ بدير مار ماعوث « وصوابه باعوث » :

ولقد سلكت مع النصارى كل ما سلكوه غير القول بالثالوث
بتناول القربان والتكفير للصلبان والتمسح بالطيبوث

معجم البلدان ٤ : ١٧٦ .

حرف الظاء

ظَبي : الظبي الغزال جنس حيوانات مجترات من ذوات الأظلاف المجوّفات القرون (معجم الشهابي ٥٣ و ٢٩٩) ورد في سفر التثنية ١٢ : ١٥ «كالظبيِ والايل» وهو بالسريانية ܛܒܝܐ Tabio مما توافقت فيه اللغات الثلاث (برون : ١٨٠)

مظَلّة : سقيفة ، عرزال ، لفظة متقادمة العهد وردت في سفر التكوين ٣٣ : ١٧ «وصنع لمواشيه مظلات» وفي سفر ايوب ٢٧ : ١٨ «وكمظلة صنعها الناطور» ومنها عيد المظالّ ، قال ابو الفداء في تاريخه ١ : ٨٩ «ومن اعيادهم (اعياد اليهود) المظالا وهي سبعة أيام يستظلون فيها بالخلاف والقصب وغير ذلك» ܡܛܠܬܐ Mtaltho ، ܡܛܠܠܐ Matlo والفعل ܛܠ Tal : دام ظِلّه ، ظلّل ، وهي مما توافقت فيه السريانية والعبرية والعربية (معجم برون ١٨٧) .

ومما يلحق بها وفاتنا ذكره : «بَرطُلّة» قال الجواليقي ص ٦٨ «والبرطُلّة كلمة نبطية وليست من كلام العرب . قال ابو حاتم ، قال الاصمعي «بر» [ܒܪ Bar] ابن ، والنبط يجعلون الظاء طاء وكأنهم أرادوا «ابن الظلّ» ألا تراهم يقولون الناطور وانما هو الناظور» ؟ كذا . وعلق الشارح عليه بقوله «عن الليث ان البرطلة هي المظلة الضيقة» وتبعه فيه صاحب القاموس ٣ : ٣٣٤ اهـ .

وفي ذيل أقرب الموارد ص ١٣٤ عن اللسان : البرطلّة المظلة الصيفية ، نبطية استعملت في لفظ العربية . وعبارة اللسان نقلها التاج عن التكملة والتهذيب وقال «هو الصواب» قلنا ويتضح هذا بشهادة الجاحظ في البيان والتبيين ٣ : ٥١. قال «ولا بدّ للحائليق من قناع ومن مظلة وبُرطلة ومن عكازة وعصا» ووردت اللفظة أيضاً في ترجمة مرقس الضرير ابن القنبر القبطي الذي كان سنة ١١٨٥م.

« قال — ومدّ البطريرك يده الى رأسه (رأس مرقس) وطرح البرطلة وبقي مكشوف الرأس ، وان أحد تلاميذ البطريرك أعاد البرطلة الى رأسه » (الجزء الثاني من كتاب الشيخ المؤتمن أبي المكارم سعد الله بن مسعود المنسوب الى أبي صلح الأرمني ، في الصفحة الثانية من ورقة ٣٦ من النسخة المصونة في خزانة باريس) فيظهر من هذا ان البرطلة يومئذ كانت صنفاً من العمامات الكبيرة التي يغشاها ما يشبه المظلة أو تمتد أطرافها الى ما يشبه ذلك ·

أما ܒܪܛܠܐ Bartélo فلم ترد في دواوين اللغة السريانية ولا عثرنا عليها في تاريخ الجثالقة ولكن القياس لا يأباها ، فهي اذاً كلمة سريانية مركبة (لا نبطية) · وارتأى مجمع اللغة الملكي أن يطلقها على (مظلات النساء) (مجلة اللغة العربية ١ : ٤٥) وكان عليه أن ينوّه بأصلها السرياني وتوافق اللغات الثلاث فيها ، ويعرّفها بالصيغة ، لا الضيقة التي وردت مصحفة ·

(يتبع) مار اغناطيوس افرام الاول برصوم

بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس

كنوز الأجداد

- ١١ -

ابن خلكان

شمس الدين احمد الاربلي

(٦٨١)

قاضي القضاة الكملة ، شيخ المؤرخين ، علم المحققين ، المتفنن في العلوم ، البارع في تصنيفه ، العظيم في تفكيره ، المجيد في شعره ونثره ، ينمّ ما كتب على ذوق عال في الأدب وعلى اطلاعه الواسع في جميع فروعه ، ماهر بالمناسبات والمقارنات ، صاحب اليد الباسطة في النقد وليس ممن يقنعه النقل المجرد ، يجمع بين معرفة نفسية الناس ومعرفة التاريخ ومعرفة الشريعة ومعرفة السياسة ومعرفة الأدب ، والنفوذ أبداً الى الحقائق والعلوم المنوعة التي أعانته على التجويد في تأليفه .

ولد سنة ثمان وستمائة في مدينة اربل بمدرسة سلطانها مظفر الدين بن زين الدين وكان والده يتولى التدريس فيها . وقيل في نسبه انه ينسب الى البرامكة فهو احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر بن خلكان بن باوَل بن عبد الله بن شاكل ابن الحسين بن مالك بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك . قال ابن العديم انه من بيت معروف بالفقه والمناصب الدينية وقال غيره كان إماماً عالماً فقيهاً أديباً شاعراً مفتناً مجموع فضائل معدوم النظير في علوم شتى ، حجة فيما ينقله ، محققاً لما يورده ، متفرداً في علم الأدب والتاريخ وكان ولي قضاء دمشق مرتين ثم عزل وقدم القاهرة وأفتى ودرس ودام بها نحو سبع سنين ثم أعيد الى قضاء

دمشق وسر الناس بعوده ومدحته الشعراء بعدة قصائد من ذلك ما قاله رشيد الدين الفارقي :

أنت في الشام مثل يوسف في مصـ ـر وعندي ان الكرام جناس
ولكل سبع شداد وبعد الـ ـسبع عام فيه يغاث الناس

وقال سعد الدين الفارقي :

أذقت الشام سبع سنين جدباً غداة هجرته هجراً جميلا
فلما زرته من أرض مصر مددت عليه من كفيك نيلا

وكانت مدة مقامه بدمشق عشر سنين كوامل لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً وعاد الى القاهرة فصادف فيها كتباً كان يؤثر الوقوف عليها فطالعها وأخذ منها حاجته . «وهو أول من جدد في أيامه قضاء القضاة من بقية المذاهب فاستقلوا بالأحكام بعد ما كانوا يكونون من نوابه» وأثرت هذه المأثرة للظاهر بيبرس وكان بينه وبينه صلات ود وشغل . والظاهر هو الذي جعل لكل مذهب من المذاهب الأربعة المعتمدة عند أهل السنة والجماعة قاضياً يقضي بينهم .

ذكر في مقدمة كتابه أن ما دعاه الى جمع تاريخه أنه كان مولعاً بالاطلاع على أخبار المتقدمين من أولي النباهة وتواريخ وفياتهم وموالدهم ومن جمع منهم كل عصر فوقع له منه شيء حمله على الاستزادة وكثرة التتبع فعمد الى مطالعة الكتب الموسومة بهذا الفن وأخذ من أفواه الأئمة المتقنين له ما لم يجده في كتاب فرتبه على حروف المعجم ولم يذكر أحداً من الصحابة ولا من التابعين الا جماعة يسيرة تدعو حاجة كثير من الناس الى معرفة أحوالهم وكذلك الخلفاء فانه لم يذكر أحداً منهم وذكر جماعة من الأفاضل الذين شاهدهم ونقل عنهم أو كانوا في زمنه ولم يرهم ولم يقصر مختصره على طائفة مخصوصة من العلماء أو الملوك أو الأمراء أو الوزراء أو الشعراء بل كل من له شهرة بين الناس وقيد من الألفاظ ما لا يؤمن تصحيحه وذكر من محاسن كل شخص ما يليق به من

مكرمة أو نادرة أو شعر أو رسالة ليتفكه به متأمله ولا يراه مقصوراً على أسلوب واحد فيمله والدواعي انما تنبعث لتصفح الكتاب اذا كان مفتناً واسماه « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » مما ثبت بالنقل أو السماع وأثبته البيان .

وطلب في مقدمة الكتاب وخاتمته ممن وقف عليه من أهل الدراسة بهذا الشأن ورأى فيه خللاً فهو المثاب في اصلاحه بعد التثبت فيه . وطلب في آخر كتابه ممن وقف عليه من أهل العلم ورأى فيه شيئاً من الخلل فلا يعجل بالمؤاخذة فيه فاني توخيت فيه الصحة حسبما ظهر لي مع أنه كما يقال : أبى الله أن يصح إلا كتابه . أي أنه بذل الجهد في التدقيق فان ظهر ما فيه خلل بعد ذلك فانه أجاز العالم المطلع عليه أن يصلحه ، وأي أمانة للعلم أعظم من هذه الأمانة .

أعجب علماء المشرقيات بكتاب الوفيات وقالوا انه ليس في لغاتهم من كتب التراجم ما يماثله في التحقيق وما أعجبوا به إلا لأنه نشرد لما حقق كل ما فيه وتمثله وهضمه فهو كتاب في التحقيق معجب لا يحتاج مطالعه عند تلاوة ترجمة من الترجمات الى مزيد اذا انتهى من الترجمة شرح ما يخشى أن يعسر فهمه على القارئ من ألفاظ لغوية غامضة وكلمات قد تكون مبهمة على القارئ في الجغرافيا والتاريخ والنسب .

وعندي ان هذا هو الكتاب المحرر وهكذا يجب أن تكون الكتب يتعب المؤلف أعواماً طويلة في تأليفه ليخرجه كسبيكة الذهب فيستريح من يتناوله بعده للاستفادة ، ولو كانت كل كتبنا على هذا المثال في التحقيق لسقط قسم كبير من المؤلفات وبقي السليم المفيد والزبدة الخالصة .

قالوا كان فيه سكون الطائر المعهود في القضاة وعدم التسرع بما يعرض له بادئ الرأي لا يبت في فصل القضايا إذا رأى في حسمها ضرراً وكذلك فعل بتأليفه فما أخرجه للملاء إلا بعد مضغه وهضمه وتذوقه وحققه وهي مزية امتاز بها بعض المؤلفين الذين كتب الخلود لمؤلفاتهم . وحسنة أخرى كانت تبدو في

كتابه وهي أنه استخدم كل ما حواه صدره من المعارف وما بلغه من عظيم التجارب في القضاء في تأليف كتابه الممتع فقد يكون المؤرخ عند نفسه انه تام الأدوات بما أحكه من فنه فيكبو في فنون كانت تلزمه للتحقيق يدرك هذا النقص كبار المحققين .

وعلى استغراق أوقات ابن خلكان في « فصل القضايا الشرعية والأحكام الدينية » وجد وقتاً لمطالعة القدر الممكن من الأمهات يزين بنصوصها كتابه ووجد وقتاً للتدريس في عدة مدارس بدمشق لم تجتمع لغيره ولم يبق معه في آخر الوقت سوى الامينية وبيد ابنه كمال الدين موسى سوى التجيبية . ولعل لاستئثاره بعدة مدارس على ما لم يجتمع لغيره دخلاً في امالة بعض الوجوه عنه ففتح المجال لحساده ان يزنّ بأمور هو منها بريء . ذلك ان مشايخ المدارس أنكروا ولا شك هذا الطمع من قاضي القضاة وربما كان باكتفائه بمدرسة واحدة أكبر داع الى تجويد التدريس والاتقان في العمل ، وارضاء بعض المدرسين بتوزيع هذه التداريس عليهم خير من ضمها في يد واحدة .

وترجم له ابن الكتبي في فوات الوفيات الذي جعله ذيلاً على كتاب ابن خلكان ترجمة من يفرح بالمساوئ ويغضي عن المحاسن واتهمه بحب المرد ، وأورد له بيتين يقال انه قالها في ابن صاحب حماة وربما كان بقصد النكتة ، وسكت عن محاسنه ولم يذكر كتاب وفيات الأعيان وأين الأصل من الفرع الوفيات كله تحقيق والفوات جله تلفيق .

وروى الكتبي ان ابن خلكان كان في المدرسة العادلية وبات ليلة يدور حول بركتها ويكرر هذين البيتين الى أن أصبح وتوضأنا وصلينا والبيتان هما :

أنا والله هالك آيس من سلامتي
أو أرى القامة التي قد أقامت قيامتي

ونقل له أبياتاً كلها من الغراميات منها :

وسرب ظباء في غدير تخالهم بدوراً بافق الماء تبدو وتغرب
يقول عذولي والغرام مصاحبي أمالك عن هذي الصبابة مذهب

وفي دمك المطلول خاضوا كما ترى فقلت له دعهم يخوضوا ويلعبوا

ومن شعره :

يا رب ان العبد يخفي عيبه فاستر بحلمك ما بدا من غيبه
ولقد أتاك وماله من شافع لذنوبه فاقبل شفاعة شيبه

ومن شعره :

تمثلتم لي والبلاد بعيدة تخيل لي ان البلاد لكم مغنى
وناجاكم قلبي على البعد والنوى فآنستمو لفظاً وأوحشتمو معنى

ابن أبي أصيبعة

موفق الدين أبو العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي

(٦٦٨)

هو من الخزرج من ولد سعد بن عبادة . ولد بدمشق وقرأ مبادئ الطب على والده ثم اتصل بعلماء اجلاء أخذ عنهم التاريخ والأدب والطب وممن تلقى عنهم الطب مهذب الدين الدخوار الذي انتهت اليه رياسة صناعة الطب في عصره . ولما أقام الدخوار بدمشق شرع في تدريس صناعته فاجتمع اليه خلق كثير من أعيان الأطباء وغيرهم يقرأون عليه وأقام موفق الدين بدمشق لأجل القراءة عليه ، وكان يشتغل عليه في المعسكر لما كان ابوه والحكيم الدخوار في خدمة السلطان . قرأ على الدخوار كتب جالينوس ولازمه في وقت معالجته للمرضى فتدرب معه وباشر عندئذ أعمال صناعة الطب وكان مع شيخه لمداواة المرضى في البيمارستان النوري الحكيم عمران من أعيان الأطباء وأكابرهم في المداواة والتصرف في أنواع العلاج ، فتضاعفت الفوائد المقتبسة من اجتماعهما ومما كان يجري بينهما من الكلام في الأمراض ومداواتها ومما كان يصفانه للمرضى .

فالدخوار هو الذي تخرج به المؤلف في الطب واقتبس في المعالجة فوائده وفوائد الحكيم عمران . أما شيوخه في الأدب والتاريخ وغيرهما فلم نعرفهم . وكان مبرزاً في الأدب ينثر وينظم اشتهر بنظمه من مدحه صدور صناعته وكان يقول الشعر على البديهة ويجتمع الى الشعراء ومن أصدقائه فتيان الشاغوري أكبر شعراء دمشق في عصره ومن شعره قصيدة يتشوّق فيها الى دمشق ويمدح موفق الدين عبد السلام . قال فيها :

لعل زماناً قد تقضي بجلق ... يعود وتدنو الدار بعد التفرق
وان تسمح الأيام من بعد جورها ... بعدل وانى بالأحبة نلتقي
فكم لي الى أطلالها من تشوف ... وكم لي الى سكانها من تشوق
ترنحني الذكرى اليها تشوقاً ... كما رنحت صرف المدام المعتق
ومن عجب نار اشتياقي بأضلعي ... لها لهب من دمعي المترقرق
لقد طال عهدي بالديار وأهلها ... وكم من صروف البين قلبي قد لقي
ولو كان للمرء اختيار وقدرة ... لقد كان من كل الحوادث يتقي
ولكنها الأقدار تحكم في الورى ... وتقضي بأمر كنهه لم يحقق

ومن قصيدة له في الوزير الصاحب امين الدولة ابي الحسن بن غزال وهو الذي أهدى اليه كتاب الطبقات :

فؤادي في محبتهم أسير ... وأنى سار ركبهم يسير
يحنُّ الى العُذَيبِ وساكنيه ... حنيناً قد تضمنه سعير
ويهوى نسمة هبت سُحيرا ... بها من طيب نشرهم عبير
واني قانع بعد التداني ... بطيف من خيالهم يزور
ومعسول اللمى مر التجني ... يجور على المحب ولا يجير
تصدى للصدود فني فؤادي ... يوافر هجره أبداً هجير
وقد وصلت جفوني فيه سهدي ... فما هذي القطيعة والنفور ...

وهبط موفق الدين مصر وأكمل صناعته في المستشفى الناصري ثم انتقل الى صرخد في جبل حوران وكان مالكها عز الدين ايبك ، وفي صرخد هلك ودفن .
والى صرخد كتب اليه شرف الدين الرحبي يحثه على العودة الى دمشق ويكره اليه البلد الذي نزل به قال :

موفق الدين ماذا السهو منك على ... ما نلت من رتبة في العلم والأدب
أتعبت نفسك بالنزر الحقير لقد ... أرخصتها بعد طول الجد والدأب
أقمت في بلد يزري بساكنه ... لا يرتضيه لبيب من ذوي الفطن
ناء عن الخير ذي جدب فليس به ... سوى صخور وحرّ منه ملتهب
مضيعاً فيه عمراً ما له عوض ... اذا تصرم وقت منه لم يؤب
أتحسب العمر مردوداً تصرمه ... هيهات أن يرجع الماضي من الحقب
أم تحسب العمر ما ولت لذاذته ... ينال بعد ذهاب العمر بالذهب
اذا تولى شباب المرء في نغص ... فما له في بقايا العمر من ارب
لو كان ما أنت فيه مكسباً لغنى ... لما وفى بذهاب العمر في نصب
فكيف مع قلة الجاري وخسته ... والبعد عن كل ذي فضل وذي أدب
فعد الى جنة الدنيا فقد برزت ... لمجتلي الحسن في أثوابها القشب
ولا تقم في سواها مع حصول غنى ... فالعمر فيما سواها غير محتسب
واقطع زمانك طيباً في محاسنها ... وعد الى اللهو واللذات والطرب

الى آخر القصيدة فجاوبه ابن أبي أصيبعة بقصيدة مدحه بها ومن أبياتها :

وانني بعد ما جد الفراق بنا ... والبعد لم يصف لي عيش ولم يطب
وكيف يلتذ عيشاً من أتاح به ... هذا الزمان الى قوم من الحطب
لم يعرفوا قدر ذي علم لجهلهم ... وليس ذلك في الجهال بالعجب
أتيت من ضاع فضلي في تفناه وهل ... غباوة العجم تدري فطنة العرب

الى آخر ما استدللنا به على انه لم يكن في صرخد على فراش من الورد وان الحاجة أو الشيخوخة دفعته الى الرضا بالاستخدام عند صاحبها الأعجمي في بلد يغلب الجهل على أهله ·

***

هذا ما كان من نشأته وتمحضه لصناعة الطب وكان من أمره بالبراعة في التأليف انه ألف كتابه النفيس «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» واسطة عقد تآليفه والدرة الثمينه التي خلد فيها على الأيام ذكره وذلك في سنة ٦٤٣ وهو في سن الكهولة وبقي خمساً وعشرين سنة يمحو ويثبت كما فعل ابن خلكان في «وفيات الأعيان» ترجم فيه للموافق والمخالف وأنصف جميع من ترجم لهم كأنهم أبناء مذهبه ، وكأنهم كلهم أبناء مذهب واحد وهو مذهب العلم · وأودعه نكتاً وعيوناً في مراتب المتميزين من الأطباء القدماء والمحدثين ومعرفة طبقاتهم على توالي ازمنتهم وأوقاتهم وأودعه نبذة من أقوالهم وحكاياتهم ونوادرهم ومحاوراتهم وشيئاً من أسماء كتبهم ليستدل بذلك على ما خصهم الله تعالى به من العلم قال فان كثيراً منهم وان قدمت أزمانهم وتفاوتت أوقاتهم فان لهم علينا من النعم فيما صنعوه ، والمنن فيما قد جمعوه في كتبهم من علم هذه الصناعة ، ما هو تفضل المعلم على تلميذه ، والمحسن الى من أحسن اليه ·

قسم كتابه الى خمسة عشر باباً الباب الأول في كيفية وجود صناعة الطب وأول حدوثها · الثاني في طبقات الأطباء الذين ظهرت لهم أجزاء من صناعة الطب وكانوا المبتدئين بها وهم ثلاثة · الثالث في الأطباء اليونانيين الذين هم من نسل اسقيليبوس وهم ستة · الرابع في الأطباء اليونانيين الذين أذاع ابقراط فيهم صناعة الطب وهم تسعة · الخامس في الأطباء الذين كانوا منذ زمان جالينوس وقريباً منه · السادس في الأطباء الاسكندرانيين ومن كان في أزمنتهم من الأطباء النصارى وغيرهم · السابع الأطباء الذين كانوا في أول ظهور الاسلام من أطباء العرب وغيرهم وهم عشرة · الثامن في الأطباء السريانيين الذين كانوا

في ابتداء ظهور دولة بني العباس وهم أربعة وثلاثون . التاسع الأطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليوناني الى اللسان العربي وذكر الذين نقلوا لهم وهم سبعة وثلاثون . العاشر الأطباء العراقيون وأطباء الجزيرة وديار بكر وهم اثنان وثمانون طبيباً . الحادي عشر الأطباء الذين ظهروا في العجم وهم ثلاثة وعشرون . الثاني عشر الأطباء الذين كانوا في الهند وهم ستة . الثالث عشر الأطباء الذين ظهروا في بلاد المغرب وأقاموا بها وهم تسعة وثمانون . الرابع عشر الأطباء المشهورون من أطباء مصر وهم سبعة وخمسون . الخامس عشر الأطباء المشهورون من أطباء الشام وهم تسعة وخمسون .

ورتب من ترجم لهم على سني وفياتهم ولا تعد هذه الطبقات كتاباً للطب والأطباء بل كتاب الحكمة والحكماء والمفتنين من العلماء يقع القارئ فيه على أشياء في مدنية الاسلام وعيون المسائل الصحية والعلمية وأسماء التراجمة عن اليونانية والسريانية وغيرهما تتراوح فيه بين التعريف بالأطباء والفلاسفة والحكم المستعذبة والأشعار اللطيفة والنثر البديع فهي كتاب أدب ومحاضرة كما هي كتاب حكمة وطب تتنقل بين الاستفادة من هذه وترويح النفس بتلك الى غير ذلك من الفوائد التاريخية والاجتماعية والطبية عدا ما فيه من النكات والفكاهات .

ومن فكاهاته ما رواه عن يوحنا بن ماسويه الطبيب العالم المشهور وكان فكهاً ذا دعابة وظرف قال : شكا اليه رجل جرباً قد أضرّ به فأمره بفصد الأكحل من يده اليمنى فأعلمه انه قد فعل . فأمره بفصد الأكحل أيضاً من يده اليسرى فذكر أنه قد فعل . فأمره بشرب المطبوخ فقال : قد فعلت . وأمره بشرب الاصطمخيقون فأعلمه انه قد فعل . فأمره بشرب ماء الجبن أسبوعاً وشرب مخيض البقر أسبوعين فأعلمه أنه قد فعل . فقال له : لم يبق شيء مما أمر به المتطببون الا وقد ذكرت أنك فعلته وبقي شيء مما لم يذكره بقراط ولا جالينوس وقد رأيناه يعمل على التجربة كثيراً فاستعمله فاني أرجو ان ينجع علاجك إن شاء الله . فسأله ما هو ؟ فقال : ابتغ زوجيّ قراطيس وقطعها رقاعاً صغاراً

وا كتب في كل رقعة رحم الله من دعا لمبتلى بالعافية ، وألق نصفها في المسجد الشرقي بمدينة السلام ، والنصف الآخر في المسجد الغربي وفرقها في المجالس يوم الجمعة فاني أرجو أن ينفعك الله بالدعاء اذ لم ينفعك بالعلاج .

توسع المؤلف في حرية القول الى التي لم يصل زمانه الى أوسع منها وحرص على نقل الشعر ولا سيما شعر الأطباء وفيه المستملح وفيه العالي ، ولكثرة غرامه بالحرية نشر طائفة من الشعر الذي نصفه بالأدب المكشوف فأراد أن يجعل كتابه مرجعاً كبيراً وموردا فائضا في كل أطروفة وأطروبة ولذلك رأيناه لما أهدى نسخاً لبعض من يغلب عليهم الوقار حذف هذه الزائدات ومن رآهم يحبون الأشياء على أصلها استنسخ لهم من كتابه نسخة تامة ، وهذا هو السبب في اختلاف النسخ التي ظفر بها طابع الكتاب - قاله أستاذي الجزائري .

والغالب ان الأطباء ومهنتهم تقتضيهم النظر في أعضاء البدن كافة لا يتحرجون كسائر الشعراء من النظم في الأدب المكشوف تسلية لأنفسهم ولغيرهم في صناعة صعبة تحتاج الى مرح ودعابة وقد وقع لهم في عهد المدنية العربية من ذلك أشياء كثيرة قصد بها ادخال السرور على النفوس ولولا ان بعضهم يشمئزون من ذكر هذه المسائل ما توقفت عن ان أتقدم أول المؤلفين في إثبات ما قالوا ما دام أجدادنا لم يحجموا عن إنشادها وتدوينها أيام عزة الاسلام .

ومن حرية المؤلف انه نشر النسخة التي كتبها ابن حمويه المتصوف لعمه رشيد الدين علي بن خليفة بالباسه خرقة التصوف . ولعله قصد باثباتها في مصنفه لينعى على بعض أهل هذه الطريقة تخريفهم خصوصاً وقد ادعى ابن حمويه انه أخذها عن والده عن جده وأنه أخذها عن الخضر عليه السلام والخضر عن رسول الله ﷺ ، والخضر كالعنقاء والمهدي ما جاآ قط . وبنقله هذه النسخة فضح معتقداً واهياً بقي يجوز على عقول العامة قروناً .

لموفق الدين عدة كتب لم تصل الينا ووصل الينا طبقات الأطباء وهو بحق من الأمهات المعتبرة حفظت فيه مطالب مهمة جداً لولاه لضاعت على العلم العربي .

الثعالبي

ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري

(٤٢٩)

هذه النسبة الى خياطة جلود الثعالب وعملها قيل له ذلك لأنه كان فراءً ونشأ في نيسابور وطاف البلاد والغالب انه من أصل عربي أخذ عن ابي بكر الخوارزمي وسماه بعضهم جاحظ نيسابور . قال ابن خلكان فيه انه كان في وقته راعي تلعات العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم ، رأس المؤلفين في زمانه ، سار ذكره سير المثل وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب وتواليفه كثيرة . وأكبر كتبه يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر وفيه يقول ابن قلاقس :

أبيات أشعار اليتيمة   أبكار أفكار قديمة
ماتوا وعاشت بعدهم   فلذاك سميت اليتيمة

كان شاعراً عظيماً وكاتباً مجيداً يعرف ما يختار ويبدع وفي كل ما كتب أجاد وأبدع ونمّ عن ذوق ظريف في الشعر والنثر .

وما جود الثعالبي هذه الاجادة النادرة في تأليف اليتيمة إلا لأنه تصدى لتصنيفها والعمر في اقباله ثم تعاورها بالزيادة والنقص الى أوان نضجه واكتماله قال : «وحين أعرته على الأيام بصري وأعدت فيه نظري تبينت مصداق ما قرأته في بعض الكتب أن أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتاباً فيبيت عنده ليلة الا أحب في غدها ان يزيد فيه أو ينقص منه ، هذا في ليلة واحدة فكيف في سنين عدة » والنسخة الأخيرة التي اعتمدها من اليتيمة تجمع «من بدائع أعيان الفضل ونجوم الأرض من أهل العصر ومن تقدمهم قليلاً وسبقهم يسيراً تتضمن من ظرفهم وملحهم لطائف أمتع من بواكير الرياحين والثمار وأطيب من فوح نسيم الأسحار بروائح الأنوار والأزهار ما لم تتضمنه

النسخة السائرة الأولى والشرط في هذه الأخرى ايراد لب اللب وحبة القلب وناظر العين ونكتة الكلمة وواسطة العقد ونقش الفص مع كلام في الاشارة الى النظائر والأحاسن والسرقات فتأخذ في طريق الاختصار ونبذ من أخبار المذكورين وغرر من فصوص فصول المترسلين يميل الى جانب الاقتصار » .

بدأ بشعراء الشام وفضلهم في البلاغة على غيرهم وقال ان السبب في تبريز القوم قديماً وحديثاً على من سواهم في الشعر قربهم من خطط العرب ولا سيما أهل الحجاز وبعدهم عن بلاد العجم وسلامة ألسنتهم من الفساد العارض لألسنة أهل العراق بمجاورة الفرس والنبط ومداخلتهم اياهم ، فجمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة . قال كانت أشعار الاسلاميين أرق من أشعار الجاهليين وأشعار المحدثين ثم كانت أشعار العصريين أجمع لنوادر المحاسن وأنظم للطائف البدائع من أشعار سائر المذكورين ولانتهائها الى أبعد غايات الحسن وبلوغها أقصى غايات الجودة والظرف تكاد تخرج من باب الاعجاب الى الاعجاز ومن حد الشعر الى السحر فكأن الزمان ادخر لنا من نتائج خواطرهم وثمرات قرائحهم وابكار أفكارهم أتم الألفاظ والمعاني استيفاء لاقسام البراعة ، وأوفرها نصيباً من كمال الصنعة ورونق الطلاوة .

بدأ اليتيمة بسيف الدولة والذين كانوا من شعرائه في الذروة ثم شعراء مصر والمغرب والموصل وشعراء بني بويه وكتابهم وشعراء البصرة والعراق وحده ثم بغداد وحدها واصبهان والجبل وفارس والاهواز وجرجان وطبرستان وخوارزم وخراسان ونيسابور وغيرهم من أهل البلاد التي نسي اسمها الا من كتب التاريخ وتقويم البلدان وكانت تقيم للآداب أسواقاً وتتفضل على الأدباء والشعراء فتنضر أوراقه وتينع ثماره .

وكتابه الثاني فقه اللغة واسرار العربية وهو كتاب كاد يحيط باللغة قسمه أبواباً وضم كل معنى الى شكله وكل لفظ الى ما يماثله وجعله في متناول الخواص

والعوام والبنات والبنين وهو كتاب آخذ بناصية الكمال من أوله الى آخره ؛ قدمه لأبي الفضل عبيد الله بن احمد الميكالي وكان أقام عنده زمناً في ضيعته فيروزاباد من رستاق جوين وأمده بكتب من خزائنه حتى كتب هذا الكتاب الدال على اغراقه في النظام والتنسيق ما يكاد يكون فيه منقطع النظير .

وكتابه الثالث «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» ليس أقل من الثاني تنسيقاً وجمالاً وقد خرجه «في أحد وستين باباً ينطق كل منها بذكر ما يشتمل عليه أولاً ويفصح عن الاستشهاد وسياق المراد آخراً وما منها الا ما يتعلق من المثل بسبب ، ويوفي من اللغة والشعر على طرف ، ويضرب في التشبيهات والاستعارات بسهم ، ويأخذ من الأخبار والأنساب بقسم ، ويجيل في خصائص البلدان والأماكن قدحاً ، ويجري في أعاجيب الأحاديث شوطاً» وكتابه هذا كله علم وبحث .

أما كتبه الصغيرة فكثيرة وكلها من الامتاع والاجادة في القمة منها أحاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الاسلام ، ومنها كتاب من غاب عنه المطرب وأحسن ما سمعت والكنايات والتمثيل والمبهج وسحر البلاغة والاعجاز والايجاز والأمثال وبرد الأكباد في الاعداد وخاص الخاص وسر الأدب وغرر أخبار ملوك الفرس والفرائد والقلائد ونثر النظم وحل العقد والكناية والتعريض ولطائف المعارف واللطائف والظرائف والمؤنس الوحيد ومرآة المروآت ومكارم الأخلاق والمنتحل الى غير ذلك مما طبع له وكله مجموعة فوائد وغرر في اللغة والتاريخ وتراجم الشعراء وأشعارهم والأدباء وأخبارهم والكتاب ومنثورهم «وشيء كثير جمع فيها أشعار الناس ورسائلهم وأخبارهم وأحوالهم دلالة على كثرة اطلاعه» ينقل ما ينقل من الكتب المعتمدة المشهورة في عصره ويضم بعضه بنظام راق وعلم واسع يستفيد منه المتعلم والمتفكه حتى لتتألف من كتبه خزانة لطيفة . وكان يلقى المشهورين من الشعراء الممتازين ويستنشدهم شعرهم

ويقتبس أحاديثهم ويأخذ من دواوينهم ومن هؤلاء الذين عاصرهم ضم كتابه طائفة عظيمة كانوا حلية زمانهم وسادة أبناء صناعتهم . ولم يتحرز من نقل أكثر الشعر بذاءة كشعر الواساني وابن الحجاج مثلاً فجاءت يتيمته مرآة العصر الذي كتبت فيه ومثالاً من أدب اهله ومن سبقهم الى الأرض .

وأعظم ما نفعه في تآليفه تنقله في حواضر الاسلام وأخذه من الكتب الموقوفة وكتب الخواص ما طاب له وكفاه ان نشأ في نيسابور وكانت في زمنه أعمر مدن الدنيا بالعلم والأدب كادت تفوق بغداد في القرن الثالث والرابع ونيسابور كاصفهان نبغ بها من كل صنف من أصناف الرجال المشتغلين بعقولهم ما يتعذر احصاؤه .

ومن شعره :

وسائلٍ عن دمعي السائل ... وحال لوني الكاسف الحائل
قلت له والأرض في ناظري ... أوسع منها كفة الحابل
بليت والله بمملوكة ... في مقلتيها ملكا بابل
فان لحاني عاذل في الهوى ... يوماً فما العاذل بالعادل

ومنه :

سقطت لجَنبي في فراشٍ لزمته ... اضم الى قلبي جناح مهيض
وما مرَض بي غير حبي وانما ... ادلس فيكم عاشقاً بمريض

وكتب الى ابي نصر سهل بن المرزبان ولقد لسعته عقرب على قدمه فلما وجدت وقتلت بزوال الوجع بهذه الأبيات :

يا عمدة الأمراء والوزراء ... يا عدة الأدباء والشعراء
يا غرة الزمن البهيم وناظر الـ ... ـكرم الصميم وواحد الفضلاء
أرأيت همة عقرب وثبت الى ... قدم بها تخطو الى العلياء
لما ارتقت باللسع أعظم مرتقى ... أخنت عليها رتبة العظماء

ان ذقت ضراء المقارب فابقين بمقارب الأصداغ في سراء
يا طيب لسعة عقرب درياقها ريق الحبيب بقهوة عذراء

وله : ثلاث قد مُنيت بهن اضحت لنار القلب مثل كالأثافي
ديون أنقضت ظهري وجور من الأيام شاب له غداقي
وفقدان الكفاف وأي عيش لمن يُمنى بفقدان الكفاف

ومن شعره ما كتبه الى الأمير ابي الفضل الميكالي :

لك في المفاخر معجزات جمة أبداً لغيرك في الورى لم تجمع
بحران بحر في البلاغة شابه شعر الوليد وحسن لفظ الأصمعي
وترسل الصابي يزين علوه خط ابن مقلة ذو المحل الأرفع
كالنوّر او كالسحر اوكالبدر او كالوشي في بُرد عليه موشع
شكراً فكم من فقرة لك كالغنى وافى الكريم بُعيد فقر مدقع
واذا تفتق نَوْر شعرك ناضراً فالحسن بين مرصع ومصرع
ارجلت فرسان الكلام ورضت افـ ـراس البديع وانت امجد مبدع
ونقشت في فص الزمان بدائعاً تزري بآثار الربيع الممرع

ومن شعره :

لما بعثت فلم توجب مطالعتي وأمعنت نار شوقي في تلهبها
ولم أجد حيلة تبقى على رمقي قبلت عيني رسولي اذ رآك بها

محمد كرد علي

موقفنا من الفلسفة

١ – توطئة عامة

كان من نتائج سياسة الخلفاء في العصر العباسي الأول ان تشوق العلماء الى الاطلاع على العلوم الفلسفية ، فأوفد المأمون الرسل الى بلاد الروم لاستخراج علوم اليونانيين ، ثم حمل المترجمين على نقلها الى اللغة العربية . فنقلوا كتب (افلاطون) و (أرسطو) و (تيوفراست) و (جالينوس) و (وفيثاغوروس) و (فرفوريوس) وشروح (الاسكندر الافروديسي) و (تيمستيوس) (وامونيوس) وبعض كتب افلوطين وغيرها ، كما نقلوا أيضاً بعض الكتب السريانية والفارسية والهندية .

ولم يمض على نقل العلوم الفلسفية الى اللغة العربية الا القليل حتى عكف العرب على شرح معانيها والنسج على منوالها ، فأبدعوا لأنفسهم فلسفة خاصة مشبعة بعقائدهم الدينية ، وميولهم الاجتماعية والسياسية ، ثم نقلت هذه الفلسفة الى الغرب ، وسيطرت على التفكير الأوروبي حتى نهاية القرن الخامس عشر .

إلا ان الدولة العربية لما غلبت على أمرها ، وتسلط عليها الأتراك والبرابرة ، ركدت بها ريح العمران ، واضمحلت منها حرية الفكر ، واتهم الفلاسفة في صدق ايمانهم ، وصحة عقيدتهم ، وحاربتهم الخاصة والعامة . فالغزالي هدم فلسفة ابن سينا ، واتهم صاحبها بالكفر والزندقة ، وابن رشد نكب في المغرب ، واحرقت كتبه ، حتى قال الحاج ابو الحسين بن جبير فيه ، وفي نكبته :

نفذ القضاء بأخذ كل مموه متفلسف في دينه متزندق
بالمنطق اشتغلوا فقيل حقيقة ان البلاء موكل بالمنطق

وابن خلدون نفسه كتب فصلاً هاماً في ابطال الفلسفة وفساد منتحلها. وما زال العلماء والمحدثون ينتقدون الفلاسفة، حتى صارت كلمة فلسفة مرادفة في أذهان العامة للثرثرة والتمويه والالحاد، والفيلسوف عندهم هو الرجل الذي يلوك الكلام ويأتي بالافكار الشاذة، ويعرض نفسه للهزء والسخرية. ولم تسترد الفلسفة بعض ما فقدته من الرواج والانتشار الا في أيامنا الاخيرة، إذ عكف المترجمون على نقل كتبها من اللغات الاوروبية الحديثة، وأخذ الكتاب والعلماء والمثقفون يعنون بها عنايتهم بفروع العلوم الأخرى. وكان من نتائج ذلك ان اتسعت الحركة الفلسفية في العالم العربي الحديث، وأقبلت الصحف والمجلات على نشر المقالات الفلسفية، ومال القراء الى مطالعة ما يفهمونه، وما لا يفهمونه منها. فمن قائل بضرورة الرجوع الى الفلسفة العربية القديمة لاحياء آثارها، واظهار معالمها، ومن قائل بضرورة الاخذ بالفلسفة الغربية الحديثة كما هي، دون أي تبديل او تغيير، ونريد الآن ان نحدد موقفنا ازاء كل من هذين الرأين.

٢ — موقفنا من الفلسفة العربية

ما هو موقفنا إزاء الفلسفة العربية القديمة، هل ينبغي لنا الاخذ بها كما هي، أم يجب الاعراض عنها، والاتجاه نحو الفلسفة الغربية الحديثة؟

لا شك ان الاعراض عن الفلسفة العربية القديمة ليس في مكنتنا، لأن هذه الفلسفة قد نفذت الى نفوسنا، وبدلت أفكارنا وعواطفنا. وهي فلسفة عقلية، وتوحيدية، وروحانية معاً، من مبادئها الأساسية ان الحقيقة الدينية لا تختلف عن الحقيقة الفلسفية، وان الحكمة هي صاحبة الشريعة، واختها الرضيعة. ومن نظر في آراء حكماء العرب، من الفارابي الى ابن سينا، ومن ابن سينا الى ابن رشد، علم أن التوفيق بين الحكمة والشريعة كان همهم الأول، حتى ان المتأخرين من علمائنا كالأستاذ الامام محمد عبده لم يخرجوا عن هذا المبدأ في

تفسير آيات القرآن الكريم . وجميع ما جاء في الشريعة عندهم متفق مع ما يكشف عنه النظر العقلي . فالمنقول مطابق للمعقول ولا فرق بين حقيقة وأخرى .

ولا شك ايضاً في ان الأخذ بالفلسفة العربية بأصبارها لا يتفق ومبادىء العلم الحديث . ففي الفلسفة العربية امور كثيرة لا تصلح لتوجيه تفكيرنا ولا لتنظيم حياتنا الحاضرة .

ان نظرية الفيض التي وضعها فلاسفة العرب للتوفيق بين الدين والفلسفة تستند الى اعتقادهم ان الارض هي مركز العالم ، وان الأفلاك طبقات مختلفة تحيط بالارض كما تحيط القشرة بالبيضة . ثم ان نظرية النفس ، ونظرية العقل ، ونظرية الطبيعة ، مشتملة جميعها على آراء لا يؤيدها العلم الصحيح .

لذلك كله كان من العبث الأخذ بالفلسفة العربية القديمة بأصبارها ، ان هذه الفلسفة يجب أن تدرس كما تدرس سائر الاتجاهات الفكرية القديمة لا للإفادة منها في توجيه سلوكنا ، ولكن لاستكمال ثقافتنا الفكرية ، واطلاعنا على ماضينا وتعريفنا بأنفسنا ، وتوضيح تطور أفكارنا ، فاذا شئنا ان تكون لنا فلسفة عربية حديثة تأتلف وميولنا ، وحاجاتنا الحاضرة ، وجب علينا اولاً دراسة الفلسفة العربية دراسة تاريخية لتأمين الاتصال بين اتجاهاتنا الفكرية الحديثة وعبقريتنا القديمة .

ان الحاضر كما قال (ليبنيز) مثقل بالماضي ومتليء من المستقبل ، والأمم التي ليس لها ماض ليس لها شخصية كاملة . ومن أعرض عن دراسة الماضي حرم الاطلاع على أجمل آثار الفكر التي خلفها الاجداد .

على ان هذا الالتفات الى الماضي يجب ان يكون دافعاً الى الحركة والتقدم ، لا باعثاً على الركود . ان كثيرين من الشيوخ الذين يعيشون في الماضي يعجزون عن تفهم الحاضر ومسايرة تطوره . ان اعجابهم بماضيهم يلهيهم عن الاهتمام بالحاضر ويحول بينهم وبين التطلع الى المستقبل .

فموقفنا من الفلسفة العربية القديمة يجب ان يكون اذن موقفاً علمياً محضاً ، ونعني بهذا الموقف العلمي أن تاريخ الأفكار يجب أن يطلب لذاته ؛ لا لعبره

وفوائده ، ومتى طلب التاريخ لذاته انكشف هو نفسه عن كثير من المسائل التي توحي الينا بالأفكار والآراء الجديدة .

هناك أمران يحددان لنا هذا الموقف العلمي : الأول هو التعريف بالفلسفة العربية ، والثاني هو نقدها وتحليلها .

١ — فالعرب لا يزالون حتى الآن جاهلين بكثير من مسائل الفلسفة العربية . وربما كان بعض المستشرقين أحسن احاطة بهذه المسائل من بعض علمائنا المعاصرين . أما فلسفة الكندي ، والفارابي ، وابن سينا ، والغزالي ، وابن رشد ، فلا تزال محاطة بكثير من الغموض ، كما ان فلسفة علماء الكلام من المعتزلة وغيرهم لا تزال قليلة الوضوح . والسبب في ذلك يرجع الى ان كثيراً من الكتب الفلسفية القديمة لم يصل الينا ، حتى اصبحنا لا نعرف منها الا اسماءها كما ان كثيراً من المخطوطات لا تزال محفوظة في خزائن الكتب الخاصة لم يطلع عليها الا القليل من الناس ، وفي اللغة اللاتينية وغيرها تراجم لبعض الكتب العربية المفقودة . فهل من مصلحتنا ان تبقى هذه الكتب مخزونة في الصناديق في وقت نحن أحوج الأمم فيه الى التعريف بماضينا . ان أول عمل علمي يجب علينا القيام به هو احصاء المخطوطات الفلسفية العربية في البلدان الشرقية والغربية ، وتحقيقها ونشرها ، ثم اعادة طبع الكتب الفلسفية المنشورة سابقاً ، لاشتمالها على كثير من الأغلاط ، فبعضها لم يطبع حتى الآن الا على الحجر ، وبعضها الآخر طبع للتجارة لا للعلم والتحقيق ، وبديهي ان احياء النصوص الفلسفية يجب ان يشمل أيضاً كتب العقائد والتصوف . ففي كتب العقائد كثير من الفلسفة ، كما ان في كتب الأخلاق والتصوف نزعات فلسفية أصلية لا ينبغي اهمالها .

٢ — والأمر الثاني الذي يحدد لنا هذا الموقف العلمي هو وضع دراسات تحليلية عن فلاسفة العرب تشرح فيها فلسفتهم وتبين منابعها وأصولها ومدى تأثيرها في الحضارتين الشرقية والغربية . ان هذه الدراسات التحليلية هي الوسيلة

الأكيدة لتعريف العرب بحضارة العرب . وكما يتقدم التحليل على التركيب في ارتقاء العلوم الوضعية فكذلك يجب ان تتقدم الدراسات التحليلية الخاصة في تاريخ الفكر على النظرات التركيبية العامة . ان مؤرخي الأفكار الذين ينصرفون الى التركيب قبل التحليل يشبهون الروائيين الذين يؤلفون الوقائع الخيالية من مواد أولية وهمية . فقد يعدم هذا البناء الوهمي عن معرفة الحقائق ، وقد يقلب التاريخ الى اسطورة كاذبة ، وفي تاريخ العلوم آيات ناطقة تدل على أن العلماء لا يصلون الى المرحلة الوضعية الا بعد عكوفهم على تحليل العناصر ، واعراضهم عن حل المسائل الكبرى حلاً تركيبياً سريعاً . فالرياضي ، والفلكي ، والفيزيائي والكيميائي ، وعلماء الحياة والنفس والتاريخ يحددون في مرحلة التحليل دائرة بحثهم ، وينصرف كل منهم الى موضوع خاص ، او الى ناحية واحدة من موضوع خاص . ثم اذا تم لهم هذا التحليل انتقلوا منه الى مرحلة التركيب ، وكشفوا عن الخطط العامة المشتملة على تعليل العناصر وتوضيحها . لذلك كان من الصعب جداً على الباحثين في تاريخ الفلسفة العربية وضع تاريخ جامع لتطور الفكر العربي قبل القيام بدراسة النصوص ، وتحليل الآراء ، وتحديد الاتجاهات الفكرية الخاصة . وأنّى لنا ان نضع هذا التاريخ الجامع اذا نحن لم نحلل المذاهب الفلسفية المختلفة ، ولم نكشف عن الاتجاهات الفكرية المتباينة ، ولم نؤلف منها خططاً عامة تقرب الأفكار المتشابهة بعضها من بعض ، وتجمعها في تيار واحد .

وقصارى القول ان موقفنا من الفلسفة العربية القديمة يجب ان يكون موقفاً علمياً وضعياً غايته التعريف بها ونقدها وتحليلها ، لا الأخذ بأصبارها ، والنسج على منوالها . فان لكل زمان فلسفة موافقة لبنيته الاجتماعية وحالته العلمية وتطوره الفكري . ومن أراد ان يكون له في القرن العشرين فلسفة القرون الوسطى كان كمن يمشي الى الامام مشية القهقرى .

٣ – موقفنا من الفلسفة الغربية

ان هذه الاشارات كافية لتحديد موقفنا من الفلسفة الغربية . فكما ان احياء الفلسفة العربية القديمة لا يكفي لبعث الفلسفة في ربوعنا ، فكذلك الأخذ بالفلسفة الغربية كما هي لا يكفي لتوجيه سلوكنا في مجتمعنا الحديث ، المتردد بين روحانية العقل ومادية العلم . فلا بد لنا ها هنا أيضاً من اتباع الطريق الذي سلكناه في تحديد موقفنا من الفلسفة العربية وهو : التعريف بهذه الفلسفة أولاً ، ثم نقدها وتحليلها .

١ – ينبغي لنا أولاً ترجمة امهات الكتب من الفلسفة اليونانية القديمة كفلسفة افلاطون وأرسطو وغيرهما . ان الكتب العربية القديمة المترجمة عن اليونانية كثيرة الابهام والتعقيد ، لا يتوصل القارئ الى ما فيها من المعاني العميقة الا بعد قراءتها عدة مرات . فقد حكي عن الفارابي انه قرأ كتاب النفس لارسطو مائتي مرة ، وذكر ابن سينا عن نفسه انه قرأ كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو اربعين مرة من غير ان يفهم ما فيه . ومن نظر في كتاب (قاطيغورياس) الذي ترجمه حنين بن اسحق وجد فيه من الغموض وركاكة الاسلوب ما يدعوه الى قراءته عشرات المرات . فلا بد لنا اذن من إعادة ترجمة هذه الكتب من لغتها الأصلية باسلوب عربي واضح ، ان الكتاب المعاصرين الذين ترجموا بعض كتب ارسطو وافلاطون عن الفرنسية او الانكليزية ضلوا سواء السبيل ، وليس في تجديد هذه التراجم كلها مضيعة للوقت ، اذ ان اكثرها قد فقد ، والموجود منها يكتنفه الغموض . ومن تذكر ان التفكير الأوروبي في اواخر القرن الخامس عشر وفي القرن السادس عشر قد استند الى الفلسفة اليونانية في نهضته الحديثة أدرك ما لتعريب كتب افلاطون وارسطو من عميق الأثر في احياء فلسفتنا العربية القديمة من جهة ، وفي تفهم الفلسفة الغربية من جهة اخرى .

فالفلسفة اليونانية لا تزال حتى اليوم معجزة المعجزات، تجد فيها أصولاً لجميع المذاهب الحديثة من (ليبنيتز) الى (نيتشه) ومن (ديكارت) الى (كانت). ومن أراد ان يكون له في ميدان الفلسفة أقل اثر فعليه أولاً الا ان يرتوي من معين الفلسفة اليونانية.

٢ — وينبغي لنا ثانياً ان نترجم أمهات الكتب من الفلسفة الغربية الحديثة ككتب (لوك) و (ديكارت) و (ليبنيتز)، و (اسبينوزا) و (هيوم) و (كانت) و (سبنسر) و (هيجل) و (شوبنهاور) و (اغوست كونت) و (نيتشه) و (برغسون) وغيرهم. ان هذه الترجمة ضرورية لنا اليوم اكثر من الدراسات التحليلية المقصورة على التعريف بالفلاسفة الغربيين. ومن قرأ هذه الدراسات عرف انها لا تطلعه على افكار الفلاسفة الا من وراء حجاب. واذا فهم ما كتبه اصحابها لم يجد في افكارهم ما يرفعه الى فضاء الفكر ويوحي اليه بالمعاني الجديدة. ومن شروط الترجمة ان تنقل الكتب من اللغة الأصلية التي كتبت فيها، لأنها اذا نقلت عن لغة ثانية كان ذلك باعثاً على غموض الأفكار وتحريفها وبعدها عن الضبط. دع ان المترجمين لا يحسنون الاختيار فيترجمون ما يصل اليهم من الكتب على غير هدى من غير ان يكون لها قيمة حقيقية. مثال ذلك ان بعض قراء العربية كانوا الى عهد قريب يعدون (غوستاف لوبون) اعظم فلاسفة الغرب. والسبب في ظنهم هذا يرجع الى ان بعض الأساتذة نقل كتبه الى اللغة العربية. لا شك ان (غوستاف لوبون) شارك في علوم كثيرة، الا انه لم يتعمق في علم من العلوم تعمق رجال الاختصاص، فهو قد كتب في علم الاجتماع، ولكنه ليس عالماً اجتماعياً كدور كهايم ولفي بروهل، وهو قد كتب في علم الفيزياء ولكنه ليس عالماً فيزيائياً كجان برن وطومسون وأنيشتاين، وكتب في علم التربية والأخلاق ولكنه لم يبلغ في ذلك ما بلغه جيمس وديوي، وبينه، وبرغسون من بعد النظر ودقة الفكر. فمن الضروري اذن وضع برنامج واسع لترجمة

الكتب ، تتولى اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية الاشراف عليه ، ثم توزع العمل على الاختصاصيين في مختلف الدول العربية لتنفيذه وانجازه .

٣ — وقد يقال ان في العالم الغربي انواعاً من الفلسفة لا تأتلف وعبقرية الأمة العربية ، وان نقل هذه المذاهب الى لغتنا قد يؤدي الى استهواء الكثير من الناس ، وادخال الفوضى على العقائد الموروثة . فنقول رداً على ذلك ان نقل المذاهب المختلفة لا يودي بالضرورة الى الأخذ بها . ففي الفلسفة الاوروبية مذاهب روحانية ومذاهب مادية كما ان فيها مذاهب خيالية ومذاهب وجودية ، وهي تتهافت ويهدم بعضها بعضاً كما تتساند وتتعاون . فاذا ترجمت كلها معاً استطاع القارئ العربي ان يقارن بينها وان ينقدها ويحللها ويكون لنفسه بعد ذلك رأياً شخصياً فيها . وربما كان لنقل هذه المذاهب المختلفة اثر عميق في تربية حرية الفكر . لقد تعود مفكرونا ان يقيدوا آراءهم الفلسفية بالعقائد الموروثة والتقاليد الاجتماعية المعروفة . واذا خرجوا عن هذه التقاليد أثاروا حولهم موجة من السخط والاستنكار . إن الابداع الفلسفي شبيه بالابداع الفني ، لا ينمو الا حيث تنمو حرية الفكر . ومتى خضع للقيود الاجتماعية والسياسية انقلب الى تقليد محض . أضف الى ذلك ان الفلسفة الغربية ليست مضادة لعبقريتنا ، فهي قد تولدت من الفلسفة اليونانية كفلسفتنا القديمة ، وكان للفلسفة العربية نفسها أثر عميق في نشأتها . ان القديس (توما الاكويني) و (غيوم دوفرني) و (روجه باكون) قد أخذوا كثيراً عن ابن سينا وابن رشد ، حتى ان اعجاب (غيوم دوفرني) بهما كان لا يقل عن اعجابه بأرسطو . فليس بيننا وبين الغربيين في هذه الناحية الا فرق واحد ، وهو ان الفلسفة قد اضمحلت من العالم العربي الا قليلاً من رسومها نجدها في تفاريق من الناس وتحت رقبة من علماء الدين ، اما الغرب فقد عرف الفلسفة اليونانية أولاً عن طريق الفلسفة العربية ، ثم عرفها بعد ذلك مباشرة ، وبقيت الفلسفة عند الغربيين نافقة الأسواق متجددة الرسوم حتى وصلت الى ما هي عليه

الآن من الابداع . فليس في الفلسفة الاوروبية اذن ما يخالف عبقرية الشعب العربي وميوله ، بل ان تكامل الفكر العربي الحديث يقتضي اقتباس الفلسفة الاوروبية وربطها بالأصول اليونانية القديمة . ومتى تم لنا هذا الاقتباس استطعنا ان نجدد تفكيرنا وأن نبدع لأنفسنا فلسفة عربية حديثة .

وجملة القول ينبغي ان يكون موقفنا من الفلسفة الغربية كما كان موقف اجدادنا من الفلسفة اليونانية . وهو موقف ايجابي يدعو الى ترجمة الفلسفة الغربية والأخذ بكثير من مسائلها ، ثم تأليف عناصرها في قوالب عربية مستوحاة من ماضي الأمة وحاضرها .

٤ — موقفنا من الفلسفة بصورة عامة

وها هنا اشارة لا بد من ذكرها في آخر هذا المقال . وهي انه ينبغي لنا في كل ذلك ان نتجنب التقليد المحض . ان مجلاتنا الشهرية طافحة بالمقالات الفلسفية ، كما ان دور النشر تصدر في كل شهر كتاباً فلسفياً موضوعاً أو مترجماً . الا ان هذه الزيادة في الانتاج لا تدل على ابداع حقيقي ، لأنها زيادة وهمية مبنية على التقليد . لقد أصبح البحث في المسائل الفلسفية عندنا زياً من الأزياء . وقلما وجدت كاتباً لم يكن له في هذا الباب باع طويل . وهذه الظاهرة تدل على ان القارئ العربي يرغب اليوم في مطالعة الموضوعات الفلسفية بالرغم من اضمحلال الفلسفة ، وزوال رسومها بين ربوعنا . ولكن معالجة هذه المسائل لا تتعدى الآن طور التقليد الأعمى . اننا نقلد الغربيين في كل شيء ، نقلدهم في الأزياء كما نقلدهم في الأفكار والعواطف . نعم قد يكون التقليد ضرورياً في المراحل الأولى من الحياة الفكرية ، الا انه اذا طال أفقد الفكر روعته وابداعه ، فاذا شئنا ان تكون لنا فلسفة عربية حديثة دالة على عبقريتنا وجب علينا أولاً ان نتجنب التقليد الأعمى ، وان نسمو الى يفاع الاستبصار والابداع .

وهذا لا يمنع من ان يكون في العالم العربي فلاسفة مقلدون يذهبون الى ما ذهب اليه ابن رشد في وحدة العقل أو يقولون بما قال به ابن خلدون من ابطال علم ما بعد الطبيعة ، أو يعتنقون مذهب (كانت) او (اغوست كونت) او (سبنسر) في المعرفة . الا انه ينبغي ان يوجد الى جنب هؤلاء التابعين فلاسفة آخرون مبدعون يقتبسون العناصر من هنا وهناك ويصوغونها في قوالب جديدة . والشرط اللازم لهذا الابداع هو في نظرنا فك الفلسفة من عقالها ، واطلاق حريتها ، وتجريدها من القيود التقليدية والضغط الاجتماعي . وليس في اطلاق حرية الفلسفة اي خطر على الدين ، لان الايمان أقوى من أن يتصدع بمعاول العقل ، لا بل قد يكون في هفوات العقل تأييد له ورجوع اليه . وما الفلاسفة الا شعراء يصوغون مادة العلم في قوالب العقل ، كما ينسج الشعراء رموزاً ومجازات ورؤى وأحلاماً مقتبسة من الطبيعة . فاذا نظرنا الى الفلسفة هذه النظرة الفنية أمكننا أن نحلها دار الأمان ، وان نتغاضى عن المتفلسفين كما نتغاضى اليوم عن الشعراء .

جميل صليبا

تحقيقات معجمية

- ٣ -

ج - بَلَد والبَلَد

العربية :

بَلَدَ في المكان : أقام به ؛ و — اتخذه بلداً ؛ وبلد القومُ : لزموا الأرض يقاتلون عليها . بَلِدَ : كان بليداً ، أي غير ذكي ولا فطن . بَلُدَ : لم يكن ذكيّاً ؛ و — الفرسُ : تأخر عن الخيل السوابق ، فهو بليد ؛ و — الجملُ والحمارُ : كان لا ينشّطه تحريك . أبلَدَ القومُ : صارت دوابّهم بليدة ، لا تسبق ؛ أو لصقوا في الأرض استكانةً .

أبلَدَ فلاناً الشيءَ : ألزمه اياه ؛ و — في المكان : أقام به ولزمه ؛ و — الرجلُ : لحقته حيرة ؛ و — الحوضُ : تُرِكَ ولم يستعمل ، فتداعى .

بلَّد الرجلُ : اذا لم يتجه الى شيء ، و — نكس في العمل ؛ و — الفرسُ : ضعف حتى في الجري ؛ و — السحابُ : لم يمطر ؛ و — الانسانُ : لم يَجُدْ ؛ و — الفرسُ : لم يسبق ؛ و — الجبالُ : تقاصرت في رأي العين لظلمة الليل ؛ و — فلانُ : ضرب بنفسه الأرض ؛ و — لحقته حيرة . تبلَّد : تحيَّر ؛ سقط الى الأرض من ضعف ؛ تلهف ؛ تسلط على بلد غيره ؛ نزل ببلد ما به أحد ؛ تكلف البلادة . ابلندي : صلب وكثر لحمه .

البَلَدُ : التراب ، القبر ، الدار ، الأثر من الدار ، مأوى الحيوان وان لم يكن فيه بناء ، كل موضع أو قطعة من الأرض متحيّزة ، عامرة أو غامرة ، خالية أو مسكونة ؛ جنس المكان كالعراق والشام ؛ مكّة تفخيماً لها . والبلد الحرام :

مكة . البلدة : الصدر؛ راحة اليد من الخف والحافر . ضرب بلدته على بلدته : الاولى راحة اليد ، الثانية الصدر ؛ منزل القمر؛ الارض ؛ القطعة من الارض ؛ الثغرة في النحر [1] .

تنسيق وتعليل

(١) ان الثلاثي « بلد » ليس له مقابل في غير العربية من اللغات السامية . فكان هذا الواقع مما حمل المستشرق (Sémitisant) Noldeké — وقد تابعه في رأيه غيره من رصفائه العلماء ، مثل Fraenkel ، Vollers ؛ Brockellmann — على الزعم بان كلمة « بلد » ليست عربية ، بل دخيلة من اللاتينية ؛ وان اللفظة اللاتينية المعربة والمصحفة « بلد » هي Palatium التي يقابلها في اليونانية Palation ؛ ومعناهما القصر والصرح أو البلاط الروماني . أما المستعرب de Laudberg فقد نبذ ، بكل صواب ، هذا الزعم ناعتاً اياه « بالغرابة الشنيعة » من حيث الاشتقاق ، ومن الناحية التاريخية [2] .

(٢) هذا وان جارينا هؤلاء المستشرقين ، اضطررنا الى الذهاب الى ان مادة « بلد » فعل ارتجالي مشتق من كلمة اجنبية ، ومن هذه اللفظة الدخيلة قد تفرعت كل الصيغ الاخر بضروب معانيها التي بسطناها اعلاه . وعليه يكون العرب قد اقترضوا من الأجانب لفظة أولية في حياتهم ، وواردة في أوائل آثارهم الأدبية ، ومطلقة على اقدم واقدس موقع ومدينة في ديارهم ، الا وهو مكة وأرضها المدعوة في المصحف وخارجاً عنه « البلد الأمين » الحرام [3] .

(٣) فقد اصاب ، على رأينا ، المستعرب de Laudberg بذهابه الى ان « بلد » ومشتقاتها كلها عربية صحيحة ، لا بل سامية قحة ، لا يشتم منها رائحة الاجنبية قطعاً .

(١) اللسان ٤ — ٦٢ ي ي . التاج ٣ — ٥٣ ي . الصحاح ٢ — ٢١٤ Lane ٢٤٦ ي ي .
(٢) المعجم الدثيني ١ — ٢٠٠ ي .
(٣) سورة البلد ١ ، ٢ : « لا أقسم بهذا البلد . انت حل بهذا البلد » سورة التين ٣ : « وهذا البلد الأمين » سورة النمل ٩٠ : « انما أمرت ان أعبد رب هذه البلدة التي حرمها .. »

(٤) في سائر ألسنة بني آدم سُنّة طبيعية هي سنة «القلب» . وهذه السنة جارية في العربية أكثر من غيرها من اللغات السامية وسواها ، لما هو معلوم من ان العربية مجموعة لهجات متعدّدة ، هي أهم سبب لمنشأ القلب في اللغات .

(٥) فاذا فرضنا سنة «القلب» ، أمكننا القول بانه منذ الأزمنة القديمة ، قد قلب لفظ «بَلَدَ» عن حرف «لَبَدَ» . وبهذا الافتراض تتجلى الكلمة عربية وساميّة ، لوجودها في كل هذه الألسن على الصورة المذكورة . وهذه هي معانيها :

العربية : «لَبَدَ» في المكان : لزق به ، واقام فيه . تلبد الصوف : تداخل ولزق بعضه ببعض ؛ و — الطائرُ في الأرض : جثم عليها . اللُّبَد : من لا يسافر ، ولا يطلب معاشاً ، ولا يبرح منزله . عصابةٌ مُلبَدة : لاصقة بالأرض من الفقر . اللُّبدَة : الجماعة من الناس يقيمون كأنهم بتجمّعهم تلبّدوا [١] .

السريانيــة : albèd ، labbèd ، lbad : لبَّد ، كثّف ، جمّد . lâbôdâ : مُلبِّد . lbîdâ : متلبِّد ، متراكِم ، كثيف [٢] . العبرية : lâbad وجّد ، ضمّ . hitlabbèd اجتمع ، التحق [٣] .

(٦) والثلاثي «لَبَدَ» مشتق من الثنائي «لَبْ» . وهذه مداليله في الساميات :

في العربية : «لبّ» بالمكان : اقام به ولزمه . ألبّ على الأمر : لزمه ولم يفارقه . ورجلٌ لبٌّ على الأمر : لازم له لا يفارقه [٤] .

السريانيــة : lebbâ : اللبّ ، لتلبّه ؛ لباب ، لب الحنطة . labbèb : قوّى القلب ، شجّع [٥] .

العبرية : leb ، lebab : لب ، قلب lâbab : كان ذا قلب وفهم [٦] .

---

(١) الصحاح ١ : ٢٥٨ . (٢) معجم منّا ، ص ٣٦٦ .

(٣) معجم المالح ص ٢٠٨ . (٤) البستان ٢ : ٢١٣٧ .

(٥) معجم أودو ٢ — ٧ . (٦) معجم المالح ص ٢٠٨ .

الأكدية : labâbu ، libbu : لُب ، قلب [١] .

الحبشية : leb : لب [٢] . السبئية : leb : لُب [٣] .

(٧) اذن « بلَد » هو مقلوبُ « لَبَدَ » . ويظهر ذلك من تحديد « بلَد » ، كما هو وارد في المعاجم ، ولا سيا في « تهذيب الألفاظ » لابن السكيت (ص ٤٤٦) . فقد جاءت بمنزلة مترادفات الأفعال التالية : بَلَد بالمكان ، وأبلَد ، ولبَدَ ، وألبد به ، ولَبَّ به ، بمعنى مكث فيه ولم يبرحه .

(٨) بفضل هذا الافتراض افتراض قلب « بلَد » عن « لَبَد » ، واشتقاق « لَبَد » من « لَبّ » الثنائي ، ينفك مغلق بقية مغاوي مشتقات « بلَد » . فمن مفاهيم « بَلَدَ » . الأولية دلالته على التراب . وذلك لتلبّه ، وتلبّده ، وكثافته ، ومن معنى التراب ، اطلقت كلمة « بَلَد » على القبر . لأنه يُحفر في الأرض ؛ وما الأرض سوى مجموعة من التراب .

وانتقل المدلول من الأرض الى الدار ، والقرية ، والمدينة ، والناحية ، والاقليم ، والمملكة . لأنها كلها قائمة في الأرض والتراب . ثم شملت لفظة « البلد » كلَّ مكان ، وجنسَ المكان كالعراق والشام . ثم اختصت بمكة تفخيماً لها .

(٩) « البَلْدة » أو « البُلْدة » الصدر وراحة اليد ، لتلبّد وتلبّب اللحم عليها . ودلّت ايضاً على منزل القمر ، لمكونه فيه مدة من الزمان .

كذلك « ابلندى » : صلب وكثر لحمه (الجمل) . فهو مزيد فيه الهمزة والنون ، اذ مجرده « لبَد » ، وهو من « لَبّ » . وفي كلها معنى التجمع والتلبّد بكثر اللحم .

(١٠) هناك دلالة اخرى لفعلي « بَلِدَ وبَلُدَ » وهي عدم الذكاء والفطنة . فهذا أيضاً ينحلّ مشكله بافتراض القلب عن « لَبَد » واشتقاقه من « لَبّ » .

(١) معجم Bezold ص ١٥٧ . (٢) معجم Dillmann ٤١ .

(٣) Robinson ص٥٢٣ . راجع في شأن مادة « لبد ، ولبّ » ، « هل العربية منطقية » ، الكتاب الجديد لمرمرجي ، ص ١٢ ي . و ٧٥ ي ي .

لان البلادة ، اي الحمق والغباوة ، تفترض غالباً التلبّد ، والتضخّم في البدن ، والكثافة في العقل . فينشأ عن ذلك قلة النشاط في حركة الجسم ، والحيرة في العمل .

وهكذا تثبت عربية وسامية هذه المفردة ، ويتجلى التناسق والمنطق في اشتقاق وتوسع معانيها ، دون الحاجة الى الزعم بانها معرب Palatium اللاتينية .

ح : لحَن واللّحن

العربية :

لَحَن : اصاب في التكلم ؛ و — أخطأ في الاعراب وخالف وجه الصواب ؛ ولحن الرجلُ : تكلم بلغته ؛ ولحن اليه : قصد ومال اليه ، ولحن قولَه : فهمه ؛ و — فلانٌ لفلان لحناً : قال له قولاً يفهمه عنه ، ويخفى على غيره ؛ و — الرجلُ : فطن لحجته وانتبه ؛ ولَحَن في قراءته : طرّب فيها وترنّم . رجلٌ لاحِن : اذا صرف كلامه عن جهته . لَحْنُ الكلام : فحواه ومعاريضه . اللّحن له ستة معانٍ : الصواب في الكلام ، الخطأ في الاعراب ، اللغة ، الفطنة ، التعريض ، المعنى ، الغناء . قِدْحٌ لاحِن : اذا لم يكن صافي الصوت عند الافاضة [١] .

العبرية : lahan ج lehânîm : لحن ، ألحان [٢] .

تنسيق وتعليل

(١) لقد ارتأى المستشرق Gunsburg انّ « اللّحن » آتٍ من الكلمة اليونانية lixanos الدالة على وتر المِزهر الذي يضرب عليه بسبابة اليد اليسرى (lixanos : معناها الحرفي : اللاطع او اللاحس ؛ من فعل leixo : لطع ، لحس) ؛ وقد اطلق عليه صوت هذا الوتر الصادر عند الضرب عليه .

(١) التاج ٩ — ٣٣٠ . اللسان ١٧ — ٢٦٣ ي ي .

(٢) معجم El-Maleh ٧٧٧ .

والمستعرب de Landberg يرى ان كلمة « لَحْن » ، بمختلف مدلولاتها ، ليست مشتقة عن أصل واحد [1] .

أما نحن فنقول : نعلم من الوجهة التاريخية ان العرب ، بعد الاسلام ، قد نقلوا ، فيما نقلوه ، عن اليونان ، صناعة الألحان ، المدعوة في اللاتينية musica ، وفي اليونانية mousiké ؛ وقد عربها العرب بلفظة « موسيقى » . وقد كانت تطلق في القديم ، عند اليونان ، على عامة الفنون الفتانة ، ولا سيما الشعر والغناء منها ، تلك الفنون التي كانت ، حسب روايات تخيلاتهم (mythologie) تشرف عليها بنات المشتري التسع ، المدعوات Muses [2] . وقد كانت لفظة الموسيقى المعربة معروفة في زمن اسحق الموصلي (٢٣٦/٨٣٠) [3] . ومعلوم أيضاً ان العرب اقتبسوا صناعة الألحان ، قبل الاسلام وبعده ، من الفرس . الا انهم كانوا يسمونها ، فضلاً عن الألفاظ الأجنبية ، بلفظ عربي ، وهو « علم الايقاع والنغم » .

(٢) أما الغناء فقد كان دارجاً بينهم ، منذ أقدم العصور ، وهم بعد في عهد البداوة . وقد بدأ بالحداء ، وانشاد الشعر . وقد ورد حرف « اللَّحْن » في أمثالهم . ومنها قولهم : ألحَنُ من جرادتين . وهو مثل عاديٌّ قديم . والجرادتان كانتا قينتين لمعاوية بن بكر العمليقي سيد العمالقة الذين كانوا نازلين بمكة ، في قديم الدهر [4] .

(٣) أما من جهة الاشتقاق اللغوي فنقول : ان مادة « لَحَنَ » عربية محضة في أصلها وفروعها المعنوية . فلا حاجة الى استعارتها من لغة غريبة . ونثبت ذلك ، حسب النظرية الثنائية والألسنية السامية .

(١) المعجم الدثيني ، تأليف de Landberg ٣ - ٢٦٢٢ ي .

(٢) Greek - English lexicon , by Leddell . II , p 1055 .
Dictionnaire étymologique du grec . par Boissac , p 568 .
Larousse du xxe siècle. E . 4 . p . 1074 , et 1049 s .

(٣) المعلمة الاسلامية (بالفرنسية) ج ٣ - ١ ٨٠ . الأغاني ١ - ٩٨ و ٤ - ٢ ٥٢ ي .

(٤) مجمع الأمثال ، للميداني ، ٢ - ١٣٨ . فرائد الآل في مجمع الأمثال ، للأحدب ، ٢ - ٢١٥ .

(٤) ان الثلاثي (لحَنَ) صادر عن الثنائي «حَنْ» وهذه معانيه في الألسن السامية:

العربيـــة :

حنَّ : نزع الى الشيء ، و — عليه : عطف اليه ونزع اليه . و — القلبُ الى الشيء : اشتاق ، و — صدَّ ، ردَّ ، صرف .

حنَّت الإبل : نزعت الى أوطانها ، و — الناقة إثر ولدها : عطفت اليه .

حنَّ واستحنَّ : اضطرب . وفي اللهجة الدثينية : «حنّ» : طنّ ، رنّ ، أنّ [1] .

الحنين : الشديد من البكاء والطرَب ، أو هو صوت الطرَب ، سواء كان ذلك عن حزن أو فرح ، و — الشوق وتوقان النفس . حنين الناقة : نزاعها بغير صوت ، أو بصوت ؛ لكن أكثره بصوت . أصل الحنين ترجيع الناقة صوتها إثر ولدها . ويطلق أيضاً على الحمامة ، ثم على البشر .

الحنون من الرياح : التي لها حنين كحنين الابل ، أي صوت يشبه صوتهـا عند الحنين . عُود حنّان : مطرِب . وسهم حنّان : مصوّت [2] .

حنا : عطف ، انثنى . حنا ظهره : عطفه . الحنيّة : القوس (فعيل بمعنى مفعول) ، لأنها معطوفة ، ملويّة . الحانية والحنواء : النعجة أو الناقة التي تلوي عنقها لغير علة [3] .

السريانية : (ح) Han : حنّ ، عطف .

Hanhèn : حنحن ، اشفق .

Hannânâ : حنّان ، متعطف .

Hna : حنا ، مال ، نحا ، اتجه الى .

Hnayâ : مقصد ، غرض ، رأي [4] .

العـبرية : Hanan : مال الى ، تحنّن .

(١) المعجم الدثيني ، تأليف de Landberg ١ — ٥٠٠ .

(٢) اللسان ١٦ — ٢٨٤ ي ي . التاج ٩ : ١٨٤ . Lane ٦٥٢ ي . ي .

(٣) الصحاح ٢ — ٤٦٦ . Lane ٦٦٠ ي .

(٤) معجم Brockelmann ص ٢٤٢ ي .

العبرية : Hithannan. : توسل الى .

Hanun : رحيم ، شفيق [١] .

الاكدية : Annu : (الاصل حنو) : عطف ، منح .

Ténînu : (ح) تحنن .

Tênu : منحي ، متكأ ، مضجع .

Manîtu : (محنيتو) : بيت ، مسكن [٢] .

الارمية : Hanan : حن .

السبئية : Han : حنين .

الفنيقية : Hanan , Han : منحة .

El - hanan : (اسم علم) الله يتحنن .

Hananba ʿal : («) حنبعل [٣] .

(٥) في كل هذه اللغات يدل هذا الأصل الثنائي على الميل ، والاتجاه ، والانعطاف ، والالتواء ، والانحناء ، والتقوس ، والاتكاء ، والاضطجاع . ومن الاتكاء جاء المخيم ، والمسكن ، والبيت .

(٦) من الاتجاه والميل مادياً تولد الميل عقلياً ، وهو المقصد والغرض ، والرأي . ومن الميل الحسي نشأ الميل الأدبي ، وهو الانعطاف الى الغير بالتحنن ، والشفقة ، والرحمة ، والمنح .

(٧) على ان العطف ، والميل ، والنزع في الحيوان والانسان ، يرافقه غالباً اصوات للتعبير عن حالات الحزن والفرح . من ذلك جاء الحنين دالاً على الشديد من البكاء والطرب ؛ وعلى نزع الناقة الى ولدها ؛ يرافقه الصوت كثيراً ما ، ويطلق ذلك أيضاً على الحمامة والانسان [٤] . لأن « حَنْ » اسم صوت يخرج بشدة

(١) El Maleh ص ٥٠٦ ي . (٢) Bezold ص ٤٩ و ١٢٤ .
(٣) Robinson ص ٣٣٥ . (٤) الصحاح ٢ – ٣٦٨ . اللسان ١٦–٢٨٥ ي .

العاطفة؛ ويشمل كذلك أصوات الرياح التي تشبه حنين الناقة؛ وكذا القول في العود والسهام حين يصوّتان[١].

(٨) وهذه فكرة الميل، والاتجاه، والصدّ والردّ، المتجلية في الثنائي «حَنْ» بنوعيه: الخالي من الصوت، والمرافق بصوت، قد توسعت بزيادة حرف اللام عليها تنويجاً. فجاء من ذلك حرف «لَحَنَ» متصفاً بهاتين الخاصتين، اي الاتجاه، والانعطاف دون صوت، وبصوت. وهذه الفكرة تظهر جلياً في مختلف معاني هذه الكلمة.

(٩) أول هذه المداليل في «لَحَنَ واللَّحْن» هو «الصواب في الكلام». ومعنى ذلك العدول عن الخطأ الى الصحيح من التعبير في اللغة. مثال ذلك: «تعلموا اللحن في القرآن» اي تعلموا كيف لغة العرب فيه الذين نزل القرآن بلغتهم[٢] ثم قوله «هذا ليس من لحني ولا من لحن قومي، اي من نحوي، ومن مذهبي الذي أميل اليه وأتكلم به، اعني لغته»[٣].

(١٠) ثانياً يراد باللحن «الخطأ في الكلام»؛ وما هذا الخطأ سوى الميل او العدول عن صحيح القول وصوابه. فيقال: «لحن في كلامه، اذا مال به عن الاعراب الى الخطأ، أو صرفه عن موضوعه الى الألغاز[٤]».

(١١) ثالثاً من معاني اللحن «التعريض» وما التعريض، حسب قول الأزهري، سوى الايماء الى الشيء. فجاء في الحديث: «اذا انصرفتما فألحنا الي لحناً، أي اشيرا الي، ولا تفصحا، وعرّضا بما رأيتما[٥]».

(١٢) رابعاً اللحن هو «الفطنة». يقال: لحن له لحناً، اي قال قولاً يفهمه عنه ويخفى على غيره، لأنه يميل بالتورية من الواضح المفهوم؛ وما ذلك الا

(١) الصحاح ٢ — ٣٦٨. اللسان ١٦ — ٢٨٥؟.
(٢) التاج ٩ — ٣٣١. (٣) الأساس ٢ — ١٨٩
(٤) الأساس ٢ — ١٨٩. (٥) التاج ٩ — ٣٣١.

لفطنته . لأن الفطنة ان تتكلم بشيء وانت تريد غيره ؛ وتعرض في حديثك فتزيله عن جهته لفطنتك [١] .

(١٣) خامساً اللحن « مدلول الكلام ومفهومه » . ولذا قيل : « لتعرفنّهم في لحن القول ، اي في معناه ونحواه ، وهو القصد الذي يوجه اليه الكلام [٢] » .

(١٤) سادساً اللّحن « التطريب ، وترجيع الصوت ، وتحسين القراءة ، والشعر ، والغناء » . فيقال : لحَن في قراءته : غرّد وطرّب فيها بألحان . وورد : « إقرؤا القرآن بلحون العرب » . ويقال : فلان ألحن الناس ، اذا كان أحسنهم قراءةً وغناءً [٣] .

وهكذا ثبت ان لكلمة « لحَن » أصلاً واحداً عربياً محضاً ، وانها ليست تعريب اللفظة اليونانية lixanos .

* * *

سَمّ ومشتقاتها

السريانية : Sammèm : سمّ ، سمَّم .

Samsèm : داوى ، طبّب ، صوّر ، نقش .

Smîma : مسموم .

Samma : سمّ ، دواء .

Smama : وسخ السراج ، سموم تخرج من منافذ الانسان [٤] .

Sam : وضع ، فرض ، قصد ، سامَ ، رمم ، ألّف ، حكم دفن ، ألقى .

Sîm : وَضْع .

Syama : مؤلَّف ، مصنَّف .

Sayôma : مؤلِّف ، كاتب ، راسم ، مشترع ، مؤسّس ، موجب .

(١) الصحاح ٢ — ٢٠٦٤ . (٢) اللسان ١٨ — ٢٦٥

(٣) اللسان ١٧ — ٢٦٣ . الصحاح ٢ — ٢٠١٤ . التاج ٩ — ٣٣٠ . ي

(٤) معجم منّا ، ص ٤٩٧ . Payne - Smith ٢٦٥١ .

Sôma : دواء ، مرهم [1] .

Sma : عَمِيَ .

Samya : أعمى .

Asmi : جعله أعمى [2] .

(ص) Samma : صَمَّ ، سدّ .

Masmana : صامّ ، سادّ .

Samma : أصمّ ، أطرش .

Sam : صام ، سدّ فمه عن الأكل ، امتنع [3] .

العبرية : Sammèm : سمّ ، سمّم .

Sammé : عَمي ، اعشى

Histamma : تعمّى .

Sûma : أعمى ، مكتوم [4] .

العربية : سَمَّ الطعامَ : جعل فيه السمّ ؛ و — فلاناً : سقاه السمّ ؛ و — الشيءَ : أصلحه ؛ و — الأمرَ : نظر غوره وسبره ؛ و — بينهما : أصلح ؛ و — الريحُ : احرقت .

السَّامة : شخص الرجل ؛ و — الطلعة ؛ و — ما شخص من الديار الخراب .

السُّم : ثقب الإبرة ؛ و — القاتل من الدواء . السَّموم : الريح ذات الحر الشديد النافذ في المسام . المسامّ من الجسد : ثقبه ومنافذه ، كنابت الشعر [5] .

سما : ارتفع ؛ و — البصرُ : شخص ؛ و — القومُ : خرجوا الى الصيد .

ساماه : فاخره وباراه .

---

(١) معجم Brockellmann ٤٦٠ ي . معجم أودو ٢ — ١٤٠ ي ي .

(٢) معجم أودو ٢ — ١٥٤ . Payne - Smith ٢٦٠٤ ي .

(٣) معجم القرداحي ٢—٣٦٧ . معجم منّا ، ص ٦٣١ . Payne - Smith ٢٣٧٩ ي .

(٤) معجم المالح ، ص ٢٩٠ .

(٥) البستان ١ — ١٢٤٢ ي . Lane ١٤١٨ ي ي .

سام: البضاعةَ: عرضها وذكر ثمنها. (رفع ثمنها فيخفضه المشتري) او وضع؛ و — الطيرُ على الشيء: حامت.

سوّم الفرسَ: أعلمه بسَومة، اي بعلامة تُجعل على الشاة وغيرها. الخيل المسوّمة: المعلَّمة. ساوم السلعة: غالى بها، أي رفع ثمنها [١].

وَسَمَ: وسَمه: كواه، وأثر فيه بسمة وكيّ.

وسّم الحج: شهد الموسِم. توسّم الشيء: تخيّل سِمَتَه، وطلب وسمَه اي علامته. الوِسام: ما وُسم به الحيوان من ضروب الصور. وسام الدابة. السمة والوسمة: أثر الكيّ، العلامة، سمة الابل.

الموسِم: المجتمع. سمي بذلك لأنه مَعلَم يُجتمع اليه. واكثر استعماله لوقت اجتماع الحاجّ وسوقهم في مكة [٢].

صَمّ: سدّ. وصُمّ صمَماً: انسدّت اذنه، وثقل سمعه.

صام: أمسك عن الطعام والشراب؛ و — امتنع عن الفعل [٣].

تنسيق وتعليل

(١) كل هذه المفردات، مع اختلاف معانيها، لها أصل واحد، وهو الثنائي «سمّ او صمّ» بتفخيم السين. ومن مفاهيم هذا الثنائي اولاً الوضع. فاذا وُضع الشيء على الشيء، كانت النسبة بينهما نسبة ارتفاع الواحد على الآخر. واذا كان الشيء الثاني مفتوحاً، نجم عن ذلك السدّ. واذا لم يكن مفتوحاً، فتحه. فنتج عن ذلك فكرة الحفر، فالثقب، فالولوج.

(٢) أولاً تظهر فكرة الوضع في الفعل السرياني Sam: وضع، فرض، رسم

(١) أقرب الموارد ١ — ٥٤٥. Lane ١٤٣٣ ي ي.
(٢) محيط المحيط ٢ — ٢٢٥٠ ي. Lane ٣٠٥٣ ي.
(٣) الأساس ٢ - ١٦ و ١٩، Lane ١٧٢٢ ي، و ١٧٤٩ ي.

ألّف أو وضع كتاباً ، حكم ، قرّر الرأي واثبته ؛ اشترع ، أو وضع سُنّة ؛ أسّس ، او وضع قانوناً أساسياً .

(٣) يتبعُ الوضعَ عموماً الوضعُ خصوصاً ، اي جعلُ الشيء فوق الشيء ؛ مما ينشأ عنه الارتفاع . وذلك بيّن في العربية في فعل «سما» : البصرُ : شخص ، اي ارتفع ؛ وخرج الى الصيد ، اي طلع ؛ وفي الطلوع ارتقاء . ساماه : فاخره ، . اي حاول التفوق والارتفاع عليه . والسَّامة : شخص الرجل ، اي ما علا منه وطلعته ؛ وما شخص ، اي ما علا من الديار الخراب . وسام البضاعةَ : عرضها للبيع مع رفع ثمنها قدر ما يمكن البائع . والمساومة هي ان يعرض البائع سلعته ذاكراً لها ثمناً غالياً ، فيأخذ المشتري في اخفاضه ، وهكذا الى ان يصلا الى ثمن متوسط بين العالي والمنخفض . كذلك وسّم السِمة ، أو العلامة على الحيوان أو الشيء ، لتمييزه عن غيره . وكل علامة تحوي فكرة الاعتلاء على ما تعلّمه أو تسمه .

(٤) اذا وُضع الشيء على شيء مفتوح سدّه . من ذلك فعل «صمّ» : سدّ . وانسدّت اذنه وثقل سمعه . و «صام» : أمسك عن الطعام ، أي صمّ فمه ممتنعاً عن ادخال الأكل فيه . كذلك ورد في السريانية Samm : صمّ سدّ ؛ و Samma : أصمّ ، أطرش ؛ و Sam : صام ، امتنع ، سدّ فمه عن الأكل . وجاء أيضاً Sma : عمي ، و asmi عمّى ، و Samiya أعمى . وفي العبرية Sammé : عمّي ، أعشى ، و Histamma : تعمّى ، و Suma أعمى . وما العمى الا سدّ العين وكفها عن النظر .

(٥) اذا وضع الشيء على غيره ، وكان هذا غيرَ مفتوح ، امكنه فتحه . والفتح يجري بالحفر ، والثقب ، والكيّ ، وبالفتح يسهل الدخول والايلاج . من ذلك ورد في العربية : السمّ : ثقب الابرة ؛ والمسامّ من الجسد : ثقبه ومنافذه ، كنابت الشعر . وسمّ الأمر ، نظر غوره وسبره ، اي ثقبه ليرى داخله . ومن ذلك Samèmm في السريانية ، بمعنى نقش وصوّر ، مما يستلزم الحفر .

(٦) أما الكيّ فهو نوع من الحفر والثقب، اذ يؤثر في الجلد واللحم فينشئ حفراً فيه. من ذلك في العربية : «وسمه» (بزيادة الواو على «سَمّ» تنويجاً) : معناه كواه، اي أثَّر فيه بسمة وكيّ. والسِمة أثر الكيّ؛ ومنه سمة الابل. والوِسام : ما وُسم به الحيوان من ضروب الصور. ولذا يقال: وِسام الدابة.

(٧) أما المَوسِم فحدّه في المعاجم : «المُجتمَع، سمي بذلك لأنه معلَم يُجتمع اليه. واكثر استعماله لوقت اجتماع الحاجّ وسوقهم في مكة[١]» . بيد ان هذا المعنى متأخر وليس هو أصلياً أوّلياً. رأينا ان وسَمَ يراد به الكيّ. فكان القوم قديماً — كما لا يزال الأمر جارياً بين أهل البادية — يميّزون، كلّ صاحب مال، ماشيته، او إبله، او دوابّه، بسمة او علامة. وهذه العلامة كانت تجري بالكي، بانواع من الصور. وكان عمل هذا الكي او الوسم يتم في بعض فصول السنة. ولذا دعي هذا الوقت «المَوسِم»، اي وقت كيّ المال، قصد تمييزه عن غيره. وبعد ذلك، من هذا المعنى الخاصّ الدال عليه الثنائي «سَم» وهو الكيّ، انتقل الى المعنى العام، وهو الدلالة على كل وقت يجري فيه أمر معيَّن من الامور. فيقال موسم البذر، او القطف، أو الحصاد.

وقد اطلقه البحّارة العرب على الفصل من فصول السنة الذي يبقى فيه بحر الهند مضطرباً. وقد أخذ البحّارة الفرنج عن العرب هذه اللفظة، فحوّلوها الى صورة Mousson[٢] . وأخيراً استعملت هذه المفردة في العرف الديني الاسلامي للدلالة على زمن اجتماع الحاج. وفي العرف المسيحي شملت العيدين الكبيرين، أي عيد الميلاد، وعيد الفصح.

---

(١) الصحاح ٢ — ٣٤٣ .

(٢) Larousse du XXe siècle , T . 4 p. 1021
Les mots Français dérivés de l'arabe , par Lammens , p 172 .

(٨) من فكرة الولوج جاء في السريانية Samma بمعنى الدواء ، لأنه يوضع ، أو يُدخل ، أو ينفث في بدن الانسان ، لاجل العلاج . و Samsèm داوى ، طبّب ، وجاء في العربية : سمّ الشيء : أصلحه ، وسمّ بينهما : أصلح .

(٩) واذ كان ما يُدخَل أو يُنفَث في بدن الانسان ليس مما ينفعه دائماً ، بل مما يضره ، وردت كلمة «سمّ» في العربية بدلالة : سقاه السمّ ، اي الدواء القاتل . و — الطعام : جعل فيه السمّ . وفي العبرية Sammèm : سمّ ، سمّم وفي السريانية Sammèm : سمّ ، سمّم .

(١٠) واذ كان مما يُكرَه ويُنبَذ ، نجد في السريانية Smama بمعنى الوسخ ، وسخ السراج ؛ وكذلك كل أوساخ البدن التي تخرج من منافذ الانسان .

(١١) واذ كان السمّ مما يضرّ ، اطلقت في العربية لفظة « السَّموم » على الريح ذات الحرّ الشديد المحرق النافذ في المسامّ . وقيل : سَمَّت الريح : أحرقت .

(يتبع)

الاب مرمرجي الدومنكي

المدرسون تحت قبة النسر

- ٢ -

ثم وجه تدريس القبة للإمام الكبير الشهاب احمد المنيني [1] .
واستمر الى ان توفي سنة ١١٧٢ وكانت مدة تدريسه سنة واحدة .

(١) احمد بن علي بن عمر ، بن صالح بن احمد بن سليمان ، بن ادريس بن اسماعيل بن يوسف ، بن ابراهيم الحنفي الطرابلسي الأصل ، المنيني المولد ، الدمشقي المنشأ . كان ألمعياً ، لغوياً نحويا ، اديباً حاذقاً ، لطيف الطبع ، حسن الخلال ، عشوراً ، متضلعاً ، منطلعاً ، متمكناً خصوصاً في الأدب وفنونه ، وحسن النظم والنثر ، ولد بقرية منين سنة ١٠٨٩ ولما بلغ سن التمييز قرأ القرآن . ثم قدم الى دمشق فقرأ على سادات أجلاء ذكرهم في ثبته .

ودرّس بالجامع الأموي بأمر من شيخه الشيخ أبي المواهب مفتي الحنابلة ، لما توفي ولده الشيخ عبد الجليل ، فاستقام الى أن توفي الشيخ ابو المواهب . فبعد وفاته درّس بحجرته داخل المدرسة السميساطية ، الى أن توجه عليه تدريس العادلية الكبرى ، فانتقل اليها ودرّس بهـا ، وأقام على الافادة في المدرسة المذكورة والجامع الأموي ، مدة عمره ، فدرس بالجامع المذكور في يوم الأربعاء في البيضاوي ، وفي يوم الجمعة بعد صلاتها صحيح البخاري ، وبين العشاءين في بعض العلوم ؛ وانتفع منه خلق كثير . وللمترجم :

على السر لا تطلع صديقاً ودعه في ضميرك عن كل الأنام مصونا
فانّ ضمير الفرد مستتر وإنْ تثنّى تبدّى للعيان مبينا

وكانت وفاته في يوم السبت تاسع عشر جمادى الثانية سنة اثنتين وسبعين ومائة والف ، ودفن بتربة مرج الدحداح قال المؤرخ المرادي : والمنيني : نسبة —

ثم وجه التدريس للعلامة علي افندي الداغستاني (١)

فدرّس الى أن أصابه داء الفالج في صفر سنة ٩٦ فأناب الجهبذ النحرير الشمس محمد الكزبري ، فدرس بالنيابة عنه اربع سنوات الى ان توفي الداغستاني سنة ١١٩٩ ودفن بسفح قاسيون .

ثم وجه التدريس الى السيد محمد العطار (٢)

— الى قرية منين من قرى دمشق ، ولد بها هو ونشأ ، واصله من برفائيل قرية من أعمال طرابلس الشام . كان والده ولد في برفائيل المذكورة في سنة ١٠٢٨ ثم ارتحل وسنه احدى عشرة سنة الى دمشق الشام ، وتوطن بصالحيتها ، واشتغل بطلب العلم على جماعة منهم العلامة الشيخ محمد البلباني الصالحي ، والشيخ علي القبردي الصالحي ، وتفقه على مذهب الامام الشافعي ، ثم ارتحل الى قرية (منين) المذكورة في سنة ١٠٤٦ وكان مرجعاً لأهل تلك القرية وغيرها بالفرائض ، وتوفي بالقرية المزبورة سنة ١١٠٨ ودفن بها .

(١) ابن صادق بن محمد بن ابراهيم بن محب الله حسين بن محمد الحنفي ، الداغستاني الأصل والمولد ، نزيل دمشق ، ومدرس الحديث بها ، تحت قبة النسر ، ولد في حدود سنة ١١٢٥ وقرأ على جملة من علماء بلادهم ، ثم قدم دمشق وتوطنها وذلك سنة ١١٥٠ ولما توفي الشهاب احمد المنيني المدرس تحت القبة ، توجه له عنه التدريس المذكور ، وبقي عليه الى وفاته ، وتصدر في دمشق ، وكان يرجع اليه في مهمات الأمور ، ونزل به الفالج في آخر أمره ، في صفر سنة ٩٦ وبقي في داره منقطعاً الى ان توفي سنة ١١٩٩ رحمه الله تعالى .

(٢) جدّ بني الحسيبي ، قد أجمع الناس على طيب أصله . ولد سنة الف ومائة ونيف وثلاثين ، واشتغل في العلم والعبادة ، الى أن برع وفاق ، واشتهر في الآفاق ، تولى القضاء بمدينة غزة هاشم ، وكان في أحكامه تقياً بعيداً عن المحارم ، وكان السيد محمد التافلاني مفتي القدس الشريف ، فوقع بينهما في مسألة من المسائل اغبرار ، فكتب السيد محمد التافلاني رسالة في تعنيفه وارسلها اليه ، فعقب وصولها شرحها وردّها من غير مهلة عليه . مات المترجم في الآستانة سنة تسع ومائتين والف .

ولم يدرس بل أناب الشمس الكزبري ، فبقي مدرساً الى ان توفي السيد محمد العطار سنة ١٣٠٩

ثم تولاه العلامة المحدث الشمس محمد الكزبري [١]

من غير تعرض له ، واستمر الى أن توفي سنة ١٢٢١ وكانت مدة تدريسه احدى عشرة سنة .

ثم تولاه بعده ولده العالم العامل القدوة الشيخ عبد الرحمن الكزبري [٢] .

(١) قال السيد محمد عابدين : مدرس الحديث الشريف تحت قبة النسر ، في جامع بني أمية في دمشق المحمية ولد في سنة ١١٤٠ ونشأ في حجر والده ، وتفقه عليه وعلى خال والده الشهير ، بالشافعي الصغير ، الشيخ علي بن أحمد الكزبري ، وأخذ الحديث عنهما ، وكان والده قد أذن له بافادة الطالبين في حياته ، وجلس مكانه بين العشاءين في الأموي سنة ١١٨٥ بعد وفاته ، وفي سنة عشر ، جاءته قبة النسر تسعى من غير طلب ، فشرع بقراءة الجامع الصحيح ، وهو في الثلاثة أشهر رجب وشعبان ورمضان من كل عام ، وقد أشرت الى ذلك في ضمن موشحة كنت تطفلت بها على مدح جنابه حيث قلت :

مَن به قبة ذاك الجامع لم تزل في كل عام تسعَدُ
حين يروي في الصحيح الجامع لحديث المصطفى أو يُسندُ
يا له من خير درس جامع ولأهل العلم فيه مشهدُ
فكأن الوجه منه حينما ينثر الدر على الملتمس
قمرٌ عن جانبيه العلا كنجوم أشرقت في الغلس

توفي رضي الله تعالى عنه سنة ١٢٢١ هـ .

(٢) الشافعي الدمشقي ، محدث الديار الشامية ، ولد يوم عيد الفطر سنة ١١٨٤ في دمشق الشام ، ونشأ وتربى في حجر والده الشمس الى ان اتقن وتفنن وفاق ، وطار صيته في الأمصار والآفاق ، وعدّ له الأستاذ الجد في (حلية البشر) —

فدرس الى ان توفي في البلد الحرام ختام اثنتين وستين ومائتين والف ، وكانت مدة تدريسه اثنتين واربعين سنة .

ثم تولاه بعده ولده العالم الفاضل الشيخ عبد الله الكزبري [1] .

فدرس الى ان توفي سنة ١٢٦٥ وكانت مدة تدريسه سنتين .

ثم تولاه بعده اخوه العالم الجليل الشيخ احمد مسلم [2] .

— أساتذة كثيرين من عرب وعجم ، (ثم قال) : وقد اخذ عنه علماء الشام ، وغيرهم من العرب والأعجام . وبعد موت والده وجه عليه تدريس البخاري الشريف تحت قبة النسر ، في شهر رجب وشعبان ورمضان بعد العصر كل يوم ، وعامة العلماء تحضره للأخذ عنه . وفي سنة ١٢٦٢ توجه المترجم الى الحجاز بقصد النسك ، وبعد العود من الوقوف رابع يوم من عيد الأضحى توفي الى رحمة الله ، وصلي عليه في الحرم الشريف ، ودفن في مقبرة المعلا .

(١) ولد سنة ١٢٢١ ، ونشأ من أول عمره على الطاعة والدين ، ناهجاً منهج والده ، إلى أن صار معدوداً من افراد العلماء الأعلام . وبعد وفاة والده جلس في مكانه تحت قبة النسر ، يقرأ صحيح الامام البخاري في شهر رجب وشعبان ورمضان كل يوم بعد العصر ، ولم يزل مثابراً على ذلك الى أن سقته المنية كأس الحمام ، وذلك سنة ١٢٦٥ هـ رحمه الله .

(٢) قال في الحلية : ولد سنة ١٢٣٦ وحضر دروس والده وغيره من العلماء الأفاضل ، وقرأ على والدي الشيخ حسن البيطار ، واستجازه فأجازه ، ثم قال : قد أحبه الولاة والحكام ، وكان جاهه لعلمه ساتراً ، ولتقدمه على أضداده ناصراً ، لأن دائرة اشتهاره كانت أوسع من دائرة علمه . وبعد موت أخيه الشيخ عبد الله سنة ١٢٦٥ جلس مكان أخيه تحت قبة النسر ، لقراءة صحيح البخاري كل يوم بعد العصر في شهر رجب وشعبان ورمضان ، الى أن توفي سنة ١٢٩٩ وصلي عليه في الجامع الأموي اكثر أهل الشام رحمه الله تعالى .

فجلس مكان أخيه تحت قبة النسر في جامع بني امية ، وابتدأ من محل ما وصل اليه أخوه من الصحيح الشريف ، وفي سنة ١٢٧٨ وجهت عليه نقابة أشراف الشام ، وفي سنة ٨٥ فصلت عنه ، ووجهت الى احمد افندي ابن المرحوم امين افندي منجك ، الى ان جذبت المترجم يد المنية سنة ١٢٩٩ رحمه الله تعالى .

سليم بن احمد بن عبد الرحمن بن محمد الكزبري [1] .

مات والده سنة تسع وتسعين ومائتين والف ، فأراد بعض الناس ان يكون ولده المترجم مكانه ، في تدريس صحيح الامام البخاري بعد العصر ، في رجب وشعبان ورمضان تحت قبة النسر ، في جامع بني أمية .

وختم في الحلية ترجمته بقوله : توفي هذا المترجم رحمه الله تعالى سنة ١٣٣١ هـ وجلس في مكانه ولده الشيخ محمد علي [2] فتح الله علينا وعليه .

الشيخ بدر الدين ابن الشيخ يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن عبد الله ابن عبد الملك بن عبد الغني المراكشي السبتي المغربي أصلاً ، الدمشقي مولداً .

لم يذكر (في الحلية) كيف حصل المترجم العلم ، ولا شيوخه فيه ، وانما وصف حاله وأعماله بعد أن تصدر للتدريس ، فقال : اذا أخذ في القاء الأخبار وجدته بحراً عجاجاً ، وان تكلم في أنواع العلوم أبدع تقريراً وإنتاجا ، كأنما الاحكام في صدره مرقومة ، وعوارف المعارف في خياله مصوّرة وفي لسانه منظومة ؛ وله حافظة تحصي له كل ما يسمع ، وإدراك هو أخف من النسيم وأسرع ؛ يقرأ في كل يوم جمعة بعد الصلاة صحيح البخاري في جامع بني امية ، ويزدحم الناس

(١) لم ينظمه (حلية البشر) في سلسلة المحدثين المدرسين تحت قبة النسر ، وانما عرض الى درسه في ترجمة مستقلة عن أولئك الأعلام .

(٢) اقول : ولم تطل مدة ولده هذا بعد أبيه ، وانما توفي في أثناء الحرب العامة الأولى ، فباشر هذا الدرس محدث الديار الشامية شيخنا الشيخ بدر الدين الحسني ، فأعاد اليه رونقه ورُواءه .

على درسه، غير أنه يسرد ما علّقه في ذهنه ولا سؤال من أحد ولا جواب، وله حجرة في مدرسة دار الحديث قريبة من مقام ابن أبي عصرون، لا تكاد تجدها في وقت خالية من درس في فن من الفنون، وهو لا ينفك في يومه عن صيامه، ولا في ليله عن قيامه، كثير الذكر قليل الكلام، دائم الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام.

يقول الضعيف محمد بهجة البيطار :

هذا مجمل ما وصفه به الأستاذ الجد في تاريخه «حلية البشر» وإني أحب أن أتوسع قليلاً في ترجمة شيخنا الحسني لسببين (١) أني أصفه وصف معرفة ومشاهدة، فقد قرأت عليه في كتب الأصول والمعقول والحديث، جزاه الله عنا خيراً و (٢) لأنه خاتمة المحدثين تحت قبة النسر، إذ لم يخلفه احد في حفظه وعلمه فيجلس محله ويحقق شرط الواقف :

(حفظه ودرسه)

كان علم الفقيد كعلم من سبقه من أولئك الأئمة - علم حفظ ورواية، لا علم كتب وقراءة، وفرق بين علم يضيع بضياع الكتب ويذهب بذهابها، وعلم يبقى محفوظاً مدى العمر في الصدر، يحدث صاحبه به ويملي على الناس منه في أي آن ومكان، ولا يبالي بالكتب حضرت أو نأت عنه.

لما احترقت خزانة دار الحديث -- وكان فيها مخطوطات الفقيد النفيسة، ومؤلفاته التي كان كتبها في صباه، كما احترق غيرها من مكتبات دمشق في الحريق الذي وقع في سوق الحميدية سنة ١٣٣٠ هـ - أخذ يقرأ الدروس الخاصة والعامة من حفظه، ويمليها على الطلاب من مكنونات صدره، والعلم ما وعته العقول والصدور، لا ما أودعته القراطيس والسطور. وكان أستاذه الأوحد العلامة الجليل الشيخ أبو الخير الخطيب، والد صديقنا زكي بك النائب الكريم، ثم كان ابن همته وعزلته عن الناس السنين الطوال :

(علم الحديث تحت قبة النسر)

أما الحديث فلا نعلم له نظيراً في حفظه ، ولا في ضبط رجاله ، ومعرفة سنده ، وحسبه روايته له في الجامع الأموي تحت قبة النسر ، ـ من بعد فريضة كل جمعة الى صلاة العصر ، وقد دأب على ذلك نحو ثلاثة أرباع القرن . ومما يقضي بالعجب من تلك الدروس أنها كانت محط رحال الحكم والعلم ، وأن محدثنا العظيم كان يراعي فيها حال المستمعين ، ويتكلم بما تدعو اليه الحاجة والمناسبة ، فاذا وقف على درسه رجال الحكم أخذ يعظهم ويذكرهم بما يجب للأمة على ولاة الأمور ، فلا يصدرون عنه إلا وقد ملئوا اعجاباً بلطف تنقلاته ، وبديع مناسباته ، وأخذه إياهم بالحق والصدق ، واذا حضر علماء الدين ملكتهم الحيرة والدهشة مما وعاه قلبه ، ورواه لسانه من تلك الأحاديث النبوية موصولة الأسانيد ، صحيحة الضبط ، تامة الحفظ ، يتلوها من غير توقف ولا تلعثم ، كأنما يغترف من عباب ، أو يقرأ في كتاب ، مع ذكر ما قاله أئمة هذا الشأن فيها ، واستحضاره ما أورده العلماء من معانيها .

(في دار الحديث الأشرفية)

ولم يكن يقرأ للطلاب في دار الحديث من كتب العلوم الشرعية والعربية والعقلية إلا مطولاتها وصعابها ، ولا من كتب المقالات والنحل والأهواء والبدع إلا القديمة الموروثة . وكان يرى أن هذه الكتب ترفع الهمم الى ما فوقها من كتب السلف ، وتقوي الملكات في فهمها ، وتعين على دفع الشبهات والاشكالات العصرية كلها .

وقد تشرفت بالحضور عليه رحمه الله تعالى في الكتاب المسمى بالتقرير والتحبير شرح العلامة ابن امير الحاج على تحرير شيخه الامام الكمال بن الهمام ، الذي جمع فيه بين اصطلاحي الحنفية والشافعية في اصول الفقه ، فكاد يأتي شيخنا البدر

على مسائل الكتاب حفظاً ، وكان يحققها معنى ولفظاً ، ولكنه كان يتحامى النطق بألفاظ الطلاق والحرام وما أشبهها ، وجميع ما يشتم منه رائحة التعريض بأحد ، وهذا دأبه رحمه الله في حياته كلها .

(ادخاله طلاب السنة في طور جديد)

كنا نجلس في حلقة فقيدنا الامام في دار الحديث ، ونقرأ صباح كل ثلاثاء وجمعة « منتخب كنز العمال » ـ من كتب الحديث الجامعة ـ رواية ودراية . فلما وقفنا على باب الاعتصام بالكتاب والسنة ، قلت لأستاذنا أنعد نحن الآن من المعتصمين بهما ؟ قال : نعم ، اذا قصدتم العمل . وقد أوجد رحمه الله ميلاً قوياً في نفوس طلابه لاقتناء كتب السنة ودراستها والعمل بها ، والاهتداء بهديها .

(قوله في دراسة اللغات الأجنبية)

سئل رحمه الله وأنا اسمع عن حكم التكلم باللغات الأجنبية ، فقال : المكروه من ذلك ما كان للتفكه ، وقد كان الفقيد يحب الجد والعمل ، ويكره اللغو والباطل ، والا فان لغات الأمم الحية صارت اليوم مفتاحاً للعلوم الكونية ، وقوة للدفاع عن حقوق الأمم والشعوب المختلفة ، وفي صحيح البخاري من حديث زيد بن ثابت الأنصاري (رض) قال ، قال رسول الله (ﷺ) انها تأتيني كتب لا أحب ان يقرأها كل أحد ، فهل تستطيع أن تعلم كتاب العبرانية أو السريانية ؟ فقلت نعم ، فتعلمتها في (١٧) ليلة . وكان زيد بن ثابت يكتب للملوك ، ويجيب بحضرة النبي (ﷺ) وكان ترجمانه بالفارسية والرومية والحبشية والقبطية ، تعلم ذلك بالمدينة من أهل تلك الألسنة ، فهذا نص في تعلم اللغات التي ورثنا حضارة أهلها ، وأورثناها اسم المدنية الحديثة .

(مسألة مهمة)

وههنا مسألة مهمة ، وهو أن الذي كان يتعلم اللغات الأجنبية كان ينتقى من أفضل رجال الأمة وآمن أمنائها ، وزيد بن ثابت هذا كان كاتب الوحي ،

وقد قال له الرسول : إنها تأتيني كتب لا أحب ان يقرأها كل أحد ، ومعنى ذلك أنه (ﷺ) اختار زيداً كاتماً لسره ، كما اختاره كاتباً لوحيه . ولما استدعاه ابو بكر (رض) لجمع القرآن في عهده ، قال له : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (ﷺ) . وكان على بيت المال في خلافة عثمان (رض) .

فاتضح من هذا كله أن من يعلم للأمة وعلى حسابها اللغات أو بعض الصناعات ، يجب ان يكون من الشبان العقلاء الذي لا نتهمهم بدينهم ولا أمانتهم ، ويجب على الأمة ان تراقبهم وتحاسبهم على وقتهم وعملهم . ومن الظلم للأمة والتفريط بمصالحها أن يعلم على نفقتها من يكون عابثاً لاهياً ، او مقصراً وانياً ، او ملحداً جانياً .

من جلس الى جانب رخامة معينة في الجامع الأموي

يشبه حديث الجلوس الى جانب الرخامة التي ورد ذكرها في طبقات الشافعية للسبكي ، حديث «الجلوس تحت قبة النسر» فقد جاء ذكرها في الطبقات ، ونحن ننقله لشبهه بموضوعنا في تسلسله بمن درسوا عند تلك الرخامة [1] ، ثم كانوا من أعلام الاسلام ، وناهيك بسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام وهو منهم ، وإني مورد اسماءهم نقلاً عن طبقات السبكي نثراً ونظماً ، مع ذكر تاريخ وفياتهم ، وأما تراجمهم فيجدها المطالع في الجزأين الخامس والسادس من الطبقات ومثلها من الشذرات ، واليك ما قاله التاج بن التقي السبكي في طبقاته (ج ٦ ص ١٦٦) :

وقد جلست للشغل في العلم عقب وفاة الشيخ الامام فخر الدين المصري إلى جانب الرخامة التي يقال إن اول من جلس إلى جانبها شيخ الاسلام فخر الدين محمد بن عساكر (٦٢٠) ثم تلميذه شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام (٦٦٠) ثم تلميذه الشيخ تاج الدين بن الفركاح (٦٩٠) . ثم تلميذه وولده الشيخ

(١) جاء في نهاية الأرب للنويري ١/١٠٥ (الرخامة آلة تعرف بها الساعات) . (المجمع)

برهان الدين (٧٢٩) ثم تلميذه الشيخ فخر الدين المصري (٧٥١) ثم أنا (٧٧١) وكتبتها من خط الوالد (٧٥٦) رحمه الله تعالى ·

الجامع الأموي فيه رخامة ... بأوي لها من للفضائل يطلب
الشيخ فخر الدين نجل عساكر ... والشيخ عز الدين عنه تنسب
والشيخ تاج الدين نجل فزارة ... عنه تلقاها لعبد (كذا) وتأدب
ثم ابنه أكرم به من سيد ... ورع له كل المناقب تخطب
وتلاه فخر الدين واحد مصره ... بذكائه كالنار حين تلهب
وابني بليهم زاده رب السما ... علماً وفهماً ليس فيه ينصب

أقول : اما الرخامة المذكورة فلعلها كانت في الحائط الشمالي من الجامع الأموي، فقد جاء في ترجمة مجد الدين بن عبد المجيد بن ابي الفرج اللغوي نزيل دمشق أنه « كانت له حلقة اشتغال بالحائط الشمالي » اه من شذرات الذهب (ص ٣٢٤ ج ٥) وقد كانت وفاة هذا المترجم سنة ٦٦٧ هـ فهو معاصر للشيخ عز الدين ابن عبد السلام المتوفى قبله بسبع سنوات ·

تنازل بعض مدرسي قبة النسر

بالاستقالة او التوكيل لمن هم أعلم منهم

بلغ حب الانصاف والإخلاص ، وإسناد الأمور الى اهلها ، في بعض المدرسين تحت قبة النسر ، الى الاستقالة من وظائفهم ، او التوكيل فيها إلى مَن هم أكفأ وأمثل ، وقد عدّ شيخنا القاسمي (١٣٣٢) في كتابه « إصلاح المساجد من البدع والعوائد » رجالاً من هؤلاء حتى في باب القضاء ، ونحن نأثر عنه ما يتعلق بغرضنا ، قال رحمه الله : ومن ذلك تنازل السيد محمد العطار — احد اجداد بني الحسيبي — عن تدريس صحيح البخاري تحت قبة النسر ـ لما سعي في توجيهه عليه ـ

الى الشيخ يوسف الشهير بابن شمس[١] وقراءة المذكور عنه بالوكالة الى وفاته .
ومن ذلك نزول الوجيه احمد افندي المنيني عن تدريس الحديث تحت قبة النسر بعد صلاة الجمعة الى الشيخ سعيد الحلبي[٢] وقراءة المذكور عنه الى وفاته ، ثم قراءة ابنه الشيخ عبد الله الحلبي[٣] بالوكالة عن ابن صاحب الوظيفة الى أن نفي في حادثة الشام المعروفة (سنة ١٢٧٦) .

ثم ختم أستاذنا هذا المبحث النفيس بقوله : هذا ما نحفظه ونأثره عن أشياخنا وكله مما يشف عن عقل وفضل بل وإراحة نفس من عناء ما قد لا يتفرغ له ،

(١) الدمشقي المولد : (١١٥٨) الإمام المحدث ، العلامة المحقق ، عدّ له في الحلية أكثر من ثلاثين أستاذاً من فحول الشام ثم قال : مات رحمه الله تاسع شوال سنة ١٢١٥ ودفن في مقبرة الشيخ أرسلان .

(٢) شيخ المحدثين ، من شيد ربوع العلم ، ولد بحلب سنة ١١٨٨ ونشأ بها وقرأ على جملة من أفاضل علمائها ثم في سنة ١٢٠٧ قدم دمشق الشام واستوطن في حجرته بجانب مدرسة الكلاسة في جامع بني أمية ، وتصدر للإفادة والتعليم . ومن بعد أن ذكر الأستاذ الجد بعض شيوخ المترجم بدمشق قال : وقرأ صحيح الامام البخاري تحت قبة النسر في الأشهر الثلاثة نيابة عن العلامة الشهاب المنيني . مات (رض) في اليوم الثامن من شهر رمضان سنة ١٢٥٩ .

(٣) الشيخ عبد الله بن سعيد بن احمد المشهور بالحلبي ، صدر الشام وعالمها ، لقد انفرد بعلو الهمة ، واقتصر عليه الخاص والعام في الأمور المهمة ، وكانت الحكام تفضله وتهابه وتعظمه ، وتعتمد في المهات عليه ، وتستند في حل المشكلات اليه ، وقد تصدر بعد موت والده للإقراء والتدريس ، وكان يقرأ صحيح الامام البخاري تحت قبة النسر في جامع بني أمية في كل يوم جمعة من شهر رجب وشعبان ورمضان ، توفي في قرية برزة من قرى دمشق سنة ١٢٨٦ ، وفي صبيحة تلك الليلة أحضر الى الشام ، وصلي عليه في جامع بني أمية ، ودفن عند قبر أبيه في مرج الدحداح بمشهد عظيم . رحمه الله تعالى .

أو يكون الساخط عليه فيه أكثر من الراضي ، أين هذا من التكالب والتهاوت على نقل ما كان لسلفهم اليهم ، والسعي وراءه ، وإن كانوا ليسوا له بأهل ، وكم من منصب يعم لصغير وجاهل لنقده فيه من الأصفر الرنان ما أبكم من أولئك كل لسان . ألا إن التاريخ بالمرصاد فهو لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فرحم الله من عرف قدره ، ولم يتعد طوره اه .

وإني أختم هذه النبذ التاريخية بكلمة جامعة لأوصاف من يصلح للتدريس تحت قبة النسر ، أو يحاول الارشاد والاصلاح في هذا العصر :

يستسهل من لا خبرة له ولا دربة أمر الإصلاح العام ، مع أنه مطلب عظيم ، لا يصلح له إلا كل من اتسعت معارفه ، وكثرت تجاربه ، فان إصلاح ما طرأ من الخلل والفساد على الناس في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم وآدابهم من أشق الأمور ، لا سيما إذا تمكنت الأهواء من النفوس ، وطال عليها الزمن .

الواعظ الحكيم هو الذي يخاطب الناس بلسانهم ، ويتحرى من أساليب القول ما يرى أنه أدنى الى اقناعهم ، وقد كان رسول الله ﷺ ينزل الناس منازلهم ، ويخاطبهم على قدر عقولهم ، ويقول « كلموا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ » فالمذكر او الواعظ او المرشد هو كما وصفه بعض الأجلاء ملخصاً : حافظ لحدود الله ، قائم على إرشاد العقول ، وتهذيب النفوس ، وتصحيح المعتقدات ، وإبانة سر العبادات ، وإماطة ما غشي الأفهام القاصرة من غياهب الجهالة ، وتراث الضلالة ، واقف على مقاصد التشريع وحكمته ، عالم مواضع الخلاف والوفاق ، سائس لسامعيه بما يلائمهم من الأحكام ، بل هو العامل الأكبر في اخراج الناس من ظلمات الجهالة الى نور العلم ، وتحريرهم من رق الخرافات والوهم ، فالعالم كالسراج إن لم ينتفع بضوئه فلا فائدة في وجوده ، بل لا يكون العالم عالماً حتى يظهر أثر علمه في قومه ، إذ ليس مسؤولاً عن نفسه وحدها ، بل عن عشيرته وأمته » .

محمد بهجة البيطار

جزء من رواية أبي عمر الزاهد غلام ثعلب

التعريف بالمؤلف وكتابه

أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد المطرّز الورّاق المعروف بغلام ثعلب ، المتوفى سنة ٣٤٥هـ/٩٥٧ ، أحد مشاهير اللغويين الكوفيين وثقة من الثقات في الحديث ، كما ورد في تاريخ بغداد (ج ٢ ص ٣٥٧) : « فأما الحديث فرأينا جميع شيوخنا يوثقونه فيه ويصدقونه حدثنا < أبو > علي بن أبي علي < التنوخي > عن أبيه قال : ومن الرواة الذين لم نر قط أحفظ منهم ابو عمر محمد بن عبد الواحد المعروف بغلام ثعلب أملى من حفظه ثلاثين الف ورقة < في > اللغة فيما بلغني وجميع كتبه التي في أيدي الناس إنما أملاها بغير تصنيف » . هكذا كتب ابن الخطيب في تاريخه ، وقد أصلحت متن الطبعة المصرية بعد مقابلته بكتاب ارشاد الأريب لياقوت (اخراج مرغليوث ج ٧ ص ٢٦) .

وقد ألّف الأستاذ الهندي العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي مقالة طويلة نُشرت في مجلة المجمع (ج ٩ ص ٤٤٩ — ٤٦٠) جاء فيها بفهرس مصنفات غلام ثعلب ، وهو بحث نفيس فريد في بابه ، مع ان الأستاذ الراجكوتي لم يذكر فيها رسالة صغيرة نحن بصددها في هذا الموضع ؛ وكان ذلك من الطبيعي ، لأن وجود هذه الرسالة مجهول وقتئذ .

وبينما كنت أتصفح المخطوطات الجيّدة المحفوظة في خزانة صديقي المستر تشستر بيتي بلندن ، عثرت على مجلد له أهمية فائقة ، يحتوي على عدة رسائل نادرة في الحديث والأخبار ، منها الجزء العاشر من كتاب الرقائق والحكايات لأبي الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة الطرابلسي من علماء القرن الرابع ، والجزء الأول من الفوائد المنتقاة الغرائب الحسان لأبي الحسن علي بن عمر بن محمد

ابن الحسن الحربي ، والجزء الثاني من أمالي الوزير ابي القاسم عيسى بن علي بن عيسى ابن داؤد بن الجراح ، وجزء من حديث ابي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى السلمي الصوفي المتوفى سنة ١٠٣١/٤١٣ ، والجزء الخامس من أمالي القاضي ابي عبد الله الحسين بن اسماعيل بن محمد الضبي المحاملي المتوفى سنة ٩٤١/٣٣٠ ، وصفة المنافق لأبي بكر جعفر بن محمد بن الحسين بن المستفاض الفريابي ، ومشيخة الشيخ المشهور شهاب الدين ابي حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي المتوفى سنة ١٢٣٤/٦٣٢ ، ورسالة في التسوية بين حدثنا وبين أخبرنا لأبي جعفر احمد ابن محمد بن سلامة الطحاوي المتوفى سنة ٩٣٣/٣٢١ . وبين ص ٥٩ و ص ١٠٩ من هذا المجلد نجد جزء غلام ثعلب في الحديث والأدب ، وهذه هي النسخة الوحيدة ، مع ان الرسالة مذكورة في كشف الظنون (ج ١ ص ٣٠١ من الطبعة المصرية) كما يلي : « جزء أبي عمر محمد بن عبد الواحد اللغوي » .

ومما يزيد هذه المجموعة نفاسةً أنها كلها بخط المؤرخ المشهور محمد بن شاكر الشافعي الكتبي ، صاحب فوات الوفيات وعيون التواريخ ، المتوفى سنة ١٣٦٣/٧٦٤ ، وقد أنجز النسخة في شهور سنة ١٣٣٨/٧٣٨ بقراءته عن عماد الدين ابي الفضل محمد بن تاج الدين احمد بن محمد بن محمد بن هبة الله بن الشيرازى المتوفى سنة ١٣٤٨/٧٤٩ (راجع الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٦٥) بسماعه عن شهاب الدين ابي المعالي احمد بن رفيع الدين ابي محمد اسحاق بن محمد بن المؤيد بن علي بن اسماعيل الهمذاني الأبرقوهي المتوفى بسنة ١٣٠٢/٧٠١ (راجع الدرر الكامنة ج ١ ص ١٠٣) . وقد سمع هذه الرسالة وسائر رسائل المجموعة المؤلف المعروف محمد بن محمد بن الحسن بن نباتة ، والد الشاعر ابن نباتة ، المتوفى سنة ١٣٤٩/٧٥٠ ، بقراءة ابن الشيرازي ، كما ورد بخطه في ص ٩٥ و ١٠٨ و ١٠٩ .

وها هو ذا متن الجزء :

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر .

أخبرنا الشيخ العالم الفاضل المحدث شهاب الدين ابو المعالي احمد بن الحافظ ابي محمد اسحق بن محمد بن المؤيد بن علي الهمذاني الابرقوهي قراءة عليه وأنا أسمع مع عمي الشيخ العالم كمال الدين ابي القاسم احمد بن القاضي عماد الدين محمد بن محمد بن هبة الله الشيرازي لتسع ليال بقين من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وستمائة بالجامع الطولوني بين القاهرة ومصر المحروستين قال انا ظفر بن سالم بن علي ابن البيطار بقراءة الشيخ الحافظ تقي الدين محمد بن عبد الغني مع والدي وأخي رحمهما الله تعالى في سلخ جمادى الأولى سنة عشرين وستمائة ببغداد قال انا ابو المظفر هبة الله بن احمد الشبلي قراءة عليه وأنا اسمع في جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وخمس مائة قال انا ابو الغنائم محمد بن علي بن الحسن بن ابي عثمان سنة ثمان وسبعين واربع مائة قال انا ابو الحسين محمد بن احمد بن القاسم المحاملي سنة سبع واربع مائة قال انا ابو عمر الزاهد غلام ثعلب قال :

(١) اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي عن هشام الكلبي عن ابي المقوم يحيى بن ثعلبة الأنصارى عن أمه عائشة بنت عبد الرحمن بن السائب عن أبيها من بني جعجبا قال : جمع زياد أهل الكوفة ليعرضهم على شتم علي عليه السلام والبراءة منه فملأ الرحبة منهم والقصر والمسجد والناس يومئذ في امر عظيم فأغفيت إغفاءة ومعي ناس من اصحابي من الأنصار فرأيت في منامي شيئاً أقبل طويل العنق أهدب أهدل فقلت ما انت فقال انا النقار ذو الرقبة بعثت الى صاحب هذا القصر فاستيقظت فزعاً فقلت لأصحابي أرأيتم ما رأيت قالوا ما رأينا شيئاً قال فوصفت لهم ما رأيت فما كان إلا ريث ساعة حتى خرج علينا خارج من القصر فقال أيها الناس انصرفوا فان الأمير عنكم مشغول واذا الفالج قد ضرب زياداً فقال عبد الرحمن بن السائب :

ما كان منثنياً عما اراد بنا حتى تناوله النقار ذو الرقبه
فأسقط الشقّ منه ضربةٌ ثبتتْ كما تناول ظلماً صاحبُ الرحبه

(٢) حدثنا احمد بن زياد بن مهران السمسار ابو جعفر ثنا يحيى بن عبدويه ثنا شعبة وحماد بن سلمة عن محمد بن زياد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة ٠

(٣) حدثنا ابو بكر احمد بن عبيد الله النرمي ثنا عبيد الله بن موسى ثنا سفيان عن عبيد الله عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال كبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على النجاشي اربعاً ٠

(٤) حدثنا موسى بن سهل الوشاء ثنا اسحق بن يوسف الأزرق ثنا سفيان عن عاصم بن عبيد الله عن سالم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يصور عبدٌ صورةً إلا قيل له يوم القيامة أحيِ ما خلقتَ ٠

(٥) حدثنا الحارث بن محمد ثنا يزيد بن هرون ثنا اشعث بن سوّار عن الزهري عن أنس بن مالك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوت الانصار فحلبت له شاةٌ فأُتي بلبنها وابو بكر عن يساره واعرابيّ عن يمينه وعمر بين يديه فخاف عمر ان يدفع فضله الى الأعرابي فقال يا رسول الله أعطه ابا بكر فأعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأعرابي وقال الأيمن فالأيمن ٠

(٦) حدثنا محمد بن هشام بن البختري ثنا سليمان بن الفضل الزيدي ثنا حسان ابن ابراهيم الكرماني عن حماد بن سلمة عن ايوب وهشام بن حسان وعبد الله ابن عمر وحبيب بن الشهيد عن نافع عن ابن عمر وحُميد عن بكر بن عبد الله عن ابن عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وزاد فيه ابن عمر من قبله لبيك لبيك وسعديك والخير في يديك والرغباء اليك والعمل ٠

(٧) حدثنا ابو بكر احمد بن عبيد الله النرمي ثنا شبابة بن سوّار ثنا المسعودي

عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن عمران بن حُصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل يتجاوز لأمتي ما حدثت به انفسها ما لم تكلم به او تعمل به

(٨) حدثنا موسى بن سهل الوشاء ثنا عبد الله بن بُكير السهمي ثنا ابو الورقاء عن عبد الله بن ابي أوفى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال اثنتي عشرة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحداً صمداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد كتب الله له الفي الف حسنة ومن زاد زاده الله عز وجل .

(٩) حدثنا موسى بن سهل الوشاء ثنا الحارث بن محمد ثنا محمد بن عمر ثنا عبد الله بن جعفر الزهري عن يزيد بن الهاد عن محمد بن الحارث التيمي عن عامر ابن سعد عن العباس بن عبد المطلب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سجد العبد سجد على سبعة آراب وجهه وكفيه وكتفيه[1] وقدميه .

(١٠) حدثنا محمد بن يونس ثنا حجاج ثنا قرة السدوسي عن ابن سيرين قال اخبرني ابو زيد بن أخطب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جملك الله وكان شيخاً جميلاً حسنَ الشمط قال ابو العباس الكريمي رأيتُ احمد بن حنبل جاء الى الحجاج بالبصرة فسأله عن هذا الحديث .

(١١) حدثنا محمد بن عثمان ثنا يزيد بن مهران ابو خالد ثنا ابو بكر بن عياش عن الأعمش عن ابي صالح عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم يا حسرتي قال الحسرة اذا رأى اهلُ النار منازلهم من الجنة فهي الحسرة .

(١٢) حدثنا الحارث بن محمد ثنا الواقدي ثنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن ام الفضل بنت الحارث قالت آخر ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالمرسلات .

(١٣) حدثنا احمد بن زياد بن مهران ثنا زكرياء بن عدي ثنا مسلم بن خالد عن زياد بن سعد عن محمد بن المنكدر عن صفوان بن سليم عن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعثتُ في أثر ثمانية الف نبي منهم اربعة آلاف من بني اسرائيل

(١) الصواب وركبتيه كما هو ظاهر . (المجمع)

(١٤) حدثنا احمد بن سعيد الجمال ثنا ابو نعيم ثنا سفيان عن عمرو بن يحيى المازني عن ابيه عن ابي سعيد الخدري قال [قال] رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخيروا بين أنبياء الله عز وجل .

(١٥) حدثنا احمد بن سعيد الجمال ثنا ابو نعيم ثنا سفيان عن عمرو بن يحيى المازني عن ابيه عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة وليس فيما دون خمس اواق صدقة وليس فيما دون خمس ذود صدقة .

(١٦) حدثنا احمد بن عبد الله النرمي ثنا ابو غسان ثنا زهير ثنا خصيف عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير عن ابن عباس أن الفضل اخبره أنه كان ردف النبي صلى الله عليه وسلم وأنه لم يزل يلبي[1] حتى رمى جمرة العقبة .

(١٧) حدثنا الحارث بن محمد ثنا الواقدي ثنا اسامة بن زيد الليثي عن بكير ابن عبد الله الأشج عن كريب عن أم الفضل بنت الحارث قالت ناولتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم حلاباً فيه لبنٌ يوم عرفة فشربه .

(١٨) حدثنا محمد بن يونس ثنا بدل بن المحبر ثنا شعبة قال قلتُ لقرة بن خالد السدوسي وكان من ثقات الشيوخ يعني قال بكر بن وائل إنك تحدّث عن رجال من أهل الثروة فترضاهم قال فقال مثلي يقال له هذا ما حدّثتُ عن رجل منهم إلاّ وقد رضيتُ دينه وأمانته منهم ابو العجماء (كذا) الداري سمعته تلا هذه الآية أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون فبكى حتى غمي وصلى حتى أُقعد من رجليه وصام حتى خوى ولم ينظر الى السماء اربعين سنة ياأبا بسطام أفي كيسك مثل هذا فقال شعبة عندي أفضل من هذا ايوب بالبصرة ومنصوربالكوفة

(١٩) حدثنا ابراهيم بن اسحق ثنا محمد بن الصباح ثنا ابن المبارك عن ابراهيم ابن نشيط عن رجل عن عبد الله بن الحارث بن جزء دخل عليه رجلان فألقى لهما

---

(١) لم يزل يلبي الخ كما في الصحيحين وغيرهما . (الجمع)

وسادةً وكان متكئاً عليها قالا إنا لا نريد هذا إنما جئنا لنسمع شيئاً فننتفع به قال من لم يكرم ضيفه فليس من محمد ولا ابراهيم صلى الله عليهما وسلم .

(٢٠) حدثنا الحارث ثنا داوّد بن المحبر ثنا عبد العزيز بن مسلم الخراساني عن ضرار بن عمرو عن الحسين بن ابي الحسين قال ما أعلم شيئاً أفضل من الجهاد في سبيل الله جلّ وعزّ ومن خرج من بيته في طلب العلم فانه أفضل من الجهاد في سبيل الله عز وجل ومن خرج من بيته في طلب العلم حفته الملائكة بأجنحتها وصلت عليه الطير في جوّ السماء والسباع في البر والحيتان في البحر وآتاه الله جلّ وعز أجر اثنين وسبعين شهيداً ألا فاطلبوا العلم واطلبوا للعلم السكينة والحلم تواضعوا لمن يعلمكم وتواضعوا لمن تعلمونه ولا تباروا به العلماء ولا تماروا به السفهاء ولا تجتلبوا الأمراء ولا تطاولوا به على عباد الله عزّ وجل فتكونوا من جبابرة العلماء الذين ادركهم الله عز وجل فكبهم على مناخرهم في النار واطلبوا علماً لا يضرّ بكم في عبادة الله واعبدوا الله جل وعز عبادةً لا تضرّ بكم في طلب العلم فانه لا ينتفع بهذا إلا بهذا ولا تكونوا كأقوام تركوا طلب العلم وأقبلوا على العبادة حتى اذا قحلت جلودهم على أجسادهم خرجوا على الناس بأسيافهم ولو أنهم طلبوا العلم لكان العلم يحجزهم عما صنعوا ان العامل بغير علم كالجائر عن الطريق فهو لا يزداد اجتهاداً الا ازداد بعداً فكان ما يفسد أكثر مما يصلح قال قلنا عمن هذا يا ابا سعيد قال لقيتَ فيه سبعين بدرياً واغبرّت قدمي في طلبه اربعين عاماً .

(٢١) حدثنا بشير بن موسى ثنا ابو عبد الرحمن المقرئ عن محمد بن راشد الدمشقي صاحب مكحول عن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب عن ابيه عن جده عبد الله بن العباس كنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سفر فأصابنا رعدٌ وبرقٌ فقال لنا كعب من قال حين يسمع الرعد سبحان من سبح الرعدُ بحمده والملائكة من خيفته ثلاثاً عوفي مما يكون في ذلك الرعد

قال ابن عباس فقلنا فعوفينا ثم لقينا عمر بن الخطاب في بعض الطريق فاذا بردة قد أصابت أنفه فأثرت به فقلت يا أمير المؤمنين ما هذا قال بردة اصابت أنفي فأثرت فيه فقلت إن كعباً حين سمع الرعد قال من قال حين يسمع الرعد سبحان من سبح الرعدُ بحمده والملائكة من خيفته ثلاثاً عوفي مما يكون في ذلك الرعد فقلنا عوفينا فقال عمر هلاً أعلمونا حتى نقول .

(٢٢) حدثنا احمد بن عبيد الله النرسي ثنا يزيد بن هارون ثنا حريز بن عثمان سمعتُ حبيب بن عبيد الرحبي يقول تعلموا العلم واعقلوه وتفقهوا به ولا تعلموا لتجمَّلوا به فانه يوشك ان طال بكم عمر أن يتجمل بالعلم كما يتجمل ذو البز ببزه

(٢٣) حدثنا موسى بن سهل الوشاء ثنا اسمعيل بن عليَّة عن يونس بن عبيد عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عملٌ قليلٌ في سُنةٍ خير من عملٍ كثيرٍ في بدعةٍ .

(٢٤) حدثنا محمد بن عثمان ثنا ابراهيم بن محمد بن ميمون سمعتُ مصعب بن سلاّم عن سعد بن طريف عن الأصبغ عن علي عليه السلام قال ستٌ من أخلاق قوم لوط في هذه الأمة الجُلاهق[1] والصفير والبندق والحذف[2] وحلّ أزرار القباء ومضغ العلك وثمانية من الناس لا نسلم عليهم اليهودي والنصراني والمجوسي والمتفكهين بسبّ الأمهات والشاعر الذي يقذف المحصنات وقوم يشربون بين أيديهم الريحان وأصحاب النردشير والشطرنج وستة لا يُصلى خلفهم ولد الزنا والعبد والمتعرّب بعد الهجرة والأعرابي والمحدود إلاّ أن يتوب والأعمى[3] .

(١) الجلاهق : البندق الذي يُرمى معرّب . (٢) لعله والحذف .

(٣) هذا الأثر موقوف على الصحابي ، وفقهاء خراسان يسمون الموقوف أثراً ، والمرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم خبراً ، والموقوف ليس بحجة على الأصح عند علماء الحديث . والمراد من ايراد هذا الأثر – على فرض صحة سنده الى علي عليه السلام – هو التنفير في الجملة من أن يتصف الانسان بمثل هذه الأوصاف ، أو يتلبس بهذه الأعمال ، بل يحمل نفسه على كريم الخصال والفعال . وأما السلام فهو تحية الاسلام ، فاذا حيانا غير المسلم بتحية رددنا عليه أخذاً بعموم الآية الكريمة «واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردّوها» . (المصحح)

(٢٥) حدثنا احمد بن زياد بن مهران السمسار حدثني اسود بن سالم حدثني يحيى بن عبد الملك بن ابي غنيّة عن رياح بن ابي نصر قال مررتُ على طلحة اليامي فقال يا رباح أخرجك أهلك الى السوق قلتُ نعم قال عليك بالصدق وأداء الأمانة وترك الخيانة فانها مطردة للرزق ·

(٢٦) حدثنا احمد بن زياد ثنا موسى بن داوُد عن شريك عن سعيد بن مسروق ابو المنذر شكّ شريك ان الربيع بن خُثيم كان يصلي وكان له فرسٌ أعطي به ثلاثين الفاً فجاء إنسان فحله فلم يقطع صلاته ·

(٢٧) حدثنا محمد بن هشام البحتري قال ثنا محمد بن حاتم الزمي ثنا محمد بن الحجاج أنبأني محمد بن عبد الرحمن بن سفينة مولى النبي صلى الله عليه وسلم قال اعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء قبل ان يموت بشهرين وشدّ المئزر وتعبد حتى كان كالشنّ البالي ·

(٢٨) حدثنا محمد بن هشام قال سئل ابن عُيينة ما بال الناس يؤمرون في الجنازة بالسكون قال لأنه حشرٌ ·

(٢٩) حدثنا محمد بن هشام ثنا الحسين بن عثمان ثنا بقية عن اسماعيل البصري يعني ابن علية عن أبان عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُقبل قولٌ إلا بعمل ولا يُقبل قولٌ وعملٌ إلا بنية ولا يقبل قولٌ وعملٌ ونيةٌ إلا باصابة السنة ·

(٣٠) حدثنا محمد بن يونس ثنا عثمان بن صخر العقيلي ثنا الهيثم البكاء سمعتُ مالك بن دينار يقول يا معشر الأغنياء موتوا كمداً فان العرس في الدار الأخرى

(٣١) حدثنا محمد بن يونس ثنا عثمان بن صخر ثنا الهيثم البكاء قال سمعتُ مالك بن دينار يقول يا من تُغذي الخلق وتعشيهم ومن مجده تُسمى الوهاب حرم هذا البدن على النار ·

(٣٢) أنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابي

قد هلكت جارتنا من الهمجْ وان تجع تأكل عقوداً أو بذجْ

قال الممج الجوع والبذج الحمل والعقود الجدي ٠

(٣٣) اخبرنا ثعلب قال كنا عند شيخ من الشيوخ من النحويين الكبار قال اريد ان أبلُ فتضاحك منه الناس وقدرنا أنه لحن ونحن إذ ذاك صغار حتى حدثني سلمة عن الفراء عن الكسائي قال من العرب الفصحاء من ينصب بان الخفيفة المفتوحة وأخواتها وهو الباب ومنهم من يرفع بها ومنهم من يجزم بها الفعل المستقبل

(٣٤) أنشدنا ثعلب عن ابي نصر عن الاصمعي

تداويتُ من ليلى بهجران بيننا   وداويتُ اقواماً مراضاً قلوبهـا
فأما الذي داويتُ بالهجر فاشتفى   بهجر واما النفس فاعتلَّ حوبها

(٣٥) حدثنا ثعلب عن عمر بن شبة عن رجاله قال قال احدهم سمعت عمر بن عبد العزيز رحمه الله بخناصرة يقول يا معشر الناس احملوا في طلب الرزق فلو كان رزق احدكم في عرعرة جبل او حضيض ارض لأتاه قال العرعرة رأس الجبل والحضيض أسفله ٠

(٣٦) وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي

لا تقبضن نعم لا طائعاً أبداً   فان لا افسدت من بعدها نعم
إن قلتَ يوماً نعم بدءاً فتمَّ بها   فان إمضاءها صنف من الكرم

يقال صنفٌ بالفتح وصنفٌ بالكسر

(٣٧) وأنشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي عن المفضل :

إنك يابن جعفرٍ نعم الفتى   ونعم مأوى طارقٍ إذا أتى
ورُبَّ ضيفٍ طرق الحيَّ سرى   صادف زاداً وحديثاً ما اشتهى
إن الحديث جانبٌ من القرى

(٣٨) حدثنا ثعلب وثنا ابو زيد عن علي بن زيد قال قال الحسن :

لولا جريرٌ هلكت بجيله   نعم الفتى وبئست القبيله

أمدحه أم هجاه قلتُ مدحه وهجا قومه قال ما مُدح من هُجي قومه ٠٠

(يتبع)

ملاحظات لغوية على الفاظ زراعية

(١) الاقليم . — الكلمة الفرنسية Climat والانكليزية Climate والعربية إقليم كلها من أصل يوناني واحد وهو Klima بمعنى الميل ، ويريدون به ميل مكان ما من الارض عن معدّل النهار ؛ ثم استعملوها بمعنى المكان المائل ، ومعنى القطر والكورة والصقع والرستاق ، اي بما نسميه اليوم « منطقة » (انظر ما ورد في التاج وفي مقدمة معجم البلدان نقلاً عن البيروني وهذا عن الهروي) . وهي تتضمن عند الفرنج معنى القطر والكورة ؛ وتتضمن أيضاً معنى آخر اكثر شيوعاً وهو جماع الأحوال الجوية والجغرافية التي تسود ذلك القطر ، اي ما نسميه اليوم بالعامية الطقس والمناخ من رياح وأمطار وحرارة وموقع جغرافي الخ . ولذلك ترى ان تستعمل كلمة إقليم المعربة قديماً لهذا المعنى الأخير ايضاً ، على ما هو شائع في مدارس الشام والعراق ، منذ أيام الدولة العثمانية . اما الجوّيات فقد وضعتها في معجم الألفاظ الزراعية امام لفظة Météorologie .

(٢) المنطقة . — شاع استعمال هذا اللفظ للدلالة على بقعة من بقاع الأرض ؛ ولم اجده بهذا المعنى فيما لديَّ من معجمات اللغة . وفي لساننا الفاظ كثيرة تؤدي المعنى المذكور كالقطر والكورة والرستاق والطسّوج والصقع والبقعة والناحية الخ . ولا بد في هذا الموضوع من التخصيص ، اي اتخاذ كلمة عربية لكلٍ من الالفاظ الفرنسية الآتية وهي Contrée و Région و Territoire و District وغيرها ، بعد النظر الى تعريفاتها المضبوطة .

(٣) التبغ والطبّاق . — على الرغم مما كنت كتبته في هذه المجلة وفي المقتطف والاهرام المصريتين من ان التبغ نبات والطباق نبات آخر ، ما برح بعض الكتاب

في مصر يعبرون عن كلمة تاباك الفرنسية بكلمة طباق ، لمجرد تقارب اللفظين ليس غير . فنبات التبغ (تعريب تاباك) من نباتات امريكة ، وفي مهده ؛ وهو لم يكن معروفاً في بلادنا ولا في اوربة قبل الكشف عن البلاد الأمريكية ، ولهذا ليس له اسم عربي ، شأنه في ذلك شأن كل النباتات التي نقلت من العالم الجديد كالفليفلة والبطاطة والأناناس والبنادورى والجوافة والذرة الصفراء والقشدة والأوكالبتس وغيرها . أما الطباق فهو نبات مبذول ومعروف في لبنان وسورية ، يسمى بالعامية الطيّون وعرق الطيون واسمه العلمي Inula viscosa ، وهو يستعمل لصد الزنابير عن العنب الذي يزبّب . وعندي من الأدلة على جهل العرب لنبات التبغ قبل كشف امريكة ما يملأ صفحتين على الأقل . فيجب اذن الاقلاع عن تسمية التبغ بالطباق ، وترك هذه الكلمة الأخيرة لما وضعت له في كتب اللغة اي لنبات الطيون .

(٤) الكرم . — كثيراً ما يستعمل ارباب الزراعة في ديار الشام لفظ الكرم بمعنى مغرس او بستان ، فيقولون مثلاً « كرم زيتون » و « كرم تين » . والكرم نبات معروف في المعاجم وفي الكتب الزراعية . ولم أجده فيها قط بمعنى المكان الذي يغرس فيه شجر آخر ، ولذلك يكون هذا الاستعمال خاطئاً .

(٥) الدالية . — يطلق الشاميون هذه الكلمة على الكرمة . أما في المعجمات فهي تدل على الناعورة والمنجنون وأداة للسقي معروفة في مصر ؛ وتدل أيضاً على ضرب من العنب أسود غير حالك عناقيده عظام ، وعلى بسر يعلّق فاذا أرطب أكل ، وعلى الأرض تسقى بدلو او منجنون . ولم أجد الدالية بمعنى الكرمة والحَبَلة والزَرَجونة والجَفْنة وهي كلها تدل على النبتة الواحدة من الكرم . والظاهر ان العامة سمت الكرم دالية لتدلي عناقيدها ، كما سمتها عريشة لأنهم يعرشونها على العرش والعريش وهو جماع العيدان التي تجعل في هيئة السقف فتوضع الكرمة عليها . ولو قالوا معروشة ومعروشات لكان قولهم أصح ، لأن

المعروشات هي الكروم . ومع هذا فقد جاء في المخصص ان الكرم الذي يُسند يسمى العريش والمعرّش والمعروش وغير ذلك . أما الدوالي فهي وان لم تذكر في مادة «دلو» في المعجمات ، فقد ذكرها الفيروزابادي في القاموس في مادة عرش ، قال : عَرَشَ الكرمَ رفع دواليه على الخشب كعرّش . ويتضح من ذلك ان لفظ الدالية يُستعمل بمعنى الجفنة منذ زمن طويل .

(٦) الحَرَجة . — كثير من الكتاب في مصر والشام يسمون جماعة الشجر الحرش ويجمعونها على أحراش . والصحيح بالجيم لا بالشين ؛ ففي كتب اللغة الحرجة جماعة الشجر ؛ وجمعها حِراج وأحراج وحَرَج وحَرَاج . وفي المخصص انها سميت حراجاً لالتفافها وضيق المسالك فيها . وفيه : اذا اجتمع الشجر في عرض وطول فهو حرجة .

(٧) الرُزّ والوَزّ والخَرُّوب . — معظم الكتاب يعدلون عن هذه الكلمات ويستعملون بدلاً منها كلمات الأرز والأوز والخرنوب . ويذهب بعضهم الى أن الأولى غير صحيحة ، على حين أنها فصيحة لا غبار عليها ، وهي أقل حروفاً من الثانية ، فلا يجوز إهمالها ولا تحاشيها .

(٨) الفَرَس . — لا يطلق الشاميون لفظ الفرس الا على أنثى الخيل ، على حين انه يُطلق في المعاجم على الذكر وعلى الانثى . اما الاسم الذي خُصت به الأنثى فهو الحِجْر .

(٩) الدواجن . — اعتاد الكتاب في مصر تسمية الطيور الأهلية بالدواجن ، حتى انهم عندما يلفظون هذه الكلمة الأخيرة وحدها فهم لا يعنون بها الا الطيور المذكورة دون غيرها من دواجن الحيوان . ومن البديهي أن هذا التخصيص خطأ . فالدواجن (والمفرد داجن وداجنة) هي الحيوانات التي تدْجن بالمكان اي تقيم به وتألفه ، من خيل وإبل وبقر وضأن ومعز ودجاج وحمام الخ . وهذا التعميم واضح في المعجمات . ولذلك عندما يُقتصر على كلمة الدواجن فمعناه الاشارة الى جميع الحيوانات المذكورة لا الى الطيور التي دُجنت وحدها . أما اذا أريد ذكر تلك

الطيور دون غيرها فيجب ان يقال الطيور الدواجن او الطيور الأهلية ، اي لابد من ذكر كلمة الطير او الطيور قبل لفظ الدواجن .

(١٠) جملة من الكلم . — في مصر يكثر الكتاب من استعمال لفظ « العزبة » بمعنى المزرعة . ولم أجد كلمة العزبة هذه فيما لدي من الأمهات . وفي العربية ألفاظ كثيرة تدل على معناها كالمزرعة والجربة والمشارة والزراعة والكرد . والقرية اكبر منها . ويقولون « التقاوي » بدلاً من البذر والبذار ، و « الكبري » بدلاً من الجسر ، وهذه اللفظة تركية النجار ، و « الطرح » بمعنى الحمل والجنى والثمر ، و « الأذرة » بمعنى الذرة ، ويذكرونها وهي مؤنثة . ويلزمون كلمة الري والأرواء فلا يستعملون مادة سقى يسقي الا نادراً ، على حين ان هذه المادة هي الشائعة في المعجمات والكتب الزراعية القديمة (انظر باب السقي في الجزء التاسع من المخصص) فلا يجوز تجنبها ، ترجيحاً لفصيح الكلم على غيرها . ويكثرون من استعمال الطين بمعنى الأرض ، ولم أجد للطين هذا المعنى ، فهو نوع من أنواع الأتربة كالغرين والصلصال والطمي ، وليس بأرض ولا بمزرعة . ويجوز ان يقال طين الأرض ، وارض طينية او رملية أو كلسية الخ . وفي الشام يقولون « حاصود » و « راجود » على وزن فاعول ، لمن يحصد الزرع ويرجده ، والصحيح الحصاد والرجاد . ويقولون « الفصة » والصحيح الفصفصة وهو ما يسمى البرسيم الحجازي في مصر ، ويسمى بالفرنسية Luzerne .

ويسمون البرتقاليات اي اشجار الفصيلة البرتقالية او أثمارها الموالح في مصر ، والحوامض في الشام . ومن المعلوم انها كثيرة الأنواع كالبرتقال والليمون الحلو والحامض وليمون الجنة (غريفون) والأترج والنارنج واليوسفي الخ . فتسميتها بالحوامض لها وجه ، لأن فيها حامض الليمون . أما تسميتها بالموالح فلم أر لها وجهاً . ومن الصعب جداً حمل الكتاب على اطراح اسماء كهذه مما يتفشى استعماله في جميع الطبقات .

وفي الشام يطلقون اسم الغنم على الضأن وحدها، على حين ان هذا الاسم يطلق على الضأن والمعز جميعاً ·

(١١) يتضح مما مرّ ذكره ان بين مصر والشام اختلافاً في تسمية بعض النباتات الزراعية، وبعض الآلات والمواد التي لها صلة بالزراعة · ولعله من المفيد أن نذكر جملة منها في الجدول الآتي :

الشام	مصر	ملاحظات
انجاص	كمثرى	الثانية هي الفصيحة بمعنى Poirier · والأولى غير صحيحة
دراقن	خوخ	كلاهما فصيح بمعنى Pêcher
خوخ	برقوق	الفصيح إجاص بمعنى Prunier · والبرقوق وجه · والخوخ غلط، فهو في اللغة يدل على الشجر السابق
كبّاد	أترج	كلاهما فصيح Cédratier
كستنة	ابو فروة	اسمه القديم القسطل والقصطل والشاهبلّوط · Châtaignier · والكستنة من اللاتينية، والقسطل من اليونانية، والشاهبلوط من الفارسية بمعنى بلوط الشاه ·
ملفوف	كرنب	Chou · الأولى مولدة · والثانية صحيحة، وهي من أصل يوناني ·
كرنب	ابوركبة	Chou - rave · كلاهما مولد بهذا المعنى · والكرنب في اللغة هو النبات السابق ·
شوندر	بنجر	Betterave · الأولى من أصل فارسي، والثانية من التركية ·
بطاطة	بطاطس	Pomme de terre كلاهما مولد من كلمة Patate وهي من لغة سكان هيتي الأصليين ·

الشام	مصر	ملاحظات
بنادورى	طماطم	Tomate · هو كالسابق من نباتات أمريكة فليس له اسم عربي ·
ذرة صفراء	ذرة شامية	Maïs · وهذا ايضاً من نباتات امريكة التي لم تعرف الا بعد الكشف عنها · والأولى من كلمة ايطالية، والثانية من كلمة تمت الى لغة الازتيك القديمة في المكسيك
بكي دنيا ، إبكي دنيا	مشملة	Bibassier كلاهما من التركية ·
فستق العبيد	فول سوداني	Arachide ·
فلفل	شطة	Poivrier · الأولى صحيحة ·
فليفلة	فلفل	Piment · كلاهما مولد لأن هذا النبات نقل من امريكة ·
هليون	كشك الماظ ، هليون	Asperge · الهليون هو الفصيح بكسر الهاء وفتح الياء بينهما لام مجزومة ·
إنكنار ، ارضي شوكي	خرشوف	Artichaut · الفصيح هو الحرشف ، ومنها أرتيشو الفرنسية · أما ارضي شوكي فمن الكلمة الفرنسية هذه · فتأمل كيف تردالعامة الينا كلماتنا العربيات مشوهة ، وذلك كقولهم سينما الحمبرا بدلاً من الحمراء ، والكازار بدلاً من القصر ·
مشط	زحافة	Herse · الأولى أفصح · وقد وردت بهذا المعنى تماماً في المخصص ·
كلس	جير	Chaux كلاهما فصيح ·

هذه ملاحظات عنت على البال فلعل فيها فائدة للأساتيذ الذين يبحثون في العلوم الزراعية ومصطلحاتها ·

مصطفى الشهابي

كنز من كنوز الجاحظ

اربع رسائل من رسائله

— ٥ —

الرسالة الرابعة من رسائله الأربع

عنوان هذه الرسالة (فصل ما بين العداوة والحسد) افتتحها بقوله : (أصحب الله مدتك السعادة والسلامة ، وقرنها بالعافية والسرور) . والخطاب فيها موجه الى الوزير ابي الحسين عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل . ولم يصرح باسمه في طرة الرسالة ـ كما صرح باسم المخاطبين في الرسالة الأولى والثالثة ـ وانما فهم ذلك عنه في ختام الرسالة ص ١٢٢ وسيأتي . ويقول الجاحظ للوزير المشار اليه ان رسالته او كتابه هذا (كتاب نبيل بارع فُصل فيه بين الحسد والعداوة لم يسبقني اليه احد) بلى سبقوه الى ذكر الحسد والعداوة ومبلغ ضررهما بالمجتمع وسرد ما ورد فيها على ألسنة الأنبياء والصحابة والحكماء غير ان الذي لم يسبقوه اليه تشقيقه القول فيها وتفننه في حسن التمثيل والاستشهاد لها بما لا يخطر لأحد ببال ، أو يجري منه في خيال ، وكل ما أراده من صديقه ثواباً على تخصيصه اياه بهذه الرسالة ما ذكره بقوله مخاطباً له : فأنا أسألك بساطع كرمك ، وناصع فضلك لمّا امتننتَ عليَّ بصرف عنايتك الى قراءتها ، فان لم يمكنك تبحرها ، والتقصي لجميعها ، للأشغال التي تعروك ، فبحسبك ان تقف على حدودها ، وتتعرف معاني أبوابها ، بتصفح اوائلها ، : فان معك قلباً به من اليقظة والذكاء ، والتوقد والحفظ ، ما يكفي معه نظر الخاطف) وقوله (لما امتننتَ عليَّ) (لمّا) هنا بمعنى (الاّ) كما في قوله تعالى (إن كل نفس لمّا عليها حافظ) ويقول العرب (أنشدك الله

لمّا فعلتَ) اي الا فعلت . وقوله (تبحرّها) التبحر في العلم التوسع فيه فمعنى تبحرها التوسع في فهم مضامينها . لكنّ الجاحظ عدى فعل التبحر بنفسه . وهو انما يتعدى بالحرف . فكأنه ضمّنه معنى التقصّي والتتبع .

وأول ما وصف من العداوات عداوة العلماء بعضهم لبعض فصنّفهم الى علماء أهل حق (محضوا الحكمة وعجموا عيدانها ، ووقفوا على حدود العلوم) ـ واهل باطل يعارضون الأولين (وقد تسموا بأسماء العلم على المجاز بغير حقيقة . ولبسوا لباس الزور متزخرفين متشبعين بما لا محصول له) وأتى على وصف التحاسد والتنافس بين هؤلاء واولئك . وقصّ بعض ما كان يقع في مجالس الخلفاء من مناظرات العلماء حول آرائهم ومصنفاتهم مما منشؤه العداوة والحسد . وأخذ في التفرقة بينهما (اي بين العداوة والحسد) : من ذلك (ان العداوة لها عقل تسوس به نفسها ، فينجم قرنها ، وتُبدي صفحتها ، في أوقات المَتر ، وإلا فانها كامنة : تنتظر ازمنة الفرص . والحسد مسلوب المعقول (اي العقل) بازاء الضمير (؟) في كل حين وزمان . ومن لؤم الحسد أنه موكل بالأدنى فالأدنى والأخص فالأخص (اي كلما ازدادت القرابة والخصوصية بين الناس ازداد الحسد تكالباً بينهم . و (المتر) تمزيق العرض بالطعن والثلب فقوله بعده (بازاء الضمير) لعل صوابه (بإزاء المتر) . وخلاصة ما قاله الجاحظ في هذا الباب ان العدوّ له عقل اما الحاسد فلا عقل له .

ومن الأدلة على ان الحسد أوجع وأوضع من العداوة أن الحسد انما يثور في نفس الحاسد لأسباب ليس للمحسود صنع فيها وانما هي من صنع الله كجمال الصورة وفصاحة اللسان وكرم المحتد وحسن الأخلاق وهذا بخلاف العداوة فان المعادي لك انما يقصد الى ضررك والحاق الأذى بك لأسباب صدرت منك كأكلك ماله او تحقيرك له او الحاحك عليه بالأذى والشر . فاذا كففت عن ذلك او اعتذرت اليه زالت العداوة بزوال اسبابها ورجعتما خليلين متصافيين ، ولا كذلك الحسد فان اسبابه فضلك او فصاحتك مثلاً وكلاهما لا يمكن تجنبها

ولا الاعتذار عنها ما داما من صنع الله . فالحسود عدو الله في الحقيقة ؛ وكل هذا (دليل على ان الحسد لا يكون الا عن فساد الطبع ، واعوجاج التركيب ، واضطراب السوس (اي الطبيعة) وقال بعضهم الحسد انثى لأنه ذليل والعداوة ذكر فحل لأنها عزيزة) (أقول) وكان الأحسن لو قال الحسد انثى لأنه ضعيف يتستر مثلها ويتوارى تواريها ، والعداوة ذكر قوي فهي ظاهرة سافرة بادية صفحة الوجه كما ان الرجل القوي كذلك . ووصف الجاحظ عالماً عراقياً رآه وشاهد ما اصابه من البرحاء وحرقة الحسد حين بلغه عن زميل له في خراسان من اتساق الرياسة له في بلده (ونيل محله عند اهل مصره ، وطاعة العامة له ، فطار قلب العراقي فرقا . واخذته الأربَاء وتنفس الصعداء ، وانتفض انتفاض المعلَّس المطور) قال الجاحظ فقال لي رجل من إخواني كان عن يميني حين رأى ما رأى من ذلك العالم العراقي : (لم يُر ظالم اشبه بمظلوم من حاسد نعمة ؛ فان نَفَسه متصل ، وكربه دائم ، وفكرته لا تنام) وقوله (الأُرباء) بالمد لم أره ولعله (الأُربى) ومعناه الداهية . واي داهية ادهى من حزّ الحسد في النفس . ويمكن ان يقال ان (الأُرباء) هنا هي الأُربى غير ان الجاحظ مدها لضرورة السجع او لمزاوجة الصُعداء . وقولهم (تنفس فلان الصُعداء) يستعمله الفصحاء كما استعمله الجاحظ في التوجع ومقاساة مضض الغم لا في انكشاف الهم وزوال الكرب كما يستعمله بعض الناس . فقد قرأت في (مجلة الرسالة) لكاتب يصف قوماً يمقتون فاضلاً يشتغل معهم ثم نقل الى عمل آخر قال (ولعلهم واجدون في إبعاده متنفساً لصعدائهم) اي انفراجاً لكربهم واستعماله بهذا المعنى غير سديد ومخالف لما يستعمله البلغاء فيه . و (المعلّس) الرجل المجرب ولا تناسب ارادته هنا وانما المناسب ان يكون محرفاً عن اسم طائر او حيوان ينتفض حين وقوع رذاذ المطر عليه (كما انتفض العصفور بلله القطر) واقرب ما يمكن ان تكون (للعلس) محرفة عن العملّس . وهو اسم للجمل وجاء في (ديوان الحيوان) للسيوطي .

ان (العمَّأس) اسم للذئب الخبيث والكلب الخبيث . وفي تشبيه ذلك الحسود بالذئب المطور او الكلب المطور زيادة تبكيت له ، وتنفير من حسده ، ومعرة لؤمه .

وصغار الكتاب في عصرنا يعمدون الى الفحول من كتاب بلادهم وشعرائه فيطعنون فيهم ، ويتخذون منهم أداة لهو وسخر ، ليصرفوا انظار الناس عنهم اليهم وينالوا الشهرة دونهم وكما ان في الكسب مال سحت كذلك في الشهرة شهرة سحت كشهرة هؤلاء الكتاب والشعراء الذين كان مثلهم كثيراً في عصر الجاحظ وقد وصفهم وذكر نوادر من اخبارهم : من ذلك ما حدثه به صريع الغواني الشاعر قال (خُيِّل الى نوكى الشعراء أنهم لا يُقضى لهم بجودة الشعر الا بهجائي والطعن في شعري . وهجو عرضي . وانا لا انفك متهماً من غير جرم أجرمته الا ما سبق الى قلوبهم من وساوس الظنون والخواطر التي أوهمتهم انه لا يسجل لهم بجودة الشعر الا اذا استعملوا فيَّ ما خيِّل اليهم) . وذكر الجاحظ ان الحساد يقبلون على مصنفات محسوديهم فيقرأونها ويلتهمون معانيها التهاماً ، ويشهرون بها املاء الناس ويحقرون من شأنها ، ثم لا يلبثون اذا كتبوا او صنفوا ان يحملهم نوكهم على استعمال معانيها والفاظها في رسائلهم الى اخوانهم الذين كانوا من قبل سمعوا منهم الطعن في تلك الألفاظ والمعاني نفسها . وما قاله الجاحظ مصداق قول الشاعر :

(ترى الفتى ينكر فضل الفتى لؤماً وخبثاً فاذا ما ذهب)
(لجَّ به الحرص على نكتة يكتبها عنه بماء الذهب)

وهنا (ص ١٠٨) وصف الجاحظ ما كان يلاقيه هو ومصنفاته من حساده : يطعنون فيها وهم يعرفون براعتها ونصاعتها . وأكثر ما يكون هذا منهم اذا كان مصنفه مقدماً الى ملك (فانهم يهتاجون عند ذلك اهتياج الابل المغتلمة) فان أمكنهم اسقاط ذلك المؤلف في نفس الملك والا عمدوا اليه فسرقوا معانيه وللفوا من أعراضه (جوانبه) وحواشيه كتاباً . وأهدوه الى ملك آخر معجبين بما كتبوا . وان كانوا قد ذموه وثلبوه لما كان منسوباً الى الجاحظ . وكان الجاحظ

يؤلف احياناً مؤلفاً دون سائر مؤلفاته في معانيها والفاظها وينسبه الى غيره ممن تقدمه (مثل ابن المقفع والخليل ويحيى بن خالد والعتّابي) فيأتي حساد الجاحظ اليه رافعين عقيرتهم بالاعجاب والثناء على ذلك المؤلف ويلتمسون منه استنساخه وقراءته عليه وروايته عنه وينشرونه في الناس ويتخذونه إماماً . كل ذلك لأنه لم ينسب الى الجاحظ ولم يترجم باسمه قال (ولربما خرّج الكتاب من تحت يدي مُحصفاً (اي محكم الفتل) كأنه متن حجر املس بمعان لطيفة محكمة ، والفاظ شريفة فصيحة ، فأخاف عليه طعن الحاسدين إن انا نسبته الى نفسي فأظهره مُبهماً مُغفلاً في جملة الكتب التي لا يُعرف وضّاعها . فينهالون عليه انهيال الرمل ويستبقون الى قراءته استباق الخيل) .

وهوّن الجاحظ من امر العدوّ والحسود والمغتاب اذا كانوا أغبياء جهلاء لأن غباوتهم تدل عليهم فيقل تأثير كلامهم في نفوس السامعين . أما البلاء الذي ما فوقه بلاء فهو في ما اذا كانوا عقلاء اذكياء ذوي فطانة وحذق فان كيدهم يكون اشدّ ، وسهام اذاهم أحدّ واسدّ . وقد صور الجاحظ هذا المعنى أبلغ تصوير فقال (وانما البلية في غيبة حذاق المغتابين الذين يسمعون (اي الطعن في المحسود) فيضحكون ولا يتكلمون . وأحذق منهم الذين يستمعون ويُسكتون القائل ويدعون بالصلاح للمقول فيه) . فدعاؤهم له بالصلاح اقرار بصحة ماقيل فيه من الطعن والثلب والا (لجبه القائل وردع عن قوله) فهذه الطريقة أخبث انواع الغيبة واشدها خطراً في رأي الجاحظ ، ومما يؤسف له ان هذا النوع الخبيث من الغيبة فاش في عصرنا هذا كثير الشيوع في مجالسنا فلا يجبه مغتاب ولا يردع ، بل يقرّ طعنه ويسمع ، ثم بالدعاء والاستغفار يُلحق ويتبع ، فيقولون (اصلحه الله) او (غفر الله لنا وله) وهذا عين ما قال الجاحظ انه كان يقع في عهده قال : وكان (عبيد الله بن عبد الله بن مسعود) من نبلاء المغتابين وحذاقهم مذ يقول مخاطباً عدوين له منافسين :

(فلو شئتُ أدْلى فيكما غيرُ واحدٍ علانيةً ، أو قال ذلك في سرِّ)
(فإن أنا لم آمر ولم أنْهَ عنكما ضحكتُ له حتى يلجّ ويستشري)

وسرق العتابي هذا المعنى فقال :

(إن كنتَ لا تحذر شتمي لما تعرف من صفحي عن الجاهل)
(فاخش سكوتي سامعاً ضاحكاً فيك لمشنوع من القائل)

والمشنوع المشهور بالقبيح . وقول عبيد الله (أدلى فيكما) اي قال فيكما قولاً قبيحاً . وقد كثر بين الكتاب استعمال فعل (أدلى) كثرةً لا مسوّغ لها . وفي فصيح اللغة من التعابير ما يغني عنه . فالسكوت والضحك من ألين انواع الغيبة وأنعمها . وألينُ منهما تبسم الإمام (ابي حنيفة) فقد كان يبلغ من التبسم من (الثوري) ما لا يبلغ الثوري بالتصريح منه . والين من هذا وذاك غيبة القاسم بن معن وقد سئل عن ابن ابي ليلى فقلّب كفه وقال :

(من الناس من يخفى ابوه وجدّه وجدّ ابي ليلى لكالبدر ظاهر)

فتقليب كفه اشارة الى حيرته في امر ابن ابي ليلى . اما ما استشهد به من الشعر فهو على حد :

(خاط لي زيد قباء ليت عينيه سواء)

فهو يقول ان جد أبي ليلى ظاهر ظهور البدر : فاحتمل ان يكون أراد بظهوره ظهور خسة نسبه وضآلته . كما احتمل ان يكون اراد ظهور رفعته ونباهته . ومن أبلغ ما قيل في وصف ذلة الذي يغتاب عدوه ويتملقه اذا حضر قول خالد بن صفوان في شبيب بن شيبة (ليس له أخ في السر ولا عدو في العلانية) — وقول العتابي في اهل بغداد : (حساد : اخوان العلانية . واعداء السريرة : يعطونك الكل . ويمنعونك القلّ) اي يعطونك كل ما رضيته اذا جالستهم فاذا غبت عنهم بخلوا عليك بالقليل من حقك .

أ وأفاض الجاحظ في اي الأمرين يكون الصواب والسداد والحزم : أفي مصارحة

العدو بالعداء؟ او في مداراته وتجنب ملاحاته؟ فمنهم من كان يقول بالمداراة (بمعنى على طول الخط كما يقولون) ومنهم من يرى الفرار منها والإعذار فيها (فان هي — أي العداوة — أبت إلا المقارنة قارنوها بمثلها) (كذا في ص ١١٤) ولعل صوابه (فان هي أبت الا المقاومة قاوموها بمثلها) وهذا على حد قول الشاعر:

(واني لآبي الشر حتى إذا أبى يجنب داري قلت للشر مرحبا)

(وأركب ظهر الأمر حتى يلين لي اذ لم أجد الا على الشر مركبا)

ومنهم من غلا في المصارحة واللجاج في مقاومة العدو ولو نزل على حكمك وأنصفك كالعباس بن عبد المطلب الذي يقول لأخيه:

(ابا طالب لا تقبل النصف منهمو ولو أنصفوا حتى تعقّ وتظلما).

والنصف (مثلثة النون) بمعنى الانصاف وهذا ما عناه طوق بن مالك بقوله (من لم ينتهز من عدوه انتهز منه). وعلى عكس هذا قول عبيد الله بن عبد الله بن مسعود الذي جعله الجاحظ كما مر (من نبلاء المتنابين وحذاقهم) فان قوله أبلغ ما قيل في المسالمة والمداراة وهو:

(منافسة الصحاب او الأعادي تجرّ الى المذمة والملامة)

(اذا أعطاك نصفاً ذو وداد وبعض النصف فانتهز السلامة)

. قوله (ذو وداد) لعل صوابه (ذو عداء) لأن المقام مقام التوازن بين مقاومة الأعداء ومداراتهم: يقول اذا انصفك عدوك ولو بعض الانصاف فاغتنم فرصة السلامة والراحة من عناء مكايدته. كما قال صاحب التائية من المتأخرين:

(لما عفوتُ ولم أحقد على أحد أرحتُ نفسي من همّ العداوات)

وهناك قوم الخشوا في مقاومة العدو الى حد الظلم والبغي. منهم مصعب بن الزبير الذي قال (اذا رأيت يد الدهر قد لطمت عدوك فبادره برجلك فانه سلم من الدهر لم يسلم منك وانشد:

(اذا يترك الزمان على عدو بنكبته أعنتُ لمه الزمانا)

وقال العتابي (إن من شرط الدهر ، ومن صناعة الزمان السلب (اي سلب ما اعطى أو هو محرف عن التقلب) فاذا حمّلت الأيام على عدوك ثِقلاً ، وأمكنتك منه فزده ثقلاً الى ثقله) ويقال ان المقابلة بالشر قد تكون أحياناً أنجع في الوصول الى ما يبتغي الانسان من حاجة :

(وفي الشر نجاة حيـــن لا ينجيك احسان)

قال الجاحظ حدثنا ابو مسهر عن خالد الكلبي قـال : (كنا مع ابي برزة الاسلمي في غزاة . فكان منا رجل يمتار لنا الميرة . ويقوم بحوائجنا . فاذا اقبل قلنا له جزاك الله خيراً . فيغضب لدعائنا . فشكونا أمره الى أبي برزة . فقال : كنا نسمع أن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر . فاقلبوا له . فكنا نقول له ـ إذا أتانا بالحوائج ـ جزاك الله شراً وعسراً . فيضحك لذلك) .

وروى الجاحظ لبعض الأعراب ابياتاً حضّ فيها على الحلم والصفح عن الجهال ومنها :

(فأبق على جهـال قومك انه لكل حكيم موطن هو جاهله)

فالشاعر يحضّ الحكماء العقلاء على ملاينة الجهال والابقاء عليهم . ومعنى الابقاء عليهم رحمتهم وترك اخذهم بالعنف . وبهذه المناسبة نقل الجاحظ عن عمر انه قال : (استوصوا بالغوغاء خيراً : فانهم يطفئون الحريق . ويسدّون البثوق) اقول : ويروى بين الفقرتين (وينقذون الغريق) . لا جرم أن هؤلاء الغوغاء المنتشرين في الأسواق هم الذين يترامون على الحريق فيطفئونه . وعلى الغريق فينتشلونه . واذا انبثق ماء النهر على أهل الجوار اسرعوا الى سده . ويروى (ويشهدون السوق) مكان (ويسدون البثوق) وكأن احداهما محرفة عن الأخرى . ومعنى يشهدون السوق ـ ان صحت روايتها ـ ان العامة يشهدون مواطن البيع والشراء فاذا حصل أحياناً بين المتبايعين خلاف ونزاع ولكم وصراع ، ساعدوا اعوان القاضي والشُّرَط على معرفة أسرار النزاع فلا تفوت الشرطي معرفة الحقيقة من بين اقوالهم وثنايا شهاداتهم .

ولما اوشك الجاحظ ان يختم الرسالة أتى في خطاب الوزير بأبلغ ما يقال في الحسد وانه هو (اي الجاحظ) كثير الحساد بسبب الانتماء اليه كما انه كثير الخلان فقال :

وكنت امرءاً قليل الحساد حتى اعتصمتُ بعروتك . واستمسكتُ بحبلك ، واستذرأتُ بظلك . فتراكم عليَّ الحساد وازدحموا . ورموني بسهامهم من كل اوب وأفق . وتتابعوا عليَّ تتابع الدَبر على مشتار العسل . ولئن كثروا لقد كثر بهبوب ريحك إخواني . وبنضرة أيامك . وزهرة دولتك خلاّني . وانا كما قلتُ :

(فأكثرتَ حسادي وأكثرتَ خُلَّتي وكنتُ وحسادي قليلٌ وخلاني)

وهنا انتقل الجاحظ في الكلام عن الحسد الى حديث طريف ، في اسلوب مبتكر ظريف ، فسرد خبراً عن رفاق زاروه ، وخاضوا معه في بحث الحسد والحساد . وأستبعد أنا جداً أن يكون خبر هذه الزيارة وما تلاها واقعياً . إنما هو مخترع لظهور أثر الاصطناع والاعتمال فيه . فهو في اسلوبه وتأليف أجزائه أشبه بما ابتكره بديع الزمان الهمذاني وقلده فيه الحريري مما أسماه (المقامة) و (المقامات) . فيكون الجاحظ هو واضع هذا الفن أو غارس غرسته الأولى . فاستثمرها وقلدها بديع الزمان الذي عاش بعد الجاحظ بنحو قرن ونصف . وها نحن أولاء ننشر الخبر او (المقامة الجاحظية) بنصها الساذج وللقارئ حكمه عليها ورأيه في ما قلناه فيها :

قال الجاحظ مخاطباً الوزير عبيد الله بما نصه :

لما بلغت هذا الفصل من تأليف هذا الكتاب دخل عليَّ (عشرة نَفَر) من الكتّاب : قد شملهم معروفك ، ورفع مراتبهم جميل نظرك ، فهم من طاعتك والمحبة لك على حسب ما أوليتهم من إحسانك . وجزيل فوائدك . فأفاضوا في حديث من أحاديث الحسد ، فشعّب لهم ذلك الحديث شعوباً افتنوا فيها . والحديث ذو شجون . فما برحوا حتى أتتني رقعةُ أناسيَةٍ (أي اناس) من الحساد ، فيها سهام الوعيد . ومقدمات التهديد والتحذير والتخويف للطعن على ماأؤلف من الكتب ، إن أنا لم أضمن لهم الشركة فيما يُجرَى عليَّ . فدفعتُ رقعتهم الى من قرُب إليَّ منهم (أي من العشرة) فقرأها ثم قال الأول: قاتلهم الله أبظلمٍ يرومون النيل . ويلتمسون الشركة في المعروف . لنزْع الروح بالكلاليب . أهون من بذل معروف بترهيب . وأنشأ يقول:

(أما الحوادث من خليلك مثل جندلة المراجم)
(قد رامني الأعداء قبلك فامتنعت من المظالم)

ودفعها (أي الرقعة) الى من قرب منه فقرأها . وقال (الثاني): صكة جلمود . لكل مرعد حسود . يستمطر العرف بالتهديد ، خل الوعيد يذهب في البيد ، وأنشأ يقول :

(أبرق وأرعد يا يزيد فما وعيدك لي بضائر)

ودفعها الى (الثالث) فقرأها وقال : سألوا ظلماً . وخوفوا هضماً ، لقوا حرباً ولقيت سلماً . وانشأ يقول :

(زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشر بطول سلامة يا مربع)

ودفعها الى (الرابع) فقرأها . وقال : قولُ الذليل وبولُه سيان . وانشأ يقول :

(ما ضرّ تغلب وائل أهجوتها أم بلت حيث تناطح البحران)

ودفعها الى (الخامس) فقرأها . وقال: نهيق الحمار . ودم الأعيار ، جبار جبار . وانشأ يقول :

(ما أبالي أنبّ بالحزن تيس أم لحاني بظهر غيب لئيم)

ودفعها الى (السادس) فقرأها وقال : إذا علقتك الأمجاد . فليهن عليك الحساد . وانشأ يقول :

(إذا اهل الكرامة اكرموني فلا اخشى الهوان من اللئام)

ودفعها الى (السابع) فقرأها وقال : كيف يخاف الصرعة . من هو في ذي المنعة . وانشأ يقول :

(كم تنبحون وما يغني نباحكم ما يملك الكلب غير النبح من ضرر) .

ودفعها الى (العاشر)[1] فقرأها وقال : نوكى هلكى ، لم يعرفوا خبرك . ولا دروا أمرك . وانشأ يقول :

(فلو علم الكلاب بنو الكلاب بحالك عند سيدنا لذلوا)

(١) كذا في الأصل فلعل صوابه (الى الثامن) فيكون حذف من النفر العشرة اثنين

وعندي صديق لي من السُّوقة له أدب ، فقال لي بعقب فراغهم سِرّاً : إن هؤلاء الكتّاب قد أظهروا الاستخفاف بقول الحسّاد . وضربوا الأمثال في هوانهم عليك ، وعرفوا أنك في منعة من عزّ ابي الحسن - أطال الله بقاءه - ومعقل لا يُسامى ولا يُنال ، وأنا أقول بالتَّفقة :

(تَوَقَّ قوماً من الحسّاد قد قصدوا لحطّ قدرك في سرٍّ وفي علن)

فقلت له : إني اقول بيتين هما جوابك وجواب الحساد :

(إن ابن يحيى عبيدَ الله أمّنني من الحوادث بعد الخوف من زمني)

(فلست أحذر حسّادي وان كثروا ما دمتُ ممسكَ حبلٍ من ابي الحسن)

فلما رأى صديقي اقتفائي آثار الكتّاب ، باستهانتي بالحساد ، عند اعتلاقي حبائلك - أعزك الله - أنشأ متمثلاً بقول نصر بن سيّار :

(إني نشأتُ وحسّادي ذوو عددٍ يا ذا المعارج لا تَنْقُص لهم عَدَدا)

(إن يحسدوني على ما قد بنيتُ لهم فمثلُ حسنِ بلائي جرَّ لي الحسدا)

انتهت (مقامة) الجاحظ . وبعدها رجع الى مخاطبة الوزير وتعجبه من كثرة حسّاده عليه وسرد بعض الآثار والأخبار والأشعار التي قيلت في الحسد والحسّاد وشؤم حياتهم وسوء منقلبهم .

***

فرغنا من التعليق على (الرسالة الرابعة) في العداوة والحسد وعرض نموذجات من آراء الجاحظ وأفانينه فيها . ولنقبل الآن على شيء من ابحاثها اللفظية وما يتخللها من الفوائد اللغوية . من ذلك قوله :

ص ١٠١ وصف الجاحظ علماء الباطل الذين يلبسون لباس الزور وقال ان لهؤلاء أساليب بها (تستوي لهم الرياسة على طغام الناس ورعاعهم ويستخولوا رعاعهم وقومهم) رعاعهم الثانية محرفة في الغالب عن (زعمائهم) اي ان أولئك العلماء المبطلين بمخاريقهم واحابيلهم يتخذون من زعماء القوم خولاً وخدماً وحاشية لهم .

ص ٣ - السطر ٥ - قوله (خَلَق المأمون والحدم)(خلق) و(خلق) بمعنى واحد

يقال إياك والقَلَق والقَلَق والضجر والحدّة والغضب . فلا حاجة الى تصحيح إحداهما بالأخرى كما فعل المصحح .

وقوله (لم ير احداً يدب عن كتابي) صوابه (يذبّ) بالذال المعجمة أي يذود ويدافع .

ص ١٠٤ قوله : (بإزاء كل حاسد راهن) لعل صواب (راهن) (راحم) اي راحم يرحم الحاسد من فرط ما يعاني من لذع الحسد . فلا حاجة لما قاله المصحح .

وقوله (لن تعدم الحسناء ذامّا) بتشديد الميم اسم فاعل من الذم والمعنى ظاهر لكن الأشهر في المثل (ذاما) بتخفيف الميم والذام هو العيب . ويؤيده البيت الذي بعده :

(ولن تصادف مرعى ممرعا أبداً الا وجدت به آثار مأكول)

وعقب الجاحظ هذا البيت بقوله (يقال يعاب في كل حَسَن ويؤكل منه فيعيبه ذلك) فقوله (يقال) أي في تفسير معنى البيت وقوله (يعاب) محرف عن (يعاث) والعيث الافساد وقوله (في كل حَسَن) أي ان كل شيء حسن لا بد ان تنال منه الناس بما يشوهه ويفسده . لكن قوله بعده (ويؤكل منه) يرجح ان تكون كلمة (حسن) محرفة عن (حش) بتثليث الحاء وهو البستان ومجتمع النخل وهو المناسب لقوله في البيت (مرعى مُمرع) ثم استُعمل (الحش) مكنياً به عن المرحاض . قال صاحب القاموس في تعليل ذلك : (لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين) .

وقوله ص ١٠٨ (الا ان نار الحسد تلهبه : فيهذي هذيان المريض ويهمز همزان المعزى) في الأصل العنزى مكان المعزى فصححه المصحح بالمعزى ولو صححه بالعنز لكان أقرب (وهمز همزان) لا معنى له هنا ولا يقال في مصدر همز همزان وانما صوابه قفز قفزانا أو نقز نقزانا وكلاهما بمعنى وثب وثبانا . وفي الحديث عن عائشة أنها هي وام سلمة كانتا في وقعة (بدر أو أحد) تنقزان القِرَب اي تقفزان بها قفزاً لسقي الجرحى . والحسود اذا فوجيء بخبر من مباهج محسوده لا يملك نفسه عن ان يتحرك في مجلسه صُعُداً أو يمنةً ويسرةً لاضطراب نفسه وارتعاش

اعصابه . لكن الجاحظ بالغ مذ جعل هذه الرعشة قفزة كقفزة العنز .

وقوله (فان كان السيد نحريراً نقّاباً وتقريساً بليغاً) فسروا التقريس بالطبيب ومرادهم بالطبيب والطَبّ الحاذق في عمله ثم غلب على الحاذق في مداواة الأبدان وهذا كالنطاسي والنطّيس قال الشاعر :

(وقد أكون مرة نطّيسا طَبّاً بأدواء الصبا تقريسا)

وقوله ص ١١٠ (والحاسد الذي فيه تقيّة . ومعه مُسكة . وبه طَعم أو حياء) طعم الشيء حالته في المذاق طيباً او قبيحاً . وفي الأساس (ما فلان بذي طعم ولا طعم له اذا لم يكن مقبولاً) اي اذا لم يكن سائغ العشرة والحديث في مذاق الناس ، ثم شاع استعمال الطعم بمعنى النباهة والفطانة في الحديث ومعاملة الناس فكما يقال فلان ماله ذوق او لا يذوق يقال فلان لا يستطعم اي لا يذوق وقلما تقول فلان ما عنده طعم او ما به طعم اي ذوق لكن الجاحظ في عبارته السابقة استعمل (الطعم) بمعنى الذوق كما هو ظاهر السياق . ومعنى (معه مُسكة) اي رأي وعقل يُرجع اليه .

وقوله في وصف الحاسد الحاذق (ولا سيما ان كان جليساً لازماً . ومحدّثاً لا يريم) اشتهر التحديث بمعنى رواية احاديث النبوة ، والمحدث هو الذي يحفظها ويتقن روايتها ، اما الذي يروي أحاديث الناس فلا يوصف بالمحدث وانما يقال انه اخباري وراوية للأخبار لكن الجاحظ استعمل (المحدث) بهذا المعنى اي معنى الاخباري الذي يروي احاديث الناس ، ويجيد القاءها ، ويحسن التصرف في إيرادها ، ومن الغريب ان يعود اليوم هذا الاستعمال فيشيع على ألسنة الناس وقد سمعت فاضلاً بالأمس يقول ان جلالة الملك عبد العزيز بن سعود محدث عظيم ، والأمير شكيب ارسلان أيضاً محدث كبير ، ولا يريد الا أنهما حسنا الحديث ، غزيرا المادة في رواية الأخبار وسرد الوقائع بحيث يملكان على السامع نفسه واصغاءه .

وقوله (ص ١١١ سطر ٨) (راجع وكان بدر منه عن وهم وخطأ) صوابه راجع ما كان بدر منه الخ .

وقوله (ص ١١٤ سطر ٥) (وأوكدوا قولَ القائل) نبه بعضهم في عثرات الأقلام على أنه لا يستعمل فعل (وكَّد وأكَّد وأوكد) الا في الأيمان والعهود والمواثيق كما ورد في القرآن «فلا يقال أوكد لك الخبر ولا أوكد لك قولي» . لكن الجاحظ في عبارته المذكورة استعمل هذا الفعل مع القول فقال (وأوكدوا قول القائل) اي ان حذاق الحساد في إسكاتهم صاحب الغيبة وعدم نهيهم له عنها انما كانوا مؤكدين ومثبتين قوله . فاستعمال الجاحظ هذا يصح ان يعتبر بمنزلة روايته له وان لم تذكره المعاجم .

وقوله ص١١٦ (حر ان ليس على التراب براقد) صوابه (على الترات) جمع ترة وهي الثار

وقوله (ان المصيبات تنزع السجيات) السجية الطبيعة ويمكن ان نجد معنى لقوله ان المصائب اذا نزلت غيرت الطبائع ، وبدلت الأخلاق ، غير ان السياق يدل على غير هذا المعنى : يدل على ان المصائب تسل الضغائن من الصدور . فالسجيات اذن محرفة عن (السخيات) جمع سخيمة وهي الضغينة وجمعها على (سخائم) اكثر وأشهر .

وقوله :

(اذا المرء ذو القربى وذو الجند أجحفت　　به سنةٌ سلت مصيبته جعدي)

وما قلناه آنفاً نقوله هنا من أن السياق يدل على ان صواب (ذو الجند) (ذو الحقد) وصواب (جعدي) (حقدي) اي اذا نزلت مصيبة بقريبي الحاقد عليّ زال الحقد من صدري عليه .

وقوله ص ١١٧ :

(وان اكتسى ثوباً نسيساً لم أقل　　يا ليت ان عليّ حسن ردائه)

صوابه (ثوباً قشيباً) .

وقوله بعده :

(واذا تخرق في غناه وقرته　　واذا تصعلك كنتُ من قرنائه)

التخرق كناية عن الاسراف في الجود كأن الكف تتخرق فلم تعد تمسك مالا .

وقوله (وقرته) بالقاف لا معنى له يناسب هنا . وصوابه (وفرته) بالفاء اي اذا استغنى ابن عمي واسرف في الجود على الناس أتجنبه وأوفر عليه ماله فلا أسأله ولا ارزؤه وعلى عكس ذلك اذا افتقر فاني الزمه وأواسيه . وكان عبد الله بن مروان يقول ـ اذا سمع هذه الأبيات ـ هذا والله من شعر الأشراف .

وص ١١٨ ذكر أبيات النابغة الجعدي التي أنشدها بين يدي النبي (ﷺ) ومنها في صفة خيلهم في الحرب :

(وليس بمعروف لنا ان نردها صحاحا ولا مستنكرا ان نعفرا)

نعفر بالفاء من العفر وهو التراب اي لا ترد خيلنا صحيحة بل معفرة وممرغة في التراب . وهو حسن ولكن الأحسن منه والأصوب (ان نعقرا) بالقاف اي لا نردها صحيحة الأعضاء بل نردها معقورة ـ من كثرة ما طعنت بالرماح وضربت بالسيوف . و (العقر والتعقير) الجرح وأن تقطع قوائم الفرس بالسيف .

وقوله من أبيات الفند الزماني :

(فلما صرخ الشرُّ وأمسى وهو غرثان)

صواب (صرخ) بالخاء المعجمة (صرّح) بالحاء المهملة اي ظهر وانكشف للعيان . و (غرثان) اي جوعان وهو خطأ صوابه وهو (عريان) بالعين المهملة وبالياء كناية عن ان الشر لا ستر عليه . وهو يؤيد رواية (صرح) كما ان رواية (صرح) تؤيده .

وقوله منها : (بضرب فيه توهينٌ وتضجيعٌ واذعانُ)

(وبعض الحلم عند الجهـل للذلة إذعانُ)

(اذعان) الأولى صوابها (إرنان) وهو الصياح . و (ضجّع) في الامر اذا قصر فيه ولا يناسب هنا فصوابه (تفجيع) ويروى (تخضيع) .

وص ١١٩ قوله (بقافية تفرى العروق فحسم) صوابه (تفرى) بالفاء اي تقطع .

وص ١٢١ قوله (لنزع الروح بالكلاليب - أهون من بذل معروف بترهيب) هذه العبارة قالها احد العشرة الذين بنى الجاحظ (مقامته) على أقوالهم وقد ذكرناها

بنصها آنفاً وهي تصور لنا كيف كان سفهاء أدباء العصر العباسي يهددون نبلاء الكتاب بالحط من مؤلفاتهم وأشعارهم وآثارهم اذا هم لم يشركوهم في الجائزة والمعروف . وهذا التهديد يسمى في أدب الافرنج شانتاج chantage وقد مرت الاشارة اليه في الكلام على الرسالة الثالثة (في الجد والهزل) وقلنا ثمّ ان المرحوم الأب أنستاس وضع كلمة (تشنيج) وهو التشنيع نفسه غير ان الجاحظ في (مقامنه) هذه استعمل كلمة (ترهيب) فهي اذن أولى بالاستعمال وأجدر بان تحل محل كلمة (chantage) . بقي انه لا يقال في اللغة (رهّبه) وانما يقال (أرهبه) اذا خوفه و (ترهّبه) اذا هدده وتوعده . ومصدره الترهّب فما للجاحظ يقول (ترهيب) ؟ ولنا ان نقول ان ما قاله الجاحظ بمنزلة ما رواه وهو موثوق في اللغة مأمون على ألفاظها . أو يقال انه استعملها لضرورة سجعة (كلاليب) وقد نصوا على جوازه في الشعر فهل يجوز في السجع يا ترى ؟ وعلى هذا لا يجوز لنا استعمال مصدر (الترهيب) الا لضرورة او مزاوجة فيقال مثلاً (بالغ الأمير في ترغيب القوم وترهيبهم) ولا يصح ان يقال (بالغ في ترهيبهم) وحدها وانما يقال (بالغ في التوعد والترهّب) ويشهد لجواز استعمال الترهيب في مقام المزاوجة ما درج عليه السلف من تسمية كتبهم (بالترغيب والترهيب) فابن زنجويه (المتوفى سنة ٢٤٨ هـ) له كتاب بهذا الاسم ومثله ابو القاسم الاصبهاني (المتوفى سنة ٥٣٥ هـ) ومثلهما ابن عبد القوي (المتوفى سنة ٦٥٦ هـ) .

وفي ص ١٢٢ : يخاطب الجاحظ الوزير بقوله (وليس العجب ان يكثر حسادي وانا أنعق بمحاسنك واهتف بشكرك) النعيق صياح الراعي بغنمه وصياح الغراب ولا يكاد يستعمل في غيرهما الا بقصد السخرية، نعم جاء في الأساس (نعق المؤذن . وسمعت نعقة المؤذن ونَعَقاته) فهو اذن استعمال سائغ . والأوقع في نفوسنا اليوم ان يقال : (وانا أشيد بمحاسنك او أشدو بمحاسنك او أنوه بمحاسنك) .

انتهى ما اليه قصدت من الكلام على رسائل الجاحظ الأربع والبحث في بعض ماتدعو الحاجة اليه من مطالب اللغة والانشاء وصياغة الكلام ونسأله تعالى حسن الختام .

المغربي

(استدراك) قلنا آنفاً ان الجاحظ (المتوفى سنة ٢٥٥ هـ) قد يكون اول من ابتكر فن المقامات . وأذكر انني كنت منذ بضع عشرة سنة وأنا أطالع أمالي ابي علي القالي — رأيت في (أحاديث) يرويها صاحب الأمالي عن ابن دريد (المتوفى سنة ٣٢١ هـ) ما يشبه ان تكون (أي تلك الأحاديث) مرتجلة لا مسبوقة وموضوعها خيالي لا واقعي وان ابن دريد وضعها من عند نفسه ليكون لشداة الأدب فيها متعة من لغة أو خبر أو عظة أو فكاهة . خطر لي هذا ودونته في مفكرتي لأبني عليه مقالاً او محاضرة وبعد مدة من الزمن ذاكرت بذلك زميلي الأستاذ خليل بك مردم بك فاذا هو يقول : إن له بحثاً في ان البديع الهمذاني هل استقى طريقة مقاماته من أحاديث ابن دريد في الأمالي أو من غيره ؟ وان بحثه هذا نشره في مجلته (الثقافة) سنتها الأولى . فاغتبطت لهذا التوارد . ثم قرأت في مجلة (الرسالة) مناظرة طويلة الذيل بين الأستاذين : ذكي مبارك والسباعي بيومي حول موضوع أحاديث ابن دريد وهل كانت نواة لمقامات البديع أو لا ؟ وقد أثير غبار مثل هذه المناظرة في مجلة الأصداء الدمشقية بين الأستاذين جميل سلطان ومحمد خلف الله الأديب المصري وكان إذ ذاك نزيلاً في دمشق .

المغربي

نفائس المخطوطات العربية

في المشهد الرضوي المطهر

- ٢ -

(ج) الفلسفة والكلام والمنطق

(١٨) اثبات واجب الوجود تعالى

لشمس الدين محمد بن احمد الخفري الشيعي (- ١٠١٥) وكان من كبار مؤلفي الشيعة في الفقه والحكمة والرياضيات . وقد اضطرب بروكلمان في كتابه GAL في اسمه فني ١/٥٠٩ يسميه (الخضري) [بالخاء والضاد] ثم يسميه ١/٥١١ [الحفري بالحاء المهملة والفاء] حين يذكر شرحه على تجريد العقائد للنصير الطوسي . ثم يعود في الذيل ١/٩١٣ فيسميه باسمه الخضري (بالضاد) والصواب ما أثبتناه نسبة الى الخفر وهي بليدة معروفة في ايران اسمه (خپر) بالباء المثلثة وربما قالوا في تعريبها أيضاً (خبرى) كما يقولون (خفرى) .

ولا يذكر بروكلمان من كتب الخفري غير شرح التذكرة النصيرية ، ورسالة واجب الموجود ، وتعليقات على الشرح الجديد للنصير الطوسي ، مع ان صاحب روضات الجنات يذكر انه الف ثلاثة كتب في اثبات الواجب كبير ووسيط وصغير .

والنسخة الموجودة في ٣٤ ورقة ولعلها الكتاب الصغير ، واولها « الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين و ... » وآخرها « تمت الرسالة المملوءة بالحقائق والدقائق لأستاذ المحققين والمدققين شمس الملة والدنيا والدين محمد الخفري غفر الله له في الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة احدى وتسعين وتسعمائة » وهي مكتوبة بقلم نسخي وقفها نادر شاه سنة ١١٤٥ ورقمها (٧) كلام .

وفي الخزانة نسخة اخرى رقمها (٨) ويليها رسالة «حسرة الفضلاء في الرد على ابن كمونة واولها «الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد ...» وآخرها «... ولما كان مبحث العلم بحراً عميقاً لا ساحل له اقتصرنا على ما ذكرنا والحمد لله على أفضاله» وهي في ٥٣ ورقة .

(١٩) مصارع المصارع

لمحمد بن حسن نصير الدين ابي جعفر الطوسي المؤلف المشهور بالخواجه نصير وافضل العالم وصاحب المؤلفات الكثيرة (٣٨٥ — ٤٦٠ هـ)[1] .

وقد رد في كتابه هذا على كتاب «المصارع» او «المصارعات» لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني الذي انتقد فيه بعض أقوال ابن سينا وآرائه وأول النسخة : «الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين ...» وهي مكتوبة بخط نسخي جيد في سنة ١٠٢١ نقلت عن نسخة قديمة مكتوبة في سنة ٧٠٧ . وقد وقفها الملك نادر شاه على خزانة الضريح الرضوي في سنة ١١٤٥ ورقمها ٢٦٧ كلام . والكتاب نفيس قيم جدير بالطبع .

(٢٠) كتاب اثولوجيا .

لأرسطو الحكيم بتفسير فورفوريوس الصوري . وقد ترجمه الى العربية عبد المسيح بن عبد الله بن الناعمة الحمصي . ثم اصلح الترجمة بعده ابو يوسف يعقوب ابن اسحق الكندي للأمير احمد بن الخليفة المعتصم بالله العباسي .

والكتاب معروف باسم «الميامر او الياميمر» ومعناها بالسريانية «المحاضرات» وهو مؤلف من مقدمة وعشرة ميامير وأوله «أما بعد اذ قد صح وبان ان النفس ليست بجرم وانها لا تموت ...» وآخرها «... لأنها قد لبست صوراً كثيرة فهي خفية تحتها لا ينالها شيء من الحواس» .

والكتاب في ٢٠٢ ورقة وقفه نادر شاه وهو مكتوب بقلم عادي في سنة ١٠٧٠

(١) بروكلمان الذيل ١/٢٨٩ رقم (m ٢٢) .

ورقه (١٤) كلام[1]. ومن الكتاب نسخة في خزانة المجلس النيابي في طهران رقمها ٤١٣٩ وفي خزانتنا نسخة جد نفيسة منه ربما اتينا على وصفها بتفصيل ان شاء الله .

(٢١) السماء والعالم

لأرسطو وقد ترجمه الى العربية مهران بن منصور المسيحي الذي كان حياً في سنة ٥٥٣ . والنسخة قيمة اولها « قال الحكيم اذ جعل المعرفة بالطبيعة .... » وآخرها « .. فقد لخصنا الآن الثقيل والخفيف والاغراض العارضة فيها وميزناهما وقلنا فيهما قولاً مستقصياً شافياً على هذا المذهب والحمد لله على ذلك كثيراً . تمت المقالة الرابعة من كتاب ارسطو في السماء والعالم وبتمامها تم الكتاب والحمد لله والمنة كما هو اهل » . وقد ذكر ارسطو في هذا الكتاب فلسفته في الأجسام البسيطة . وهي مكتوبة بقلم نستعليق حسن جداً وقد وقفها نادرشاه في سنة ١١٤٥ ورقمها (١٤٩) حكمة . ومن الكتاب نسخة اخرى في مجموعة رقمها (٨٠) في خزانة المجلس النيابي في طهران .

(٢٢) كتاب « التلويحات » او « اللمحات »

للشهاب ابي الفتوح يحيى بن حبش بن اميرك السهروردي الصوفي المقتول بحلب وصاحب الشطحات والتأليفات ومن اشهرها « حكمة الاشراق » (— ٥٨٥[2]) والنسخة حسنة اولها « السبحات لجلالك اللهم يا قيوم افض علينا من عظائم بركاتك ويسر لنا العروج الى عروش قدسياتك ... وبعد فان هذه اللمحات في الحقائق على غاية الايجاز ولم اذكر فيها غير المهم من العلوم الثلاثة ... العلم الاول المنطق ... »

وآخره « ... لا تبذلن العلم واسراره الا لأهله واتق شر من احسنت اليه من اللئام فلقد اصابني منهم شدائد واذكرنا في صالح دعائك ووفقنا الله واياك رحمنا وآوانا انه سيدنا ومولانا ولواهب العقل حمداً غير متناه » .

---

(١) بروكلمان ٢٠٤/١ و ٢٠٥ والذيل ٣٦٤/١ و ٣٧٢ .

(٢) انظر بروكلمان ٤٣٧/١ والذيل ٧٨٢/١ .

والفيلسوف سعد بن منصور المشهور بابن كمونة اليهودي شرح على هذا الكتاب لم نعثر عليه . وعدد اوراق النسخة (٣٨) ورقمها (٥٣) .

وفي خزانة مكتبة المجلس النيابي بطهران نسخة مكتوبة سنة ٦٠٧ في ملاطية اي بعد نحو اثنتين وعشرين سنة من وفاة المؤلف ولكنها مخرومة الأول . ورقمها ٦٩٣٢

(٢٣) «منطق العين» او «حكمة العين في المنطق»

لنجم الدين علي بن عمر بن علي القزويني الكاتبي المشهور بدبيران تلميذ نصير الدين الطوسي ومؤلف رسالة «الشمسية» في المنطق وغيرها من الكتب القيمة (— ٦٧٥/٦٩٣)[1]

وهي رسالة في المنطق على ترتيب رسالته المشهورة «الشمسية» مؤلفة من مقدمة وثلاث مقالات وخاتمة ، ولكنها أوسع تفصيلاً اولها «قال مولانا افضل المتأخرين سلطان المحققين نجم الملة والدين .... » وهي مكتوبة بخط الشيخ ابي الغنائم الحسين بن احمد بن ابي الفضائل بن محمد سنة ثمان وثمانين وستمائة ، اي في عصر المؤلف وهي جد قيمة لضبطها وتصحيحها على عدة نسخ قيمة وعدد أوراقها (٥٥) ورقمها (١٦٤) منطق .

وفي خزانة المجلس النيابي شرح على حكمة العين لشمس الدين محمد بن مبارك شاه البخاري رقمه ٦٩٣١ ، وحاشية او تعليقات عليها اسمها «كشف الغين عن شرح حكمة العين» لشمس الدين محمد بن مباركشاه الفه قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي رقمها (١٣٩) .

(د) التصوف

(٢٤) «الشطحيات» او «منطق الأسرار ببيان الأنوار»

لصدر الدين ابي محمد روزبهان بن ابي النصر الفسوي الشيرازي البقلي الكازروني الصوفي المشهور بالشيخ الشطاح . وقد أقام مدة في الاسكندرية واهتم فيها بنشر التصوف والعرفان ثم رجع الى بلاده وأقام في شيراز يعظ الى ان هلك فيها (— ٦٠٦)[2]

(١) بروكلمان ١/٤٦٦ والذيل ١/٨٤٥ (٢) بروكلمان ١/٤١٤ والذيل ١/٧٣٤

والنسخة جد قيمة ونادرة تعين على فهم كثير من أسرار الصوفية وحقائق مذهبهم اولها «الحمد لله الذي تقدس بسبحات جمال جبروته ....» وهي في ١٤٧ ورقة وقفها الملك نادر شاه سنة ١١٤٥ . ورقمها ١٥٦ تصوف وعرفان .

(٣٥) محاسن المجالس

لأبي العباس احمد بن محمد بن موسى الصنهاجي الماري الأندلسي المشهور بابن عريف[1] . ولد في المرية سنة ٤٨١ ومات في مراكش سنة ٥٣٦ وكان من أكابر الصوفية الأندلسيين وحكمائهم وقد بقي من آثاره هذا الكتاب ويسمى أيضاً النفائس ومحاسن المجالس وشبكات الألباب ومطالعات الأحباب .

والنسخة جد نفيسة ترجع الى القرن الثامن أو السابع ذكر فيها طرفاً من أخبار الصوفية وآدابهم وتعاليمهم . وهي من أمهات كتبهم كتبت بخط نسخي حسن في ٤٣ ورقة وقفها امين خاتون ورقمها ١٠٩ أدبيات .

(هـ) اللغة وعلوم العربية

(٣٦) جواهر النحو

لأبي علي الحسن بن احمد (بن محمد) بن عبد الغفار الفارسي الفسوي (نسبة الى فسا وهي تعريب پسا) بليدة في (اقليم فارس) ، الامام النحوي الأشهر صاحب التآليف الكثيرة وأستاذ بعض كبار الرجال مثل ابي الفتح بن جني وعلي بن عيسى الشيرازي وعضد الدولة البويهي . ومن اشهر كتبه (الايضاح في النحو) و (المقصور والممدود) و (الحجة في علل القراءات) و (التكملة في النحو) ولد بفسا سنة ٢٨٨ واقام ببغداد وحلب عند سيف الدولة في سنة ٣٤١ وجرت بينه وبين المتنبي مجالس ومات ببغداد سنة ٣٧٧ ودفن بالشونيزي[2] .

والجواهر من كتب النحو النادرة بحث فيه عن الأسماء وتصريفها وعللها

---

(١) ابن خلكان رقم ٤٧ وبروكلمان ١/٤٣٤ والذيل ١/٧٧٦ .

(٢) بروكلمان ١/١١٣ والذيل ١/١٧٥ .

وأوله « الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ... » وآخره مخروم ينتهي عند أول باب العدد . وهو في ٣٠ اورقات وقفه الخواجه شير احمد ورقمه ١٩ صرف ونحو .

(٢٧) المقدمة الكافية في علم العربية

لأبي الحسن طاهر بن احمد بن ادريس المشهور بابن بابشاذ [1] النحوي الجوهري الديلمي الامام في العربية وعلومها . ومن آثاره المقدمة في النحو وشرحها ، وشرح جمل الزجاجي (— ٤٦٩) [2] .

والمقدمة من أمهات كتب العربية التي تدوالتها الناس شرحاً وتعليقاً كما ذكر بروكلمان وهي في عشرة أبواب .

والنسخة حسنة الخط مكتوبة بقلم نسخي جيد ترجع الى القرن السادس او السابع واولها « قال الشيخ العالم ابو الحسن طاهر بن احمد بن بابشاذ النحوي الجوهري الحمد لله رب العالمين .... » وعدد اوراقها (٢٩) ورقمها (١٤٣) صرف ونحو .

(٢٨) التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن

لعبد الواحد ابي المكارم كمال الدين بن عبد الكريم بن خلف الانصاري الزملكاني ابن خطيب زملكا قاضي صرخد (— ٦٥١) [3] .

نسخة حسنة اولها « بسملة الحمد لله الذي اشرقت بسناء محامده في سماء المعاني من شموس البيان أنجم وبدور ... » وهي في ١٦٠ ورقة وقفها ابن خاتون سنة ١٠٦٧ ورقمها (٤) معاني وبيان . وفي الخزانة نسخة اخري منها رقمها (٥) معاني وبيان .

(٢٩) الاعجاز في الاحاجي والألغاز

لأبي المعالي سعد بن علي بن القاسم الوراق الحظيري الشاعر المعروف بدلال الكتب (— ٥٦٨) [4] صاحب (زينة الدهر) ذيل دمية القصر للباخرزي ، و(ملح الملح) .

---

(١) كلمة فارسية تعريبها (سرور الأب) .

(٢) انظر بروكلمان ١/٣٠١ والذيل ١/٥٢٩ .

(٣) انظر طبقات الشافعية للسبكي ٥/١٣٧ وبغية السيوطي ٣١٦ وشذرات الذهب ٥/٢٥٤ وبروكلمان ١/٤١٥ والذيل ١/٧٣٧ .

(٤) ارشاد ياقوت ٤/٣٢٣ وابن خلكان رقم ٤٠٥ وخزانة الأدب ٣/١١٨ وبروكلمان ١/٢٤٨ والذيل ١/٤٤١

والكتاب من أقدم كتب الأحاجي والألغاز في العربية اوله « بسملة الحمد لله الذي احتجب لافراط نوره ... » وقد عدد فيه طرفا من انواع البديع ، وسرد كثيراً من الألغاز قديمها وحديثها وهو في (٣٠٠) ورقة ورقمه (٢) اديبات .

(٣٠) فتيا فقيه العرب ، ويسمى أيضاً ، كتاب المسائل

لأبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا بن حبيب القزويني الهمذاني اللغوي الأشهر وأستاذ البديع والصاحب بن عباد والخطيب التبريزي المتوفى في الري[1] (— ٣٩٥/٣٩٠) ومن آثاره المهمة الباقية (مقاييس اللغة) ومنه عدة نسخ في خزائن ايران ، و (ذم الخطأ في الشعر) . و (كتاب الثلاثة)[2] .

والكتاب يبحث في بعض المسائل اللغوية المشكلة ونسخته حسنة الخط وعدد أوراقها (١٥) ورقمها (٨٤) أدبيات .

(٣١) آفة أصحاب الحديث

لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد البكري الحنبلي المشهور بابن الجوزي الامام الأشهر صاحب التآليف الجمة القيمة (— ٥٩٧) .

وهو كتاب ذكر فيه طرفاً من أغلاط المحدثين اللغوية وتحريفاتهم ، وله من هذا القبيل كتاب « مختصر تقويم اللسان » ومنه نسخة في خزانة مسجد سپهسالار بطهران .

ورسالة « آفة اصحاب الحديث » من الرسائل الممتعة في بابها . اولها « الحمد لله الذي فاوت بين الأفهام والعقول ورزقنا بفضله فهم المنقول والمعقول ... » وآخره « ... ولولا ما قصدته من امانة الحق للمبتدئين لكان الاضراب عن اجابة الجهال أولى » والنسخة مكتوبة بقلم نسخي حسن في (١٩) ورقة وقفها الملا علي گل منشي الاسترابادي ورقمها (٣٤) أخبار .

(١) فتشت كثيراً - أثناء اقامتي في طهران - بين القبور المعروفة (في الري) فلم اعثر على قبره .

(٢) انظر بروكلمان ١/ ١٣٠ والذيل ١/ ١٩٨ والكنى والألقاب ٢/ ٢٦٠

(و) الأدب والشعر

(٣٢) سلوان المالك في تدبير الممالك

للشهاب احمد بن محمد بن ابي الربيع الأديب العالم، وكان من رجال الخليفة المعتصم بالله العباسي وله آثار (٢١٨ — ٢٧٢)[1].

وهو كتاب لطيف ألفه على طريقة التشجير على نمط تقويم الأبدان، وتقويم البلدان وأوله «الحمد لله الذي خلق الانسان في احسن تقويم وعدله ...» وهو في ثلاثة فصول جمع فيه ضروب الأخلاق والسياسات الخاصة والعامة وقدمه للخليفة المعتصم وآخر النسخة مخروم وهي في (٤٣) ورقة مكتوبة بقلم نسخي وقفها ابن خانون ورقمها (١) اخلاق . وفي مكتبتي نسخة جد نفيسة من هذا الكتاب حسنة التذهيب والخط .

(٣٣) فحول الشعراء

لأبي تمام الطائي حبيب بن اوس الشاعر الأشهر (١٩٠/٢٣٢ هـ) من المعروف ان لأبي تمام : الحماسة المشهورة، ومختار اشعار القبائل، وفحولة الشعراء او فحولهم . وقد ذكر هذا الآمدي في الموازنة بين الطائيين .

وفحول الشعراء هذا ديوان في (١٩٣) ورقة سلك فيه مسلك الحماسة فرتبه على الأبواب التالية : باب الاضياف فباب السخاء فباب الأدب فباب المراثي فباب النسيب ثم باب الهجاء .

والنسخة جد نفيسة خطها قديم يرجع الى القرن الخامس . وهذه النسخة هي الفريدة من نوعها فيما يذكر بروكلمان[2] . ولم ار نسخة غيرها فيما اعرف من دور الكتب . ورقمها (٨٣) أدبيات .

(٣٤) الكفاية في علم الكتابة

لعل المؤلف هو كاتب النسخة علي بن عمر بن علي (؟)

---

(١) انظر بروكلمان ١/٢٠٩ والذيل ١/٣٧٢ (٢) انظر بروكلمان

وهي رسالة في آداب الكتابة ومعرفة كيفية كتابة الشروط والسجلات والوثائق والعقود وما اليها . ولم يذكرها صاحب كشف الظنون ولا بروكلمان .

وأولها « الحمد لله الذي قدر المقادير على ما يشاء ....» وهي في (١٠٢) ورقة وقفها الخواجه شير احمد ورقمها (١٠١) أدبيات .

(٣٥) نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

جمع الشريف السيد الرضي (٣٥٩ — ٤٠٦)

الكتاب معروف ومشهور ولكن النسخة نفيسة في خطها وتذهيبها وضبطها وتجليدها . فقد كتبتها يدا قبلة الخطاطين والكتاب ابي الدر ياقوت المستعصمي في سنة ٧٠١ هـ . على ان اهلوارد المستشرق الألماني مؤلف فهرست كتب خزانة برلين يذكر ان في تلك الخزانة نسخة من « مختار جامع الأصول في أحاديث الرسول » كتبها سنة ٦٩٢ . وان ياقوتا مات في سنة ٦٩٨هـ و١٢٩٨م . وفي خزانة المجلس النيابي نسخة من الكافية النحوية لابن الحاجب بقلم ياقوت كتبها سنة ٦٩٠ . وفي خزانة المشهد الرضوي أيضاً مصحف شريف كتبه ياقوت نفسه في سنة ٧٠٤ .

والنسخة مكتوبة بالقلم النسخي البديع ، وعناوين الخطب والرسائل والمواعظ مكتوبة بالقلم الجلي . والأوراق كلها مجدولة بالذهب واللازورد . وفي صدر النسخة لوحتان مذهبتان حسنتا التذهيب وعدد اوراقها (٢٣٩) ورقمها (٢٩١) أخبار .

وفي خزانتنا ثلاث نسخ من النهج احداها قديمة العهد ترجع الى القرن السادس .

(٣٦) تحقيق البيان

للحسين بن محمد بن المفضل المشهور بالراغب الاصفهاني ، صاحب المفردات في غريب القرآن ، والمحاضرات ، والذريعة الى مكارم الشريعة وغيرها من الكتب القيمة (— ٤٥٢)[1] . ولم أر من أشار الى هذا الكتاب فيمن ترجمه .

(١) البيهقي في تاريخ حكماء الاسلام طبعة كرد علي ص ١١٢ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى ٦٨٣/١ والسيوطي في البغية ٢٩٦ وروضات الجنات ٢٩٤ . وبروكلمان الذيل ٥٠٦/١

والكتاب فريد وجد نفيس في موضوعه فيه أمور في اللغة والعربية والأخلاق والحكمة ولكن أوله مخروم . يبدأ هكذا « في صوره المختلفة وذلك ظاهر من خبر جبرائيل واتيانه النبي صلى الله عليه وسلم تارة ....» وآخره « ذكر الطريق المتوصل بها الى المعارف . المعارف ضربان ...» .

والنسخة مكتوبة بقلم نسخي في سنة ٦٧٩ هـ وقفها ابن خاتون سنة ١٠٦٧ عدد أوراقها (١٦٩) ورقمها (٥٦) أدبيات .

(٣٧) الحجة في سرقات ابن حجة

لشمس الدين محمد بن حسن بن علي بن عثمان النواجي القاهري الشافعي مؤلف حلبة الكميت والطراز الموشى وغيرهما من الكتب الأدبية (٧٨٥ — ٨٥٩) [1] وكان شاعراً أديباً كثير التأليف .

والكتاب رد فيه على سرقات ابن حجة تقي الدين ابي بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأديب الشاعر صاحب ثمرات الاوراق وغيرها (٧٧٦ — ٨٣٧) . وقد نظم بديعية مدح بها الرسول المصطفى وشرحها في كتاب سماه خزانة الادب ذكر فيه أشياء كثيرة . والنواجي ينتقد في حجته هذه كتاب الخزانة ويبين ما فيه من عوار وسرقات .

والنسخة جد نفيسة بخط المؤلف أولها « الحمد لله الذي امرنا ان نؤدي الأمانات الى أهلها ....» وقد أتم تأليف هذا الكتاب سنة ٨٣٠ في دمياط كما يظهر من آخر النسخة . وهي في (١٣٦) ورقة . وقفتها السيدة تاج ماه يسكم في سنة ١٢٦٢ ورقمها (٢٠) أدبيات .

(٣٨) ربيع الأبرار فيما يسر الخواطر والأفكار

للامام جار الله ابي القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري (٤٦٧ — ٥٣٨) المدفون بجرجانية خوارزم .

---

(١) انظر حسن المحاضرة ١/٣٣ والخطط الجديدة ١٧/١٣ والضوء اللامع للسخاوي ٧/٢٢١ وشذرات الذهب ٧/٢٩٥ والبدر الطالع للشوكاني ٢/١٥٦ وبروكلمان ٢/٥٦ والذيل ٢/٥٦

والنسخة قيمة قديمة الخط في مجلد واحد اولها «الحمد لله الذي استحمد الى عباده ....» وآخره «... فلا يبقى عقرب حتى تبعته والله سبحانه اعلم .»

وقد وقف النسخة الحاج ميرزا موسى خان سنة ١٢٦١ وعدد أوراقها (٤٧٠) ورقها (٥٣) أدبيات .

(ز) كتب الطب

(٣٩) تقويم الأبدان في تدبير الانسان

لأبي الحسن علي بن يحيى بن عيسى بن جزلة الطبيب البغدادي المشهور (— ٤٩٣) الكتاب من أشهر كتب الطب وربما سمي منهاج الدكان في تدبير الأبدان أيضاً . والنسخة نفيسة جداً كتبت في سنة ٧٣١ واولها «الحمد لله الذي خلق فسوى ....» وهي على شكل جداول في (١٠٠) ورقة وقفها الملك نادرشاه افشار ورقمها (٢٥) طب .

وفي خزانتي نسخة قيمة قديمة من هذا الكتاب .

(٤٠) التعاليم في الطب

لمحمد بن علي بن عبد الله بن احمد المصري المشهور بزين العرب المتطبب — (؟) والكتاب مؤلف من اربعة تعاليم (١) في كليات الطب الجزئية العملية والعلمية وهو مقالتان (٢) في الأغذية والأشربة والأدوية المفردة والمركبة (٣) في الأمراض المتخففة من الرأس الى القدم مع ذكر الأسباب والعلامات والمعالجات (٤) في الأمراض العامة وأسبابها وعلاماتها ومعالجاتها .

وقد تم تأليف الكتاب في مدرسة الأمير شيخو بالقاهرة في احدى وستين وسبعمائة - والنسخة منقولة عن نسخة المؤلف المكتوبة في تلك المدرسة في سنة احدى وسبعين وسبعمائة واولها «الحمد لله القادر المصحح الحكيم ....» وهي في ٣٥٣ ورقة مكتوبة بقلم نسخي عادي ورقمها (٣٦) طب .

(١) انظر بروكلمان ١/١٩٢ والذيل ١/١٢ .

(٤١) شرح الكناش في الطب الذي ألفه جورجيس بن بختيشوع الطبيب الجنديسابوري طبيب ابي جعفر المنصور .

لأبي يزيد صهاربخت احد تلاميذ المؤلف .

والنسخة حسنة قديمة الخط ترجع الى القرن الخامس او السادس . واولها (الحمد لله الذي لم يزل أبدياً بغير بدء ...) وهي في ٩٤ ورقة ورقمها (٧٩) طب .

(حـ) الموسيقى

(٤٢) الرسالة الفتحية في الموسيقى

لمحمد بن عبد الحميد اللاذقي

رسالة لطيفة ألفها للسلطان بايزيد بن محمد خان العثماني . وهي مؤلفة من مقدمة وطرفين وأولها « الحمد لله الذي أذاقنا حلاوة الحان عنادل ورد جماله .... » وآخرها « ... وان كان بالعكس يسمى قبل . تمت الرسالة الفتحية

وهي مكتوبة بقلم مصطفى المكي في سنة ٩٥٧ ولعلها مكتوبة في عصر المؤلف عدد أوراقها ١٣٧ ورقمها (١٤٢) رياضي .

اسعد طلس

مجموع خطي

دخل هذا المجموع في خزانتنا سنة ١٩٣٩ . وقد اقتنيناه في بغداد من بعض باعة الكتب . وهو صغير الحجم ، يبلغ طوله ٥ر١٥ سنتمتراً بعرض ٩ سنتمترات ويتألف من ٨٨ ورقة ، وتختلف أسطر صحائفه بين ١٢ و ١٧ سطراً . وخطه مختلف ، فيه النسخي وفيه التعليق . وهذا وصف الرسائل التي يضمّها بين دفتيه :

١ — رسالة في النقود والموازين والمكاييل

(الورقة ١ — ٣٠) . لا نعلم مؤلفها . فان أولها مخروم ، ربما سقط منه ورقتان أو ثلاث . وتتألف الرسالة من اثني عشر باباً ، وثلاثين فصلاً ، وخاتمة . وهذه عناوين الموجود منها :

الباب الثاني : في بيان صاع النبي (ﷺ) .
" الثالث : في الصاع المشهور .
" الرابع : في بيان المُدّ .
" الخامس : في بيان الرطل العراقي .
" السادس : في بيان الرطل المدني .
" السابع : في بيان الوَسْق .
" الثامن : في بيان أول نصاب الغلات .
" التاسع : في بيان نصاب الذهب وما يجب فيه .
" العاشر : في بيان نصاب الفضة وما يجب فيها .
" الحادي عشر : في بيان الدرهم الشرعي .
" الثاني عشر : في بيان الدرهم البغلي والطَبَري والمثقال الشرعي .

وهنا يتحوّل من «الأبواب» الى «الفصول»، وهذا بيانها :

الفصل الأول : في قدر الطسّوج .
« الثاني : في قدر الحبة .
« الثالث : في قدر القيراط .
« الرابع : في قدر الحصة .
« الخامس : في قدر الدانق .
« السادس : في قدر الدرهم الطبري .
« السابع : في قدر الدرهم الشرعي .
« الثامن : في قدر الدرهم البغلي .
« التاسع : في قدر المثقال الشرعي .
« العاشر : في قدر المثقال الصيرفي المشهور بين عامة الناس .
« الحادي عشر : في قدر الرطل العراقي المستعمل عند الفقهاء .
« الثاني عشر : في قدر الرطل الطبي .
« الثالث عشر : في قدر الرطل المدني .
« الرابع عشر : في قدر المنّ الذي قد يستعمله الأطباء .
« الخامس عشر : في قدر الأوقية عند أهل الشرع .
« السادس عشر : في قدر الأوقية عند الأطباء .
« السابع عشر : في قدر المُدّ .
« الثامن عشر : في قدر المُدّ على ما وقع في صاع النبي (ﷺ) .
« التاسع عشر : في قدر الصاع المشهور .
« العشرون : في قدر صاع النبي (ﷺ) .
« الحادي والعشرون : في قدر الكرّ .
« الثاني والعشرون : في قدر الوسق .

الفصل الثالث والعشرون : في قدر أول نصاب الغلات ·

« الرابع والعشرون : في قدر أول نصاب الذهب ·

هنا نقص يبدأ بأواخر الفصل الرابع والعشرين ، وينتهي بأواخر الفصل الثامن والعشرين فيكون الساقط من المخطوط زهاء أربعة فصول ·

الفصل التاسع والعشرون : في قدر الدينار الذي يستعمله في بلدة اصفهان أهل الحرفة ·

« الثلاثون : في تحويل الدراهم والمثاقيل بعضها الى بعض ·

الخاتمة ، يليها خمسة جداول تتضمن خلاصة ما سلف من الكتاب ·

وهذه الرسالة مكتوبة بخط نسخي على ورق هش ضارب الى الصفرة · وهي غير مؤرخة ، بيد ان حالها تنبئ بكونها مكتوبة في المائة الثانية عشرة للهجرة ·

٢ — نسيم السَحَر

(الورقة ٣١ — ٣٦) · وهو مختصر في فقه اللغة ، كُتب تحت عنوانه انه لأبي منصور الثعالبي (المتوفى سنة ٤٢٩ هـ — ١٠٣٧ م) · ولم يرد ذكر هذا الكتاب في كشف الظنون للحاج خليفة ، ولا في الذيل عليه لاسماعيل باشا البغدادي · كما أننا لم نجد بين مَن ترجم للثعالبي ، من قدماء ومحدثين ، مَن ذكر هذا الكتاب بين مؤلفاته [١] ·

وفي خزانة برلين نسخة من هذا الكتاب [٢] ، ولكنها منسوبة فيه الى « ابي منصور النعاني » · ولا نعلم من أمر هذا « النعاني » شيئاً · وكأنه تصحيف « الثعالبي » ·

(١) انظر مثلا : وفيات الأعيان لابن خلكان ، ونزهة الألباء للأنباري ، ودائرة المعارف الاسلامية (مادة الثعالبي) ، وبروكلمان في تاريخ آداب اللغة العربية .

(٢) Ahlwardt, Verseichniss der Arabischen Handschriften zu Berlin. (Bd. 6, p. 283; N° 7034).

ومن هذا الكتاب نسخة أخرى في خزانة الفاتيكان (١) ، وهي منسوبة أيضاً الى أبي منصور الثعالبي .

وأشار الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، في مقال له بعنوان « من نفائس الخزانة التيمورية » (٢) ، الى وجود نسخةٍ من هذا الكتاب في تلك الخزانة ، لم يُعيّن فيها اسم مؤلفها .

أوله : « أما بعد حمد الله الذي هو أول القرآن وآخر دعوة أهل الجنان ... » وهذه محتوياته :

في التنزيل والتمثيل عن ثقات الأئمة . في أشياء تختلف أسماؤها باختلاف أحوالها . في تقسيم الجودة . في تقسيم الطول . في تقسيم اللين . الشدّة (٣) . الكثرة . القلّة . السعة . الطراوة . القِدَم . خيار الأشياء . الخلوص . ما لا خير فيه من الأشياء الرديئة والفضالات والأثفال . الملاء . الخلاء . البياض على ما يوصف به . السواد . السواد والبياض . في تقسيم الأشياء على اليد . الأنوف . الشفاه . العَضّ . الصدر . الثدي . الأظفار . الذكور . النكاح . الأنائة . ما يخرج من الحيوان . الجلود . البَيض . الروائح الكريهة . التغيّر والفساد . القتل . حركات الانسان من غير تحريكه . ما تُحرِّك به الأشياء . الاشارات . المشي على ضروب الحيوان . الوثب . عدو الفرس . سير الإبل . الضرب بأشياء مختلفة . الرمي بأشياء مختلفة . الأصوات . الأصوات ما سوى الحيوان . القَطع في أشياء مختلفة . القطع وتفصيلها . الشقّ . التشقيق . الخُروب . الكسر . النسج . الخياطة . الخيوط . فيما يُشدّ به أشياء مختلفة . في السرير إذا كان للمُلك . في الحُبْل . في تفصيل جماعات شتى . في ترتيب

(١) Della Vida, Elenco dei Manoscritti Arabi Islamici della Biblioteca Vaticana. (p. 179 ; N° II 77).

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي (٣ [١٩٢٣] ص ٣٤٠) .

(٣) اقتصرنا على لفظة « الشدة » . وهي في المخطوط « في تقسيم الشدة » ، وفعلنا مثل هذا في سائر التقاسيم .

المطر . في خروج الماء من أماكنه وسيلانه . في ضروب الأمكنة . في تقسيم الحُرة والشقرة . في ترتيب الأنهار . في تقسيم بيوت العرب وتفصيلها .

٣ — رسالة صغيرة في المثلثات اللغوية :

(الورقة ٣٦ ب — ٣٧ أ) . قال واضعها بعد البسملة : « الأَل والأُل والإِل . فأما الأَول بالفتح فالبريق ... » .

٤ — مثلثات قُطرُب :

(الورقة ٣٧ — ٤١ أ) . وقطرب هو محمد بن المستنير النحوي اللغوي البصري ، المتوفى سنة ٢٠٦ هـ (٨٢١ م) . وأمرها مشهور بين الأدباء ، وقد طُبعت غير مرة .

٥ — ما تلحن فيه العوام :

(الورقة ٤١ — ٤٦ أ) . لعلي بن حمزة الكسائي النحوي اللغوي المتوفى سنة ١٨٩ هـ (٨٠٤ م) . وقد وضعه لهرون الرشيد . وهذه الرسالة طبعها بروكلمن في برسلو سنة ١٨٩٨ .

كُتبت هذه النسخة في سنة ١٠٥٩ هـ (١٦٤٩ م) ، وخطها يشبه خط الرسائل الثلاث التي تقدمتها .

٦ — أسامي الكتب الطبية مع مصنفيها وأسامي شرّاح القانون :

(الورقة ٤٦ ب — ٤٧ أ) . لا نعلم مَن جمعها . ونظراً الى ما في إيراد أسماء هذه الكتب من فائدة ، فاننا ننقلها هاهنا كما وردت في الرسالة ، مع حذف بعض النعوت التي نُعت بها المؤلفون . وأغلب الكتب المذكورة فيها لم يُطبع ، وفيها جملة لا نعلم من أمرها شيئاً .

كامل الصناعة الطبية : لعلي بن العباس المجوسي الفارسي ، تلميذ أبي ماهر موسى بن سيار .

المختار في الطب : لابن هبل ، تلميذ ابي البركات البغدادي .

ما لا يسع الطبيب جهله : ليوسف بن اسمعيل بن الياس الجويني [١] المعروف بابن الكتبي [٢] الشافعي .

شرح الكليات المسمى بالتحفة السعدية : لقطب الحق والدين محمود بن ضياء الدين مسعود بن المصلح الشيرازي المعروف بالقطب الشيرازي وهو كازروني الأصل .

نفائس الفنون : لمحمد بن محمود الأعلمي ، شارح الكليات .

الحاوي الصغير : لنجم الدين محمود بن صائن الدين السعيد الشهيد الياس الشيرازي . وله رسالة وجيزة فارسية جيدة جداً في الطب ، وكذا رسالة غريبة [٣] في تشريح الأعضاء المفردة والمركبة .

أقراباذين القلانسي : لمحمد بن بهرام القلانسي .

الغنى والمنى : لأبي منصور الحسن بن نوح القمري .

العمدة : للمسيحي بن القف .

كتاب المائة : لأبي سهل يحيى بن عيسى المسيحي . وكذلك : خلق الانسان .

فردوس الحكمة : لعلي بن ربن الطبري .

بستان الأطباء : لابن مطران .

دعوة الأطباء : لأبي الحسن بن بطلان .

لقط المنافع : لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي .

ترويح الأرواح ، والتلويح : لفخر الدين الخجندي .

شرح فصول ابقراط : لعبد الرحمن بن علي بن أبي صادق ، مصنف كتاب نخبة العلاج .

(١) كذا ما في المخطوط . والذي في كشف الظنون « الخوبّي » وهو الوجه .
(٢) في كشف الظنون : ابن الكبير . والوجه ما في أعلاه .
(٣) لعلها : عربية .

زاد المسافر : لأحمد بن ابراهيم بن خالد ·

الكفاية المنصورية : لمنصور بن محمد بن احمد بن يوسف بن الياس ·

الموجز : لأبي الحسن علاء الدين علي بن ابي الحزم القرشي المعروف بابن النفيس الملقب بجالينوس الثاني · وله كتاب مبسوط في فنون الطب كلها سماه بالشامل ·

الجامع المالقي : لضياء الدين أبي محمد عبد الله بن احمد المالقي العشّاب المعروف بابن البيطار المغربي ·

شرح الموجز : لجمال الدين محمد المشهور بأقسرائي ·

منهاج الأدوية (١) : ليحيى بن عيسى بن جزلة البغدادي ·

المعالجات البقراطية : لأبي الحسن أحمد بن محمد الطبري ·

كتاب الخمسة : لنجيب الدين محمد بن علي بن عمر السمرقندي ·

شرح الموجز : وكذا شرح كتاب الأسباب والعلامات ، وكأنه ليس منها · من الكتب الخمسة النجيبية السمرقندية : لنفيس بن عوض الطبيب الكرماني أخي مولانا ظافر وتلميذه · وكان ملازماً ليعقوب خان والي تبريز من قِبَل شاهرخ · وجعل شرحه للموجز باسم شاهرخ · ومولانا ظافر لفرط ورعه واحتياطه مع انه كان أعلم من أخيه لم يباشر الأمر العلاج ·

شرح الموجز المسمى بكتاب المغني في شرح الموجز : لسديد الملة والدين الكازروني ·

الحاوي الكبير ، والمنصوري ، والمرشد ، وتقاسيم العلل ، والتجارب ، وكتاب من لا يحضره الطبيب ، وكتاب الأغذية والأدوية الموجودة في كل مكان ، ورسالة الأبدان ، وفي القولنج ، وفي الباه ، وفي الفصد : لمحمد بن زكريا الرازي ·

شرح مباحث تشريح الأعضاء المفردة والمركبة من كتاب القانون : لمحمود ابن مسعود بن محمود الملقب بعماد الدين الشيرازي وهو من أولاد حارث بن كلدة طبيب النبي (ﷺ) فيما يؤثر ·

(١) هو « منهاج البيان فيما يستعمله الانسان » لابن جزلة . وهو غير مطبوع . ومنه نسخ شتى في كثير من خزائن الكتب .

رسالة في الفصد : لأمين الدولة أبي الحسن هبة الله بن صاعد بن ابراهيم المعروف بابن التلميذ ·

إيضاح محجة العلاج : لطاهر بن ابراهيم بن محمد بن طاهر السجزي ·

طب المساكين : لأحمد بن ابراهيم ·

تقويم الأبدان : لصاحب كتاب منهاج البيان (١) ·

حدود الأمراض : جمع أبي المجد الطبيب ·

يلي ذلك : أسامي شرّاح القانون ، وهم :

الامام فخر الدين الرازي · عز الدين الرازي · قطب الدين المصري · أفضل الدين محمد الخونجي · رفيع الدين عبد العزيز بن عبد [··· ؟] · نجم الدين أحمد بن أبي بكر بن محمد النخجواني · القرشي صاحب الموجز المعروف بابن النفيس يعقوب بن اسحق [··· ؟] الطبيب بمصر · يعقوب بن اسحق الطبيب المسيحي المعروف بابن القف · هبة الله بن جميع اليهودي المصري · قطب الدين الشيرازي · الآملي · الحكيم عماد الدين محمود الشيرازي · حكيم علي الجيلاني · سديد الدين الكازروني ·

٧ — رسالة في علم الحساب :

(الورقة ٤٧ ب — ٧٤) · بالفارسية · وفي آخرها مقالة في علم المساحة ·

٨ — جواهر نامه :

(الورقة ٧٤ ب — ٨٢ أ) · وهو رسالة بالفارسية في علم الجواهر والأحجار ، ولا نعلم مؤلفها ·

أولها بعد البسملة : «الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ···» · وهي في اثني عشر باباً ، تناول المؤلف فيها الكلام على : الماس ، الياقوت ،

(١) هو ابن جزلة الطبيب البغدادي ·

اللعل (البلخش) ، الزمرد ، اللؤلؤ ، الفيروز ، الباذزهر ، العنبر ، الأشهب ، اللازورد ، المرجان ، العقيق ، اليشب .

والرسائل ذات الأرقام ٦ و ٧ و ٨ في هذا المجموع ، تشبه في خطها خط الرسائل ٢ و٣ و٤ و٥ . بل كأنها مكتوبة بيد واحدة وفي تاريخ واحد . وقد ذكرنا ان الرسالة الخامسة من هذا المجموع ، وهي «ما تلحن فيه العامة» للكسائي ، مكتوبة في سنة ١٠٥٩ هـ . فتكون هذه الرسائل الأخرى المماثلة لها قد كُتبت في نحو ذلك التاريخ .

٩ — تعليقات شتى :

(الورقة ٨٢ ب — ٨٨) . وهي بخطوط مختلفة . فيها أقوال في التصوف والآداب والحكم ومقتبسات من كتاب الكافي ، ومن كتاب الأصول لمحمد بن محمد بن الحسن الطوسي .

* * *

فهذا المجموع ، على صغر حجمه ، جمع بين دفتيه مواضيع شتى متباينة : في النقود والموازين والمكاييل ، واللغة والأدب ، والطب ، والحساب والمساحة ، والجواهر والأحجار ، وغير ذلك .

وفي وجه الورقة ٤٧ ، تملك لأحدهم هذا نصه : «تملك هذا الكتاب ، يوسف بن الحاج يوسف الأُزْري ، سنة ١٢٠٧ » (١٧٩٢ م) . وبيت الأزري من الأسر البغدادية الشهيرة في يومنا هذا .

(بغداد) كوركيس عواد

التعريف والنقد

خزائن الكتب القديمة في العراق

تأليف الأستاذ كوركيس عواد

كتاب يقع في ثلاث مئة وخمسين صفحة من القطع الكبير . طبعته مطبعة المعارف ببغداد . ثمنه خمس مئة فلس . وهو يبحث عن هذه الخزائن «منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة» يقول المؤلف : «وخزائن الكتب القديمة في العراق ، بعضها يرقى الى أزمنة ما قبل الميلاد ، وبعضها يعود الى الفترة التي امتدت بين الميلاد وظهور الاسلام . وبعضها – وهو الأوفر – نشأ في العصور الاسلامية . وأقول بتعبير أدل : نشأ في العصر العباسي وفي ما بعده» .

«وتلك الخزائن ، كان بعضها في القصور الملوكية ، او المعابد القديمة ، او الديارات والكنائس ، او الجوامع والمساجد ، او المدارس والربط ، او البيوت الخاصة . ومن ثمة يمكننا تقسيمها اجمالاً الى نوعين :

الخزائن العامة ... والخزائن الخاصة ...»

ويعرّف المؤلف هذين النوعين . ثم يعقد فصلاً عنوانه «الوراقة والوراقون» وما يتعلق بذلك من النسخ ومن الناسخين ومن اشتهر منهم بحسن الخط ، وسرعة الكتابة ، وكثرة النسخ . قال : ونشأ بين النساخ جماعة «فاقوا أقرانهم بتجويد الخط وتحسينه ، والبلوغ به الى أعلى مراتب الاتقان ... هؤلاء هم «الخطاطون» الذين كان يغالي الناس في احراز ما تسطره أناملهم من بدائع الخط ...»

وتكلم المؤلف عن أدوات الكتابة ، وتجليد الكتب ، وما بلغه من اتقان ، وبيع الكتب وشرائها ، ووقف الكتب ، وما يعرض لها من حرق او احراق ،

وغرق او اغراق ، ومن دفن وغسل حتى « ينحل حبرها وتطمس كتابتها وتشوش معالمها » .

كتب المؤلف كتابه هذا بعبارة فصيحة صحيحة وبإحاطة جامعة وافية . وبدأ بحثه في خزائن كتب العراق قبل الميلاد ، فقال : « وخزائن الكتب العراقية ... وكانت حينذاك مجموعات من المدونات الرسمية ، والنصوص الدينية ، والقطع الأدبية والتاريخية ، وما يتعلق بالحياة اليومية من بيع وشراء وما الى ذلك . كانت هذه المدونات تجمع في مواضع معلومة من المعابد والقصور الملوكية وبعض دور الخاصة . ويطلق عليها « دور السجلات » او « بيت الرقم » . وكان أمر الثقافة عند البابليين منوطاً بالكهنة ، الذين يستمدون علمهم من « نَبُو » مبتدع الكتابة والرسائل وصنوف أبواب المعرفة ، ... ويشير الى ألواح يرجع تاريخها الى ٢٧٠٠—٢١٠٠ قبل الميلاد . وينتهي بخزانة ابن الثروة المتوفى سنة ٧٥٠ هـ=١٣٠٩م » .

وفي هذا الكتاب من النكت الأدبية والفوائد العلمية الشيء الكثير . من ذلك ما ذكره عن أثر المرأة في العمل العلمي : له وعليه . فقد ذكر في حديثه عن خزانة المدرسة البشيرية ببغداد ، ان هذه المدرسة « أمرت ببنائها حظية الخليفة المستعصم أم ولده ابي ناصر ... وجعلتها وقفاً على المذاهب الأربعة ، على قاعدة المدرسة المستنصرية ، ووقفت عليها وقوفاً كثيرة قبل فراغها ... وكان مما وقفته صاحبة هذه المدرسة ، خزانة كتب يرجع اليها طلاب العلم ... »

وأن المدرسة الزاهدية أسستها الأميرة زاهدة العباسية ... وجعلت فيها خزانة كتب .

ومما يتصل بذلك : أن من الخلفاء من بنى الرباطات ووقف دور الكتب باسم زوجته . وأن من النساء من خدمن في دار العلم منهن : الجارية توفيق السوداء كانت تخرج الكتب الى النساخ .

والى جانب هذه الأعمال العلمية القيمة التي قامت بها المرأة ، ذكر الأستاذ

المؤلف حادثة الخليل بن احمد يوم « اشترى جارية نفيسة ، فغارت ابنة عمه وقالت : والله لأغيظنه ! وإن غظته في المال لايبالي ولكني أراه مكبًا ليله ونهاره على هذا الكتاب ، والله لأفجعنه به . فأحرقته » .

ومثل ذلك ما نقله المؤلف في « الملاحظات والاستدراكات » من أن الأمير ابن فاتك كان : « محبًا لتحصيل العلوم ، وكانت له خزائن كتب . فكان في أكثر أوقاته ، اذا نزل من الركوب لا يفارقها ، وليس له دأب إلا المطالعة والكتابة ... وكانت له زوجة كبيرة القدر أيضاً من أرباب الدولة . فلما توفي ... نهضت هي وجوار معها الى خزائن كتبه : وفي قلبها من الكتب ، وانه كان يشتغل بها عنها فجعلت تندبه ... وترمي الكتب في بركة ماء ... »[1]

وبعد ، فانا نشكر للأستاذ عواد ما عاناه من جهد في اخراج هذا الكتاب القيم .

عارف النكدي

الماصر في بلاد الروم والاسلام

للأستاذ ميخائيل عواد

كتاب من القطع الكبير يقع في تسعين صفحة . طبعته مطبعة المعارف في بغداد سنة ١٩٤٨ طبعاً حسناً . وثمنه مئتا فلس .

والكتاب « دراسات في التاريخ الاقتصادي للدول الاسلامية » قدمه المؤلف الى قرائه بقوله : « كنا نشرنا فصول هذا الكتاب في ستة أجزاء من المقتطف ،

(١) يحضرني في هذه المناسبة ما يشبه هذا ، وإن كان الخطب فيه أيسر — لأننا في عهد الطباعة ، ولأن الأمر وقف عند النكتة ولم يتجاوزها الى التحريق أو التغريق أو التغسيل — ذلك انا كنا نحضر دروساً ومذاكرات في الشريعة والقانون كان يلقيها سليم باز — صاحب المؤلفات الشرعية والقانونية المشهورة — ويذاكر بها في بيته . وكان ليلة من الليالي مريضاً ، فدعانا الى غرفته الخاصة ، وبدأ حديثه عن قانون حكام الصلح ، وكان قد صدر حديثاً ، فاذا بزوجته ، تدخل مسرعة وتتناول مجموعة من كتبه تضمها على الفراش ، وتلتفت الينا فتقول : أتظنون اني متزوجة رجلاً ؟ لا ! اني متزوجة هذه الكتب .

ظهرت في سنة ١٩٤٤ و سنة ١٩٤٥ . ثم عدنا الى هذه الفصول بعد نشرها ، بالزيادة والتهذيب فقام من ذلك هذا الكتاب الذي نقدمه اليوم للقراء .

يتناول هذا البحث أموراً خطيرة الشأن في التاريخ الاسلامي : فهو يبحث في تاريخ الموانئ الاسلامية في الشرق الأدنى ، وشمالي افريقية .

وتتجلى فيه صفحة مجيدة من تاريخ الأسطول الاسلامي .

ويعطف على أبحاث تمت بصلة وثيقة الى الضرائب والعشور في العصور الاسلامية .

ثم ان هذا الكتاب ، الى ذلك كله ، بحث في الحروب الصليبية ، وفي الفتوحات الاسلامية .

لقد استندنا في كتابة هذا الموضوع الى اوثق المصادر وأصدقها فلم نورد قولاً ما لم ندعمه بسند تاريخي »

واذا كان الأستاذ عواد قد أحسن في جمع كتاب « تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء » وتهذيبه فهو قد أحسن أيضاً في وضع هذا الكتاب « المآصر » وترتيبه . فجاء دراسةً اقتصاديةً تاريخية ممتعة أتمت نقصاً كان في دور الكتب العربية ما كان ينبغي ان يكون . عرف المؤلف « المأصر » لغةً بانه : « الحبس » . « عقد الشيء » « حبسه بقهره » . وانه اصطلاحاً « محبس السفينة » و « مركز الضرائب » وأشار الى ما نبه اليه الحريري من قولهم : « المأصِر بفتح الصاد والصواب كسرها ، لأن معناه : الموضع الحابس للمار عليه ، العاطف للمجتاز به . . . . . » ثم تناوله من وجهة تاريخية : من ذكره من المؤرخين والجغرافيين ، وأول من استعمله منهم ، ومواضع استعماله . ثم أشار اليه من وجهة أدبية ، وما جاء من ذكره في الشعر . ثم من الوجهة الادارية والسياسية .

وينطوي هذا الكتاب على فوائد أدبية ، ونوادر تاريخية ، فيها كثير من العبرة والعظة لمن يتعظ أو يعتبر .

جاء في الصفحة ال ١٦ : « جلس النيادي بجامع السلطان ، وحضر السلطان

عنده . فوعظه وذكر ما يجري على المسلمين من الظلم ثم قال : يا سلطان ! أنت تهب في ليلة لمطرب مثل هذا المأخوذ من الناس — يريد المكوس في الأسواق — فاجعلني ذلك المطرب ، واجعل ذلك شكراً لما أنعم الله عليك . فأشار بيده قد فعلت » . قلنا : حبذا لو كان في هذه الأمة اليوم من يقول لصاحب السلطان وهو يبذر الأموال بالملايين ، نعم بالملايين ! على الحفلات الساخرة ، والاستقبالات الهازلة ، اجعل هذا الوطن ذلك الزائر السخيف ، وانفق بعض ما تنفقه عليه في سبيل الاصلاح والاعمار ...

ومن ذلك : ما روي في غير موضع من هذا الكتاب من ان الملك العادل ، بلغه وهو ببرج الصفر ، ان الفرنج ملكوا (برج السلسلة) بمصر . فتأوه لذلك تأوهاً شديداً ، ودق بيده على صدره أسفاً وحزناً على المسلمين وبلادها ومرض من ساعته مرض الموت » . قرأت هذا ، والتفت الى صديق كان الى جانبي فقلت له : هذه فلسطين تذهب من يد العرب والمسلمين وذهابها أشد خطراً عليها من (برج السلسلة) . وليس في رجال العرب المسؤولين من يدق بيده على صدره ويموت من ألمه ؟ .... فابتسم الي ابتسامة المتوجع وقال : لقد ماتوا ... والانسان لا يموت مرتين ...

جمع هذا الكتاب بين العبارة الفصيحة والأسلوب البليغ . واستعمل مؤلفه فيه الألفاظ التي كان يستعملها العرب أنفسهم . استعمل أكثر ما استعمل (بحر الشام) لما أصبح يطلق عليه بعد الترك (البحر الأبيض المتوسط) أو (بحر الروم) واستعمل (العشّار) (والمكّاس) لصاحبي العشر والمكس ؛ الى غير ذلك من الألفاظ التي يجب ان تبعث في عصرنا هذا . ومن حسنات الكتاب انه ذكر السنة الميلادية الى جانب السنة الهجرية .

غير انه صرف (ياقوت) فقال : (ان ياقوتاً) . واستعمل (الذعار) لأهل الفساد بالذال المعجمة ، ولعل الصواب بالدال المهملة . وقال في بعض القرى

أو المدن الصغيرة (بُليد) ولعل استعمال (البليدة) كما استعملها أحياناً أدق وأفصح • وأسقط الهمزة من (ابن) في أول السطر ، وهو مخالف لما عليه المدققون أمثاله •

هذا ، وجزى الله الأستاذ عن أمته ولغته خير الجزاء •

ع • ن

أقسام ضائعة من كتاب

تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء

جمعها الأستاذ ميخائيل عواد

كتاب من القطع الكبير • في مئة صفحة • ثمنه مئتا فلس • طبعته مطبعة المعارف ببغداد فأجادت طبعه • الف هذا الكتاب هلال الصابئ ، وجمع هذه الأقسام الضائعة الأستاذ ميخائيل عواد ، وعلق عليها حواشي دقيقة قيمة • وقدم لها بمقدمة رائعة ترجم فيها المؤلف ترجمة وافية : ذكر مولده ووفاته ونسبه ومؤلفاته وما يتصل به • وعناية الأستاذ عواد من تدقيق وتمحيص ، ظاهرة في كل صفحة من صفحات الكتاب ، مما يشكره عليه كل عربي محب للغته غيور عليها ، وعلى نشر كنوزها العلمية الدفينة •

وقد بدت لنا ونحن نطالع هذا الكتاب أشياء أحببنا ان نلفت اليها نظر الأستاذ • من ذلك البيتان اللذان رواهما لأبي الفرج الاصفهاني • وأولهما :

ابعين مفتقر اليك رأيتني بعد الغفل (كذا) فرميت بي من حالق

ولم نستبن لهذه «الغفل» معنى في هذا الموضع ، ولا شيء مما يستقيم معها وزن البيت[1] •

وفي الصفحة الـ ٤٦ : « فقال لي متبادراً على نفسه •• » ولعلها « متنادراً » •

(١) كان الشيخ ابراهيم اليازجي أشار الى هذين البيتين في شرح ديوان المتنبي وقال : انهما في جملة ما ينسب اليه ، وروى البيت الأول :

أبعين مفتقر اليك نظرتني فأهنتني وقذفتني من حالق

وعلق على ذلك بقوله : « ولعل الرواية الصحيحة مفتقر اليه بضمير الغائب ، اي بعين رجل مفتقر اليه والهاء نائب مفتقر »

ونرى أن المعنى صحيح وواحد في اللفظين « اليه واليك » .

وفي الصفحة الـ ٤٧ : « فاستسرف ذلك فعله استسرافاً بلغه » وهي جملة قلقة لا يستقيم معناها الا بحذف « ذلك » فيقال : « فاستسرف ذلك استسرافاً بلغه » أو بحذف « فعله » فيقال : « فاستسرف ذلك استسرافاً بلغه» أو بان يكون « فعله » مما أخطأ به الناسخ وصوابها « منه » فيكون الأصل : « فاستسرف ذلك منه ٠٠ »

وفي الصفحة الـ ٤٨

رأيت في الوجه طاقة بقيت سوداء عيني تحب رؤيتها
فقلت للبيض إذ تروعها بالله الا (ما) رحمت غربتها

و « ما » هنا زائدة زيادة اخلت بوزن العجز في البيت الثاني والصواب :

« بالله الاّ رحمت غربتها »

وفي الصفحة الـ ٥٤

وليست باولى بدعة لك في الندى لها موقف الحمد ينشر

وعجز البيت غير مستقيم وزنه ٠ ولعل الأصل

لها موقف في الحمد والحمد ينشر

على ضعف في المعنى ٠٠٠

وفي الصفحة الـ ٦٤ :

فلو ان عيني راهنت بدموعها عيناك بالسقيا لغزت بخصلها

والصواب (لفزت) وهو غلط مطبعي ظاهر

وفي بعض الصفحات ابيات نابية جداً كان أجمل لو أنها حذفت

والى جانب الاعجاب بادب المؤلف ، وبفضل الجامع ؛ يأسف المطالع انه لا يجد في سيرة هؤلاء الوزراء عملاً اصلاحياً ، ولا عمرانياً ، ولا حرصاً على مصلحة عامة او ما يتصل بها ؛ وانما هم جماعة همهم الأكل والشرب ، ونهب الأموال ، كأكثر وزراء العرب في هذا اليوم حذوك النعل بالنعل ٠ وهبوط العرب ، وضياع ملكهم كان نتيجة محتمة لهاتيك السياسة ٠ واذا كان العقل كما يقول العرب : معرفة ما يكون بما قد كان ، فسيكون غد العرب شراً من يومهم ، ومن يعش يره ٠

معنى النكبة

للأستاذ قسطنطين زريق

كتيب من القطع الصغير ، يقع في تسعين صفحة . طبعته (دار العلم للملايين) في مطبعة الكشاف ببيروت . ثمنه ليرة سورية لبنانية . لقد وفق الأستاذ زريق في كتابه هذا كل التوفيق ، من اسمه الى آخر كلمة فيه . سمى كتابه (معنى النكبة) فدل بهذه التسمية (النكبة) يطلقها غير مقيدة ، على انها النكبة العظمى التي ليس بعدها نكبة . وهل بعد نكبة فلسطين من نكبة على العرب . وهي المقدمة التي سيكون من نتائجها على العرب — اذا ظلوا آلة بيد ملوكهم وأمرائهم ورؤسائهم — ان يسلبوا ديارهم وأوطانهم ، و كل ما يملكون من كرائم في هذه الحياة .

من عادتي ان انقل من كل كتاب انقده جزءاً منه ، اعرضه مثالاً للكتاب . واعترف اني في (معنى النكبة) لم أدر ما أختار ، فموضوعاته كالحلقة المفرغة ، متصلة متماسكة ، لا ينفصل بعضها عن بعض ، ولا يغني جزء منها عن جزء .

فعلى كل عربي ، ان يتدارس هذا الكتاب اذا اراد ان يعرف حاضره وما يخبئه له مستقبله ، وان يعمل بما فيه اذا أراد الحياة الكريمة له ولوطنه .

واني لأشكر للأستاذ زريق فضله في اخراج هذا الكتاب الذي أوحاه اليه فكر نيّر ، وقلب معمور بالايمان .

ع . ن

محاضرات نقابة المحامين في حلب

في السنة القضائية (١٩٤٧ الى ١٩٤٨) .

وهي المجموعة الثالثة التي تصدرها نقابة المحامين بحلب ، صفحاتها قرابة ثلاث مئة وخمسين صفحة من القطع الكبير . وتشمل ثماني محاضرات : قواعد الاثبات العامة

للأستاذ مظلوم — والاثبات بالرسائل والأوراق غير الموقعة والسند المؤيد والأوراق الخفية للأستاذ زمريا — وانكار التوقيع والادعاء بالتزوير للأستاذ الشعباني — والاثبات في المواد التجارية للأستاذ جبارة — والشهادة للأستاذ الزين — وسر المهنة في الشهادة للأستاذ التيرمانيني — والاستجواب وطلب الاسناد للاستاذ عبد الله — وتنازع القوانين في الزمان للأستاذ اسيون .

وهذه الموضوعات كلها قيمة تشتد الحاجة الى تفهمها ومدارستها . وقد كتبت بلغة صحيحة سائغة .

وصُدِّرت هذه المجموعة ، بالمذكرة الايضاحية لقانون البينات ، وهي مذكرة موفقة أسلوباً وموضوعاً ، نظَّمها الأستاذ الكوراني الامين العام لوزارة العدلية . وقد أشار الأستاذ في بعض المواطن الى ما يتصل بالشريعة الاسلامية من هذا القانون ، تلطيفاً له في النفوس ، وتقريباً بينه وبين عرفنا الشرعي وتقاليدنا الموروثة . وحبذا لو انه أشار الى هذه الصلة حيث تكون . مثلاً اليمين التي دعوها (المتممة) ، وتحليف المدعي اليمين هما مما أجازه الشرع ونص عليه كثير من الفقهاء ، فالاشارة اليه والى أمثاله فيه تنويه بالشريعة السمحة الغراء ، وتمتين للصلة بينها وبين هذا القانون .

ويجيء بعد هذه المذكرة ، (قانون البينات) وهو قانون صالح مفيد ، والعمل به موافق لمقتضيات الزمان وحاجاته . وان كان هذا القانون لم يخلُ من نواقص يمكن ان تتدارك مع الزمن .

ونستعير هنا بعض ما جاء في المذكرة الايضاحية لبيان بعض مزايا هذا القانون الذي لا نرى بداً من الكلام فيه ، بعد ان ضمته هذه المجموعة .

أولاً : — الثقة بالقاضي

ثانياً : — الحؤول دون المطل والتسويف في فصل الخصومات .

ثالثاً : — الأخذ بما تعارف عليه الناس في حياتهم وتعاملوا به

قلنا : بقي أن يثق القضاة هم أنفسهم بأنفسهم فعلاً ، وان يطبقوا هذا القانون تطبيقاً يحول دون المطل والتسويف ، ويكفل للناس حقوقهم بما تعارفوا عليه . وان يسموا عن أن يتأثروا بمداخلة معها كان مصدرها . فالقوانين — على ما قلنا غير مرة — جوفاء لا قيمة لها الا على قدر ما للعاملين بها من قيمة .

وهذا القانون بادية عليه العناية بحوكه وصياغته ، على ما فيه من مآخذ وهفوات كان يمكن ان لا تكون . فالأمم حريصة على أن تكون لغة قوانينها ناصعة جامعة مانعة ، وقد كنا كذلك في أمسنا ، فعسى ان نعود الى ما كنا عليه ، في غدنا .

ولا نرى بدّاً من شكر الأمين العام والأساتذة المحاضرين على هذه المجموعة القيمة التي نرجو ان يكون لهم مثلها في كل عام .

ع . ص

الاجتهاد في الشريعة الاسلامية

اطروحة وضعها باللغة الافرنسية الأستاذ محمد معروف الدواليبي العلم في الحقوق ، والمجاز بالحقوق الرومانية من جامعة باريز . وحامل شهادة مدرسة العلوم الاسلامية بحلب . تقع الرسالة في مئة وخمسين صفحة من القطع الكبير .

قدم لهذه الأطروحة الأستاذ (لويس ماسينيون) بمقدمة جاء فيها ما معناه : « .... وأراد المؤلف ان ينقض الرأي الشائع في الغرب من ان الشريعة الاسلامية لا تتسع طبيعتها لمطالب العصر الحاضر . لذلك بدأ بالمصدر الرابع من مصادر الشريعة ، وهو الاجتهاد ، العلم الذي تقوم عليه الشريعة أو أصول الفقه » .

ويثني الأستاذ ماسينيون على نشاط الأستاذ المؤلف واخلاصه للموضوع الذي يدافع عنه ، والروح الاجتهادية التي كان يستمد منها رجال الشريعة المسلمون » .

يمهد المؤلف لأطروحته بتوطئة يبين فيها : كيف اختار موضوعه ـ ومعنى الاجتهاد الذي يرمي اليه في بحثه . ويتناول في جملة ما يتناوله من الأبحاث : روح الاسلام ـ الاجتهاد في العصر الأول (عصر الصحابة) ثم في العصر الثاني

(وهو عصر أئمة الاسلام اي المجتهدين) وما كانت عليه بلاد العرب يوم ظهور الاسلام . وما كان يتنازعها من عقائد . ويستشهد بكلمة قالها (موته Montet) وهي (كان العرب يوم جاء محمد في حالة من الانحطاط الديني والأخلاقي تتطلب مصلحاً كبيراً) .

ويشرح المؤلف معنى الاسلام ، واهدافه ، وعلاقة الانسان بخالقه ، وعلاقة الانسان بأخيه الانسان ؛ وما يتفرع عن ذلك من الحقوق الخاصة ، والحقوق العامة التي جاء بها الاسلام وأمر بها نبيه وأقرتها صحابته . من : استثمار الخراج ، والحجر الصحي ، واقامة رباطات على الطرقات العامة ، وفرض ضرائب تنفق على المحاويج والعبيد ، واقرار المساواة والعدالة ، وعقد المعاهدات . وخص فصلاً بالقرآن : تعريفه ، وموضوعه ، واسلوبه . ثم تكلم عن السنة ، والاجماع ، والاجتهاد وعليه مدار البحث .

كل ذلك مكتوب بلغة افرنسية صحيحة واضحة . وقد استعمل عنواناً لكتابه « الحقوق الاسلامية » بدلاً من « الشريعة الاسلامية » وهو ماخفي علينا السبب فيه .

ع . ن

المدخل الى الحقوق الرومانية

للدكتور الدواليبي أيضاً

وهي محاضرات القاها المؤلف في كلية الحقوق بالجامعة السورية (تعرّف الحقوق الرومانية أولاً ، وتشير الى سمو الشرائع الشرقية القديمة ثانياً ، وخاصة منها ما كان في سوريا ومصر . ثم تناقش بصورة علمية آراء القائلين بتأثير الحقوق الرومانية في الحقوق الاسلامية) وجاء بحجج دامغة تؤيد ما ذهب اليه .

فنشكر للمؤلف الفاضل جهوده الموفقة وأبحاثه العلمية الناجحة . أكثر الله من أمثاله العاملين العاملين .

ع . ن

رحلتا مراكشيين عظيمين الى اسبانيا

(**الرحلة الأولى**) عنوانها (رحلة الوزير في افتكاك الأسير) تأليف محمد بن عبد الوهاب الغساني وزير مولاي اسماعيل ملك مراكش وسفيره الى كارلص الثاني ملك اسبانيا (١١٠٢ هـ ١٦٩٠ م) طبعت في مدينة العرائش بالمغرب سنة ١٩٤٠ م .

(**الرحلة الثانية**) عنوانها (نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد) تأليف احمد بن المهدي الغزال كاتب أسرار مولاي محمد بن عبد الله ملك مراكش وسفيره الى كارلص الثالث ملك اسبانيا (سنة ١١٧٩ هـ ١٧٥٦ م) وقد طبعت بالعرائش أيضاً سنة ١٩٤١ م .

فالرحلة الثانية وقعت بعد الأولى بنحو ٧٧ سنة والغرض من كليهما واحد وهو فكاك الأسرى المراكشيين الموجودين في اسبانيا ويضاف الى ذلك تحسين علائق الجوار بين المملكتين واطلاع كل منهما على ما عند الأخرى مما يهمها أمره . ولم تخلُ الرحلتان ولا سيما الثانية من غرض علمي شريف : وهو جلب ما في مكاتب اسبانيا ومكتبة الاسكوريال خاصة من الكتب الدينية الاسلامية التي يهم المسلمين أمرها ويخشى عليها الضياع أو البلى من تقادم الزمن .

والرحلتان او الكتابان مما أصدرته مؤسسة الجنرال فرانكو (ديكتاتور اسبانيا في عهدنا هذا) فان حكومته أخذت تتأسى ببقية الدول الاستعمارية في بث الدعايات واصدار النشريات باللغتين الاسبانية والعربية وارسالها الى الشرق العربي . ومن ذلك بعث المخطوطات العربية من مراقدها في اسبانيا والمغرب وطبعها في مدينة تطوان وترجمتها الى الاسبانية يساعدها على هذا العمل الرفيع الشأن أديب لبناني فاضل هو (الفريد البستاني) استاذ الآداب العربية في مدرسة تطوان . والرحلتان المذكورتان من جملة منشورات مؤسسة الجنرال فرنكو بعناية الأستاذ الفريد المذكور .

ورحلة (الوزير الغساني) لا أثر فيها للكلفة لا من حيث الطبع والتنسيق ولا من حيث الأناقة والتعليق بخلاف الثانية رحلة (الكاتب الغزال) فان تكلف

العناية بها بلغت حدها الأقصى ولا سيما ما تخللها من التزاويق والصور والرسوم التاريخية : الأندلسية القديمة والاسبانية الحديثة · ولعل السبب في ذلك ان ناشر الكتابين لم يكن راضياً أو لم يكن على وفاق في المنزع مع الوزير الغساني · فان هذا الوزير تعرض في رحلته الى مسائل تتعلق بالطقوس المسيحية واوسعها تعليلاً وتحليلاً لا يتفق مع الواقع في رأي الناشر : مثل حالة الرهبان والرواهب في الأديار ومرد الأسباب التي تحملهم على الترهب : من ذلك أن أحد عظماء الاسبانيول خاف على فتاته الحسناء من الوسط الاجتماعي فأدخلها الدير ريثما يخطبها خاطب فتنجو بعفتها وكرامة أبيها · وكذلك تعرض الوزير للتقاليد الكنسية والتراتيب البابوية لامزاً غامزاً ووصف المستشفيات من حيث علاقتها بالرهبان وتوسع في تاريخ فتح العرب لاسبانيا وفي تاريخها السياسي وتعاقب أسرها المالكة ووصف حركة البيع والشراء في الأسواق وأصناف البضائع وما يجلب اليها من القرى وتعرض للبريد وناقله وسماه الرقّاص وقال إن الرقاقيص يأتون بالرسائل والبراوات وقد أراد بالبراوات البراآت وهي الرسائل في غالب الظن وذكر الكاسيطة (اي الغزيتة يعني الجريدة) التي تطبع يومئذ في مدريد قال (يجمعون الأخبار ويفرغون عليها قالباً للكتابة فيطبع عليها آلاف من القراطيس ويبيعونها) - وتعرض لذكر الارث وكيف يتوارث أشراف الاسبان في أموالهم وألقابهم · وبالجملة فان (الوزير الغساني) في رحلته كان يصف البلاد من نواحيها التاريخية والسياسية والادارية لأن همّوم نفسه في وزارته كذلك أما الكاتب الغزال فقد وصف بلاد اسبانيا من ناحية جمالها العمراني ومن حيث براعة أهلها في زراعتها وصناعتها وأبنيتها وتنظيم هيأة الاجتماع البادي حسنه في منازهها وحفلاتها ومجتمع عائلاتها · وصف لنا كل ذلك وصفاً شعرياً وأحياناً يلقي عليه من بيانه روعةً خيالية محببة الى النفس بحيث يجعل المرء يحكم بان اسبانيا كانت بحق سيدة اوروبا مدنيةً وحضارة ورقياً اجتماعياً لذلك العهد وهو القرن السابع عشر · ولكن ما الذي أزعجها عن تلك المنصّة التي تبوأتها ؟

يجيب الوزير الأول (مؤلف الرحلة الأولى) على هذا بأن اسبانيا بعد ان استولت على كنوز امريكا التي اكتشفها أحد أبنائها أخذت تنفقها في سبيل البذخ والترف والشهوات (اي كما فعل العرب بعد فتوحاتهم) وبذلك فسحوا المجال للافرنسيين فكانوا أنشط أمم اوروبا في التجارة وإعداد وسائلها وفتح أسواقها في الشرق والغرب . وهذا ما قدمهم وأخر غيرهم . والأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين .

أشرنا آنفاً الى نتف من مضامين رحلة (الوزير الثاني) ونظم (الكاتب الغزال) ان لم نشر الى شيء من مضامين رحلته هو أيضاً . فان فيها من الفائدة والامتاع وحسن الايراد ما لم يوجد في رحلة زميله .

يظهر أن الآداب الاجتماعية والأخلاق الشعبية العامة في عهد رحلة (الغزال) اي منذ (١٧٠) سنة كانت لدى الاسبانيين أرقى أو مثل ما عند أرقى أمم أوروبا في ذلك العهد ومثلها هي اليوم في اسبانيا مع فرق طفيف قد لا يجوز لمثلي تحديده ما دمت لم أشهد الحالتين ولم أختبر الحضارتين ولم أزر البلدين فأنا اذن أنقل للقراء نتفاً مما ذكره الغزال في رحلته ولهم بعد ذلك حكمهم :

كل شيء رآه (الغزال) في اسبانيا كان حسناً جميلاً باعثاً على ثنائه واعجابه سوى ما استنكره من بشاعة حفلات صراع الثيران وأمرها مشهور . ووخامة مدينة (طريفة) من عمالة قادس (فان بها من الهواء الفاسد والعياذ بالله والوخم ما اشتكى بسببه الكثير من رجال البعثة المراكشية ساعة حلوها) وهناك شيء على حسنه في نظر الناس قبيح في نظر (الغزال) وهو تبرج النساء ، وتباهي الرجال بجمال بناتهم وزوجاتهم والحديث عنهن : الى حد كان يوقع الشيخ في الارتباك أحياناً اذ هو موضوع لم يعتد إبداء الرأي فيه ولا الجولان حواليه . بل يعتده خروجاً عن الأدب وقوانين الحشمة ، وقد كرر الغزال في رحلته القول في النساء وولوعهن بالموسيقى والرقص والتردد الى المنازه العامة وان النساء كن يتسابقن الى الحفلات لأجل رؤية (الغزّال) ورفاقه والجلوس اليهم بما فيه ازعاج لهم . واستعاذة بالله منهن .

ولكن القوم كانوا حريصين على أن تعرف نساؤهم أحوال الأمم ولا سيما جيرانهم . فما قال (فما شعرنا الا والنسوة يتزاحمن على المحل الذي نحن فيه ، الكل يطلب رؤيتنا الى أن تفاقم الأمر للعاج فيما بينهن فطلبنا ان نعود للدار وتعللت بعلة النوم) .

ووصفه للصور والتماثيل المبثوثة في جنبات البلاد دل على ان للقوم عناية فائقة وبراعة تامة في فن التصوير : من ذلك تمثال الشاب الجميل وشبابته في فمه وأصابعه على ثقوبها وكلباه أحدهما باسط ذراعه على ركبته اليمنى والآخر على اليسرى ولسانهما وذنبهما يتحركان (ولم نشعر بأن الشاب والكلاب تصاوير من غير روح الا بعد حين) .

ووصف براعة القوم في فن المعمار وصفاً دقيقاً . وكان نزولهم في مدريد في دار الملك فرأوا فيها قبة بلورية غاية في جمال الصنعة وبجانبها قبة أفخم منها وأعظم وبعد أن أسهب في نعتها قال ولما سألنا عن الغرض منها اذا هي المسماة عندهم (الكيدبة) وان الملك يؤمها بأهله للفرجة . وكان يعجب من صناعتهم كيف يلصقون الذهب على الرخام والجبس وأراد ان يعرف منهم سر هذه الصنعة قال : (فأوهمتهم بجمجمة) أني أعرف ذلك فاعتذروا بأن ملكهم لم يأذن لهم بكشف السر . فقال ولكن نحن معشر المسلمين لا يمنعنا سلطاننا من نشر الحكمة وتعليمها الناس . ثم ذكر لهم طريقة من طرق الطلي بالذهب . فنزعوا الشمارير (أي القبعات) عن رؤوسهم وطأطأوها اعترافاً بفضل المسلمين .

ووصف كنيسة الاسكوريال والابداع في بنائها ولفت نظره دقة التحام الحجارة واتصال بعضها ببعض من دون ان يكون بينها طين أو جبس (مونة) وهكذا (عمل الجبّاص والنجار والرخّام المشتمل على التشجير والتسطير والتزليج والتوريق والتمويه) ومثل ذلك اتقانهم فن الزراعة وانشاء الحدائق واستكثارهم من الأشجار غير المثمرة في المتنزهات . وانه رأى ضرباً من النبات يقوم غراسه كالجدران يتخللها ممرات حتى اذا دخلها المرء رأى نفسه متورطاً فيها لا يمكنه الخروج منها الا بصعوبة أو بواسطة البستاني . أقول وقد رأينا مثل ذلك في القاهرة في (الحديقة الأندلسية) ولعل هذا من ذاك .

ووصف غير ذلك من مظاهر الحضارة كمعامل الورق والخزف والقيشاني والفناجل (الفناجين) والزجاج ويتخذون من الطين أشجار الورد والياسمين بأزهارها الملونة .

ووصف جسراً (كوبري) على النهر الكبير متحركاً . وقنوات ماء بشكل قناطر متراكبة ووصف جنينة الطيور . (الكوميديا) والبنت الصغيرة التي مثلت الكوميدية بمفردها عن ظهر قلبها في شكل الإلقاء التمثيلي وهي قصة كالعنترية (قصة عنتر) عندنا (معشر المراكشيين) .

قال والطاغية نفسه (ملك اسبانيا) هو الذي أوصى عماله ان يطلعونا على الكبير والصغير من أحوال بلاده حتى انه أمر باقامة ميدان لرمي المدافع واصابة الأهداف وقام بذلك أمامنا أبناء الأعيان والأشراف . وبهذه المناسبة جرى حديث بين الغزّال المراكشي ووزير اسباني كان يرافقه لم نستملحه قط : ذلك ان الغزّال حط من قدر المدافع وقذائفها والرمي بها . قال : وان ذلك كله انما هو أثر من آثار الجبن والاعتصام في المعاقل والحصون أما المراكشيون فلا يستعملون المدافع ولا يلجؤون الى الحصون وانما حربهم الصدام في الميدان . والضرب بالسيف والسنان .

ومن الغريب ان ينخدع الغزال بموافقة الوزير الاسباني له على ما قال . نقول هذا اليوم أي بعد نحو ٢٠٠ سنة ونحن معشر العرب أشد ما نكون حاجة الى ان يكون في بلادنا معامل للمدافع والقنابل نستعين بها على مدافعة العدو عن فلسطين العربية :

(لقد شرب الأوائل كأس خمر غدت منه الأواخر في خمار)

وزار الغزّال مدرسة بحرية يتعلم فيها الصبيان فن سلك البحار والتدرب على أعمال الملاحة فسرّه ما رأى منهم وطلب من ادارة المدرسة السماح لهم بعطلة ثلاثة أيام ذكرى لزيارته . ففرح التلاميذ وغطمطوا وجعلوا يصيحون بالاسبانية (ڤيڤا زاي مروك ، ڤيڤا) أي ليعش ملك مراكش (ڤيڤا الباشادور ، ڤيڤا) ليعش السفير يعنون الغزّال وهو (الباشادور) وبالافرنسية (امباسادور) .

وبعد هذه الحفلات والمهرجانات اخذ الغزال في تدارك ما جاء لاجله وهو فكاك الأسرى وكانوا من بلاد مختلفة : منهم مراكشيون يمكنه انقاذهم ومنهم جزائريون ونحوهم لا يمكنه ان يصنع لهم شيئاً ، ومنهم المسلمون الأندلسيون الذين أوطنوا

اسبانيا . فلما رأوا السفير الغزال جعلوا يبكون ويكبرون الله للدلالة على تمسكهم باسلاميتهم . فرثى لهم وأوصاهم بالثبات والتمسك بدينهم واعتذر بانه عاجز عن افتكاك غير المراكشيين الا اذا كانوا شيوخاً هرمين او من رجال الدين . وهناك أسرى مرضى أو مسلولون : فوعدهم بانه سيجتهد في اقناع الطبيب بلزوم تسريحهم الى بلادهم شفقةً وانسانية . ثم لزم الغزال المنزل الذي هو فيه وتظاهر بالمرض ودعا اليه الطبيب الاسباني الموكول اليه أمر الأسرى . وما زال يُقبل به ويدبر حتى أقنعه بلزوم تسريح المرضى . وهكذا نجح في انقاذ هؤلاء التعساء . ومن لطيف ماحكاه ان فتاة مسلمة جزائرية صغيرة أرادها سيدها على النصرانية ليتزوجها وهي تأبى عليه وكانت تصرخ وتقول (لا أريد إلا دين حبيبي محمد) وقد تعب السفير الغزال في اقناع القوم بأخذ فدية عنها وتسريحها الى أهلها .

وبعد انجاز أمر الأسرى فرغ الى المخطوطات العربية الاسلامية والتقاطها من هنا وهناك لجمع منها ما تيسر له جمعه .

ثم ودع الطاغية (أي الملك) وداعاً جميلاً وأصحبه الملك بسفير من رجاله ليزور مراكش ويقابل سلطانها . فلما دخلاها قابلهم الجماهير وطوائف العساكر والقبائل باطلاق المدافع والمكاحل وألعاب الفروسية حتى حجب دخان البارود وتقع حوافر الخيل عين الشمس . وكانت تقام لهم المآدب فكان الطعام فيها كثيراً يفضل عن الحاجة . قال السفير المراكشي ذلك مباهياً به ولا سيما مذ رأى السفير الاسباني يدوّن ما كان يراه في دفتر مذكراته . ومما افتخر به أيضاً ان الملك امر ان ينقل ثَقَل السفير وأمتعته على نفقته الملوكية ومن دون ان يدفع السفير درهماً واحداً ! ! ومشى الثلاثمائة الأسرى في الموكب وعلى رؤوسهم الكتب والمخطوطات التي جاؤوا بها من مكاتب الأندلس وحولهم النوبة والنساء بالزغاريت والرجال بالبكاء والدعاء لملك مراكش (محمد بن عبد الله) ثم قابل الملك سفير اسبانيا مقابلة حسنة . وجاء في أطواء كلام الملك ـ بمناسبة ما للسفير من حاجات أثناء اقامته في مراكش ـ قوله كل ما يحتاج اليه السفير (تقضوه له) . وصوابه تقضيه . وغلطة الملك ملكة الأغلاط .

وبمناسبة اللغة وأغلاطها نقول انه جاء في كتاب رحلة الشيخ الغزال الفاظ كان يحسن إطالة البحث حولها : منها ما هو أعجمي عرّبه المغاربة . ومنها عربي ولده وليس من العربية الفصحى في شيء .. ولكن الأمر يطول على القارئ فنجتزئ عنه على سبيل المثال ببضع كلمات . منها (الخصّة) يريدون بها الفسقية ذات النوفرة اما الكبيرة فيسمونها الصهريج . (والمداشر) القرى (والشراجيب) الشبابيك . ومن المعربات اليمنط الالماس و (الفسيان) الضباط (office) و (التلظاظ) الجنود . واذا أرادوا ان يقولوا استعراض الجنود قالوا تسراد التلظاظ . والتسراد عربية من السرد . والشيليات الكرامي . والكودشة والاكداش عربات الخيل . ونسمعهم في دمشق يقولون لخدمة الجامع الأموي (حسكية) واحدهم (حسكي) قالوا انه محرف من (خاصكي) وهو استعمال تركي يراد به خادم بيت الملك الخاص فنقله الاستعمال الى خادم بيت الله . غير أن الغزّال في رحلته قرن (الحسك) بالمنارات (اي الثريات) التي يستضاء بها في المساجد ثم فهم منه في مكان آخر ان المراد بالحسك المسارج أو الشمعدانات التي تنقل من مكان الى مكان آخر بين أيدي الناس المجتمعين . وهذا نص عبارته كما في ص ٣٣ :

(وقد هيئ لهذه الليلة العدد الكثير من الشيليات (أي الكرامي) بما يزيد على الأربعة آلاف ... وأوقد من الشمع ستة آلاف شمعة ما بين المنارات البلورية والحسك المتصلة بالمرايا ... والحسك الموضوعة بالأرض بين صفوف الشيليات الخ) فالشموع كانت موزعة على المنارات وعلى شمعدانات لاصقة بالمرايا على الجدران وعلى شمعدانات أخرى متنقلة (بورتاتيف) منثورة على الأرض بين صفوف الكرامي .

فلعل الحسكية في جامع دمشق سموا بهذا الاسم نسبة الى تلك الشمعدانات المسماة (حسك) اذهم الذين يتولون أمر تنظيفها وتخبئتها في مستودعاتها وتوزيعها بين أيدي القراء في الحفلات . بقي أن يقال : ومن أيّة لغة جاءت كلمة (حسك) ؟ وفي أي عصر تولّدت ؟ وهل أخذها المغاربة من دمشق أو على العكس ؟ **المغربي**

ديوان التميمي

حققه كل من علي الخاقاني ومحمد رضا السيد سلمان

طبع في النجف سنة ١٩٤٨ م عدد صفحاته ١٨٠

اسم صاحب الديوان الشيخ (صالح بن درويش) التميمي فهو عربي المحتد ، نجدي الأصل ، نجفي المنشأ : ولد في حدود سنة ١١٩٠ ﻫ وتوفي سنة ١٢٦١ ﻫ اي أنه عاش في العهد الداودي : عهد داود باشا والي بغداد المشهور بفضله وحبه للأدباء ، ويروى ان لهذا الوالي مشاركة في الأدب وقرض الشعر . وله مجالس ينضوي اليها ادباء عصره وشعراؤه فيتلقون من عطفه ورفده ما يملأ قلوبهم حباً ، وجيوبهم ذهباً ، وكان أقربهم مجلساً اليه ، واكثرهم دالةً عليه ـ الشاعر التميمي : فكان الوالي يؤثره ، ويدنوه بمنزلته ، كما كان شاعر العراق الأكبر الشيخ عبدالباقي العمري يقول : ان صالح التميمي أستاذي وشيخي . وقد أولع الشاعر المترجم منذ حداثته بأبي تمام الطائي ، وحفظ أشعاره ، ومن رأيه تفضيله على سائر شعراء الاسلام ، ويقول هو شيخي : تخرجت على ديوانه . وسئل يوماً كم تحفظ من الشعر الجاهلي فقال : لو أن شيخي ابا تمام لم يتقدمني الى ديوان الحماسة لاخصرت لكم حماسة ثانية .

وقد أدرك القارئ من هذه الخلاصة في ترجمة الشاعر التميمي ان محاسين البيئة والزمن والخلطاء والدراسة ـ كل ذلك توفر له ، وتمهد بين يديه ، فلا جرم ان يكون من كبار أدباء العراق ، وفحول شعرائه ، وكذلك كان التميمي : فهو منهم . بل من المشهورين بينهم . لكنه لم يبلغ منزلة شعراء الطبقة الأولى فيهم : كالأزري والعمري واضرابهما . ونستشهد على قولنا هذا بما قاله الفاضل الخاقاني ناشر ديوانه في مقدمته : (وشعر التميمي تأثر فيه بأدب أستاذه ـ يعني ابا تمام الطائي ـ ولكنه لم يستطع ان يحكم قواعده وأسسه كما احكمها الطائي : إذ نراه يعلو ما وسعه العلو فيخيل اليك انه شاعر عباسي قد صقلته تلك الحضارة العربية ، ويسف إسفافاً يدعك تحكم انه ليس بصاحبك الذي ارتفع بك) اﻫ .

وقد قدم ناشرا الديوان ومحققاه مقدمة له أسهبا فيها القول وأجادا في التعريف

بالشاعر وبأدبه وبكل ما له علاقة بنشأته وبيئته : حتى ترجما للوزيرين الذين اكثر من مدحهما في ديوانه : داود باشا وعلي رضا باشا . كما انهما ترجما للشاعر العمري ولعالم بغداد يومئذ ابي الثناء محمود الألوسي وغيرهما مما يلقي نوراً على ذلك العهد الخصيب بالأدب والأدباء والشعر والشعراء . وقد وصفا المخطوطات التي ظفرا بها لذلك الديوان ، وقارنا بينها معتمدين على أصحها وأوثقها ، والحقا بالديوان مجموعة قصائد للتميمي مسماة بالروضة التميمية تشتمل على ٢٨ قصيدة بعدد حروف الهجاء تضمنت مدح الشاعر للشيخ (عبد علي) الشهير بمولى الحويزة . وقد أفرغ التميمي قصائد روضته في قالب قصائد روضة صفي الدين الحلي التي مدح بها الملك المنصور : فالقصيدة الأولى أسست قوافيها واول كلمات أبياتها على الهمزة . واول بيت من قصائد الروضة قوله :

(أروضة سقيت من غيث وطفاء فألبست نسج حمراء وصفراء)

وهكذا الى آخر القصيدة الأولى : همزات في اول ابياتها واواخرها . ثم القصيدة الثانية بنيت على حرف الباء الى سائر قصائد الروضة . وتكلف الصنعة ظاهر أتم الظهور فيها . كما ان البيت الذي مثلنا به يدل القارئ على صحة ما قاله الفاضل (الخاقاني) من ان التميمي يعلو بشعره ما وسعه العلو ثم يهبط ويسف حتى تكاد تنكر انه هو . فما ابين الفرق بين قوله (أروضة سقيت من غيث وطفاء) وبين قوله في الشطر الثاني (فألبست نسج حمراء وصفراء) وهكذا الحكم في ابيات سائر قصائد الديوان . تارة مخشلب وطوراً در ومرجان . وعناية الناشرين بهذا الديوان هي على أتمها في مقدماته وخواتيمه وطبعه وتصحيحه والتعليقات عليه . فاستحقا بذلك اجزل الثناء . من فريقي الأدباء والشعراء .

غير انا لاحظنا تسامحهما أحياناً في تفسير بعض الألفاظ : من ذلك قوله ص ٤٨

(فيا أيها الغادي المهجر خائفاً من الآل يا مار في العين مائره)

قالا (الآل) الغبار وصوابه (السراب) وقوله ص ٤٧

(وعفو تعفى منه قيس ابن عاصم أمان لباغ أسلمته جرائره)

يصف الممدوح بالعفو عن اصحاب الجرائر وبدل ان يفسر المصححات

الجرائر بالجرائم والآثام فسراها بارتكاب الآثام وفرق كبير ما بينهما . ولم يفسرا المراد من فعل (تعفي) وما معنى كون قيس بن عاصم تعفي من عفو الممدوح وهل يكون تعفي بمعنى استعفى ؟ أو أن تعفي بمعنى اضمحل واندرس ؟ ولو فعلا لزادا القراء وطلاب الادب بصارة في الشعر وعوناً على تحصيل ملكته .

هذا ما رأينا ان نقوله في تقريظ (ديوان التميمي) وانا لنكرر الثناء على ناشريه . ونلفت أنظار أهل الفضل والأدب اليه .

المغربي

الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث

تأليف الأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي

في ٢٦٦ صفحة (١٧ × ٢٤) سم ، طبع بمطبعة المقتطف والمقطم في مصر ١٩٤٨

كان الشعر المعاصر الى زمن قريب يطلق على الثلاثة الكبار شوقي وحافظ ومطران فألفت فيه مختارات وظهرت فيه كتب نقدية نذكر على سبيل المثال منها ما أرسله المازني والعقاد في « الديوان » وما كتبه الدكتور طه حسين بك في « حافظ وشوقي » وما خصته به « السياسة الاسبوعية » و « البلاغ الاسبوعي » من مقالات عقدها الباحثون والأدباء . فلما كتب الدكتور طه مقالاته في « حديث الأربعاء » عن ابراهيم ناجي وعلي محمود طه ومحمود أبي الوفا تحول الناس الى شعراء الشباب آنذاك ودار حولهم نقد جديد . وعقدت لهم كتب جديدة أهمها للدكتور مندور ولاسماعيل أدهم وحبيب الزحلاوي وعمر أبي النصر والعقاد والرافعي . وقرأ الناس عن الزهاوي والرصافي والجارم ومحرم ونعيم وشكري .

ولكن الكتاب الذي بين أيدينا جديد طريف جامع يلم بهذه الكتب جميعاً ويشمل أكثر ما فيها ، فهو يتخذ سبيلاً واسعاً في فهم كلمة « معاصر » ولعله يريد بها هذه الأعوام الخمسين التي توشك أن تنقضي من القرن العشرين . وبديهي أن يدخل فيها الأموات والأحياء والشيوخ والشباب . فقد رأيناه يجمع من شعرهم ويحلله ، ويروي من مقاطعهم ويقدم لها أو يختمها بدراسة نفسية تعتمد على أحدث الآراء في هذا الفن ، ولكن تعابيرها ما تزال غريبة على الأسماع

بعيدة عن النقد العربي المعاصر . فالأستاذ السحرتي فيما نرى يعتمد على المصادر الانكليزية ويوردها باسمائها وأصحابها ويخترع لألفاظها ما يقابلها من قواعد ونظم يرسلها في نقد الشعر المعاصر .

وفي الكتاب سعة اطلاع ووفرة جمع تدلان على كثرة ما قرأ الرجل من دواوين صدرت في لبنان وفي المهجر وفي مصر ، وأما في سورية فقد نقد الاستاذ ما وصل اليه من دواوينها وما تراها الا قلة ، ذلك لأن شعراءنا المعاصرين لا يطبعون دواوينهم ، ولا يهتمون بتبويبها ونشرها في الناس ولأن علاقاتنا السورية التي تنشر لهم أبكار شعرهم لا تتخطى حدود البلاد ، فيصبح من العسير على الناقد أن يلم إلا بما تطبع مصر من شعرنا أو يقف عليه أدباؤها في مصادفة أو مناسبة .

وليس هذا مما يؤخذ على الأستاذ الناقد ففي صفحات كتابه من الجهد في الاستيعاب والسعي في الجمع ما يستحق كل ثناء . ويخرج القارىء من هذا السفر وهو ملم بأبواب النقد الحديث وأصوله وأركانه كما هو اليوم في قلب أوربة ، واقف على ما في الشرق العربي من نزعات جديدة وتجديدية عرض لها الباحث واستعرض من شعرها فأصبح الكتاب مجموعة مختارة من الشعر الحديث لمختلف الشباب في أعمار متفاوتة ، وأساليب متباعدة ، وهو على ذلك يضرب الأمثال من الشعر الأوربي ويترجم مقاطع منه ليقرنها إلى شعرنا الشاب ويوازن بينه وبينه .

واسلوب الكتاب رصين قوي في عبارة مشرقة فصيحة وحجة هادئة طبعها صاحبها بطابع العلم ومقاييسه حيناً ، والشعر وأساليبه حيناً آخر . وكم نتمنى أن يصب هذه المعرفة بالشعر الحديث ، بعد هذا الكتاب ، في كتاب يؤرخ فيه للشعر الحديث المعاصر عاماً فعاماً وشهراً فشهراً ، على عادة الغربيين . فالدواوين مؤرخة والمجلات والصحف معروفة مشهورة ، يستطيع أن يؤرخ منها هذه النزعات والمذاهب ، مما نحتاج اليه في أدبنا العربي ومما نتلفت باحثين عنه فلا نجده ولعله فاعل إن شاء الله .

والأستاذ السحرتي في كتابه اليوم يستحق شكر الأدباء على ما قدم لهم من حسن صنيع وكريم يد .

الدكتور سامي الدهان

آراء وانباء

انتخاب أعضاء مراسلين

انتخب المجمع العلمي العربي في الجلسة التي عقدها في ٣٠ تشرين الاول سنة ١٩٤٨ خمسة أعضاء مراسلين هم الأساتذة :

١ — المستشرق البريطاني الأستاذ الفرد غليوم (لندن)

٢ — المستشرق البريطاني الأستاذ ا · ج · اربري (كمبردج)

٣ — المستشرق الأندلسي الأستاذ اميليو غراسيا غومز (مدريد)

٤ — المستشرق الايطالي الأستاذ ف · جبريللي (روما)

٥ — المستشرق الألماني الأستاذ هـ · ريتر (استانبول)

وقد صدرت مراسيم تعيينهم في ٢٨ كانون الأول سنة ١٩٤٨

النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الاسلامية

قرأت كلمة صاحب الفضيلة العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار في العدد الأخير من مجلة المجمع الزاهرة عن الجزء الأول من كتابي « النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الاسلامية » فشكرت له جهوده الطيبة الموفقة واني افتخر بما تفضل به من كلمات الثناء التي لا أستحقها والتي ستكون لي بلا شك من أهم عوامل التشجيع في المستقبل ان شاء الله ·

ثم اني ارجو ايضاح ما تساءل عنه حضرة صاحب الفضيلة في ذلك المعرض ، اذ اني أوافقه تماماً على ما قاله من أن في الكتاب العزيز وفي السنة الشريفة نصوصاً تعد أصولاً كافية للنظرية العامة للموجبات والعقود وان ابن قيم الجوزية

وغيره من فقهاء المسلمين رحمهم الله قد تعرضوا باسهاب للقواعد الكلية والمبادئ العامة المشتملة على المصالح والمطالب الشرعية . ولقد استشهدت بابن القيم وبغيره في الجزء الثاني من كتابي .

غير اني أصر على القول بان الفقهاء المسلمين لم يتطرقوا من حيث الأسلوب الى نظرية عامة تشبه النظرية الرومانية اذ ان الفقه الاسلامي لم يتأثر بفقه الرومان . وان قولي هذا يتعلق بالأسلوب فقط ، أما فيما عدا الأسلوب الشكلي فان الفقهاء المسلمين توصلوا من حيث الجوهر والمبادئ الأساسية الى ما يماثل النظرية العامة الحديثة والى ما يفوقها في التعمق والتدقيق في بعض الأحيان . ولعلي قد توفقت لاثبات هذه المسألة في الجزء الثاني من كتابي (الذي طبع مع الجزء الأول) حيث نوهت فيه بأهمية النظرية العامة الاسلامية . وان ما استشهد به العلامة الشيخ البيطار عن ابن قيم الجوزية يوافق ما قلته من حيث الاساس . أما من حيث الشكل فهو لا يشبه الأسلوب الحديث وما يستتبعه من تفصيلات تتعلق بتقسيم الالتزام ومصادره وترتيب نظرية العقد ودرسها على النمط المعروف عند الرومان وعند من اقتبس عنهم . وعلى كل فان هذا الاختلاف في الترتيب لا يقلل من قيمة ما كتبه ابن القيم وغيره بشيء .

ثم اني أرجو أن أوضح ما أقصد بالمذهب الظاهري البائد اذ لا يخفى على القارئ الكريم ان هذا المذهب هو أحد المذاهب السنية التي اصطلح المؤرخون على تسميتها بالبائدة ، بسبب انقراض اتباعها اليوم وان المذهب الظاهري هو مذهب ابي سليمان داود بن علي وقد كان مذهبه متبعاً الى القرن الخامس ثم اضمحل شيئاً فشيئاً . وان اشتهار من اتبع هذا المذهب بالعلم كابن حزم لم يمنع المؤرخين من عده من المذاهب البائدة (مثلا تاريخ التشريع الاسلامي للخضري ص ١٦٦ ، وتاريخ القضاء في الاسلام لعرنوس ص ٦٣) .

واني ختاماً أكرر شكري لحضرة العلامة الشيخ البيطار على ما تفضل به من ملاحظات قيمة ، جزاه الله كل خير .

(بيروت) صبحي المحمصاني

الجزء الأول من الدارس في تاريخ المدارس

هذا الكتاب مثل تاريخ الآداب العربية في الشام مدة ثلاثة قرون وأكثر على أن لي عليه بعض ملاحظات أذكرها فيما يلي :

ص ٢٠ ح ٦ هو محمد بن يونس الموصلي المتوفى سنة ٦٠٨

« ٢٢ « ٤ هو بركات بن ابراهيم المتوفى سنة ٥٩٨

« « « ٥ هو القاسم بن علي بن هبة الله المتوفى سنة ٦٠٠

ص ٢٣ س ١٤ الصواب ابو القاسم محمد بن عبد الرحمن

« ٢٤ « ١٣ يحيى بن شرف بن مِرى وموسى تصحيف مِرى

« ٢٨ « ٢ الامين الاربلي

« ٣٤ « ٣ هو احمد بن محمد بن محمد بن نصر الله المتوفى سنة ٧٣٦ الدرر ١/٣٠٠

« ٤٧ « ١٦ ابو المكارم هو احمد بن محمد بن محمد المتوفى سنة ٥٩٦

« ٤٧ ح ١ توفي سنة ٦٩٨

« ٤٧ س ٢ المعجم المختصر

« ٥١ « ١٠ قُمَيرة تصغير قمرة

« ٦٦ « ١٥ احمد بن حامد الارتاحي

« ٦٩ « ١١ الكمال بن فارس هو ابراهيم بن احمد بن فارس المتوفى سنة ٦٧٦

« ٦٩ « ١١ زهير الزرعي هو زهير بن عمر بن زهير المتوفى سنة ٦٧٣

ص ٧ س ٣ عبد الحافظ بن بدران توفي سنة ٦٩٨

« ٧٨ « ١١ زينب بنت عمر بن كندي توفيت سنة ٦٩٩

« ٧٨ « ٣ : ابن الطلاية بالمثناة كثر ذكره في الدرر وفي نسخة جيدة من ذيل ابن الدبيثي ..

« ٨٧ س ١٢ شمس الدين ابو محمد بن سلار [السلار أيضاً] هو عبد الوهاب ابن يوسف بن كريم توفي سنة ٧٨٢

ص ٨٧ س ١٣ ها هنا اضطراب فان الاسدي ذكر شخصاً توفي بالطاعون الخميس ١٩ صفر سنة ٨٢٦ قرأ صحيح البخاري على جمال الدين الشرائحي (وله ترجمة في الذيول ٣٦١ والضوء ٧/٢ وهو عبد الله بن ابراهيم بن خليل سنة ٨١٩) وكان صاحباً للشيخ بن قديدار الضوء (٦/٣٢٧) ولم أتثبت من معرفته أهو شمس الدين محمد بن عبد الله بن عمر .. المقدمي المعروف بابن المكي والذي كان رئيس المؤذنين بالجامع الأموي المتوفى في جمادى الأولى من السنة ، أم ابن محي المتوفى في صفر من سنة ٨٢٦ فقد كان صديقاً لابن قديدار أيضاً .

ص ٨٩ س ٧ ابو نصر محمد بن عبد الوهاب توفي سنة ٥٣٠ له ترجمة في المنتظم لابن الجوزي

ص ٨٩ ح ٦ هو يوسف بن رافع بن تميم صاحب سيرة صلاح الدين توفي سنة ٦٣٢

ص ٦٧ س ٢ ابو بكر بن مكارم هو ابو بكر علي بن مكارم بن فتيان المتوفى سنة ٦٦٠

« ٦٧ ح ٤ ابن عبدالدائم هذا هوابو العباس احمد بن عبد الدائم المتوفى سنة ٦٦٨

« ٩١ س ٣ ابو محمد العثماني هو عبد الله بن عبد الرحمن بن يحيى المتوفى سنة ٥٧٦ ذكره السيوطي في حسن المحاضرة الطبعة الأولى ج ١/١٧٢

ص ٩١ ح ٤ ابن شادي (والأفضل شاذي بالذال المعجمة اذ أن هذا اسم فارسي وكانوا يلفظون في ذلك الزمان الذال بعد الالف في الاسماء)

ص ٩٤ س ٩ ابو الفتح بن سيد الناس هو محمد بن محمد بن محمد المتوفى سنة ٧٣٤

« ١٠٥ « ٣ ابو المظفر سعيد بن سهل الفلكي الوزير توفي سنة ٥٦٠ انظر أيضاً ص ١٠٤ س ٣

ص ١٠٤ س ٣ لعله عبد الرحمن بن سالم التنوخي المتوفى سنة ٥٥٧

« ١٠٥ « ٦ الزكي المنذري مشهور بعبد العظيم وعبد القوي توفي سنة ٦٥٦

ص ١٠٥ س ٣ ابو المكارم عبد الواحد بن محمد بن المسلم توفي سنة ٥٦٠ (شذرات)
« ١٠٧ « ١ ابن شُذَيف (مصغراً)
« ١٠٨ « ١٨ القطب اليونيني المؤرخ
« ١١٠ « ٣ ابو الفضل عبد السلام الداهري توفي سنة ٦٣٨
« ١١٠ « ١٥ ابن ابي لقمة هو محمد بن السيد بن فارس توفي سنة ٦٢٣
« ١١١ « ٣ الدخيسي هو احمد بن الفضل بن ابي المجد ولد سنة ٦١٢

(معجم البلدان لياقوت)

ص ١١٧ س ٢ اسمه في النجوم بيدرا وعند القطب اليونيني بيدرة (كلاهما صحيح)
ص ٣٢٣ س ١٥ بضحان والصحيح بصخان بالصاد المهملة والخاء المعجمة
ص ٦٤٩ س ١١ الياروقي بالياء المثناة توفي سنة ٦٦٣
« ١٢١ ح ٤ ابن رُوزَبه بالهاء غير منقوطة اسم فارسي هو ابو الحسن علي ابن ابي بكر بن روزبه توفي سنة ٦٣٣ (عيان والشذرات)
ص ١٢١ س ٦ القطيعي ابو الحسن محمد بن احمد بن عمر توفي سنة ٦٣٤ لسان الميزان ٥/٤٦ : شذرات
ص ١٢٠ س ٣ شمس الدين بن ابي الفتح ابو عبد الله البعلبكي توفي سنة ٧٠٩
« ١٢٣ ح ٣ لا يلبس محرّماً صحيح أي لم يلبس الا ما هو مباح من قماش القطن ولم يلبس الحرير وما يشبهه
« ١٣١ س ١٥ السراج الارموي هو محمود بن ابي بكر بن احمد توفي سنة ٦٨٢
« ١٣١ ح ٣ ابن المرحل لعله محمد بن مالك بن عبد الرحمن المتوفى سنة ٧١٠ وهو الأشهر
ص ١٣٣ س ٢٠ ابن المجد
« ١٥٤ « ١١ عمر بن عبد العزيز
« ١٦٢ « ١٠ الروذراوري ... كذا ص ١٦٧ س ٥

ص ١٣٩ س ١٣ التقي سليمان بن حمزة القدسي توفي سنة ٧١٥

« ١٤٠ « ١٤ صلاح الدين العلائي هو خليل بن كيكلدي المتوفى سنة ٧٦١

« ١٦٧ « ١ ابن ابي الخير هو ابو العباس المتوفى سنة ٦٧٨

« ١٦٧ « ٥ مجد الدين بن الروذراوري عبد المجيد بن ابي الفرج بن محمد ابو محمد توفي سنة ٦٦٧ (اليونيني)

ص ١٦٧ س ١٢ ابوسعد بن أبي‌عصرون هوعبد الله‌بن محمدبن‌هبة‌الله توفي‌سنة٥٨٣

« ١٦٧ « ١٤ ابو حامد بن الصابوني هو محمد بن علي بن محمود توفي سنة ٦٧٠

« ١٦٧ هامش ٨٨٦ صوابه ٧٨٦

« ١٦٨ « ٤ الجرائدي هو عماد الدين محمدبن‌يعقوب بن بدران توفي سنة ٧٢٠

« ١٧٨ « ٤ لعل الصواب أبي موسى محمد بن عبد الله اللامشي

« ١٧٩ « ١٤ بدر الدين ابوالمحاسن يوسف بن‌الحسن‌السنجاري‌توفي سنة ٦٦٣

« ١٨٠ « ٤ قطب الدين بن ابي عصرون هو احمد بن عبد السلام بن المطهر توفي سنة ٦٧٥ (شذرات ٥/٣٤٥)

ص ١٨٠ س ١٧ بركات بن ابراهيم الخشوعي توفي سنة ٥٩٨ (شذرات)

« ١٨٢ « ١٦ شرف الدين علي بن محمد بن علي بن المسلم أرخ ابن الدبيثي (نسخة كامبرج) وفاته سنة ٦٠١ وسماه ابن الشهرزوري

ص ١٨٣ س ٦ ابو الوحش سبيع بن المسلم بن علي توفي سنه ٥٠٨

« ١٨٣ « ٣ ابو الحسن‌علي‌بن‌الحسن بن الحسين السلمي الموازيني توفي سنة ٥١٤

« ١٨٤ « ١١ ضياء الدين ابن عقيل عند السبكي ٥/١٢٥ علي‌بن‌عقيل بن علي بن هبة الله ... أبو الحسن الحبوبي الثعلبي وهو الصواب . وربما كان ابو يعلى ابن الحبوبي الذي ورد ذكره ص ١٨٢ سطر ٦ جده ولحفيده محمد بن محمد بن على ترجمة في الدرر الكامنة

ص ١٨٤ س ١٣ ابو المكارم عبد الواحد بن هلال الازدي توفي سنة ٥٦٥

ص ١٨٤ س ١٤ الشهاب القوصي اسمعيل بن حامد توفي سنة ٦٥٢

« ١٩٠ ح ١٠ اللورقي نسبة الى لورقة مدينة في الاندلس

« ١٩٠ « ٤ بهاء الدين بن حناء هو الوزير علي بن محمد بن سليم بن حناء توفي سنة ٦٧٧

ص ١٩٢ س ٤ المؤيد بن محمد بن علي بن الحسن رضي الدين الطوسي توفي سنة ٦١٧

« ١٩٣ « ٢٣ الرشيد العطار هو ابو الحسين يحيى بن علي بن عبد الله توفي سنة ٦٦٢

« ١٩٥ « ١٤ جلال الدين القزويني هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر توفي سنة ٧٣٩

« ١٩٦ « ١٦ جمال الدين الزرعي هو سليمان بن عمر بن سالم توفي سنة ٧٣٤

« ١٩٩ « ١٨ نجم الدين القحفازي هو ابو الحسن بن داود توفي سنة ٧٤٥

« ٢٠٣ « ١٣ جمال الائمة في غاية النهاية لابن الجزري ـ علي بن الحسن بن الحسن ابن الماسح وهو الصواب

ص ٢٠٧ س ٦ عبد العزيز بن منينا هو عبد العزيز بن معالي بن غنيمة المتوفى سنة ٦١٢

« ٢٠٧ « ١٤ كمال الدين ابو الفضائل سلار بن الحسن بن عمر بن سعيد الاربلي توفي سنة ٦٧٠ (لعله تصحيف ٦٩٠) السبكي وابن كثير

ص ٢٢١ س ٧ محي الدين محمد بن الزكي ـ محمد بن محمد بن يحيى توفي سنة ٥٩٨

« ٢٢٨ « ٧ لعله نجم الدين عبد الرحيم بن ابراهيم البارزي المتوفى سنة ٦٨٣

« « ٨ الروذراوري

« « ١٢ عز الدين الفاروثي ابو العباس احمد بن ابراهيم بن عمر المتوفى سنة ٦٩٤

« ٢٣٩ « ٧ نور الدين ابن الصائغ محمد بن محمد بن محمد توفي سنة ٧٤٩

« « ١٨ شمس الدين ابن النقيب محمد بن ابي بكر بن ابراهيم توفي سنة ٧٤٥

« « ٢٥ الزنكلوني مجد الدين ابو بكر بن اسماعيل بن عبد العزيز توفي سنة ٧٤٠ (ورد في الدرر الكامنة السنكلوني)

ص ٢٤٠ س ٢٤ شمس الدين الاصفهاني محمود بن عبد الرحمن بن احمد توفي سنة ٧٤٩

ص ٢٤١ س ٢ شمس الدين الغزي ـ محمد بن خلف بن كامل توفي سنة ٧٧٠

« ٢٤٥ « ٦ جمال الدين ابن جملة يوسف بن ابراهيم توفي سنة ٧٣٨ (مر ص ١١٩)

« ٢٤٧ « ١٨ رضي الدين المنطقي ابراهيم بن سليمان توفي سنة ٧٣٢

« ٢٥٣ « ١١ علاء الدين ابن نحلة ـ علي بن يحيى بن عثمان توفي سنة ٧٢٣

« « ١٩ قطب الدين السنباطي ـ محمد بن عبد الصمد توفي سنة ٧٠٣

« ٣٠٤ « ٢ رُوزَبه فارسية معناها اليوم السعيد

« ٣٠٥ « ١١ الصواب اسندمر بالنون كذا سطر ١٣ كذا ورد في الدرر الكامنة عن نسختين جيدتين كانتا عندي حين حققت الكتاب وقد ورد بعد تراجم من اسمه اسماعيل كذا أيضاً في ترتيب الضوء اللامع وهو اسم تركي قديم معناه الحديد الصالح

ص ٣٢٤ س ٢ في الدرر الكامنه ٤/٤٧٥ ابو الفضل يوسف بن محمد بن منصور بغير لقب المتوفى سنة ٧١٠ ولكن كان في النسخ الخطية الكُفَيري (مصغرا) ثم طبع الكفري . وذكر الذهبي (الطبعة الأولى) في تذكرة الحفاظ ٤/٢٥٢ سطر ٦ في شيوخ أبي شامة شهاب الدين الكفري ولعله هو . ثم رأيت أنه ذكر في سطر ١٣ وهو مشهور له ترجمة في العميان والدرر والجواهر المضيئة وعند ابن الجزري .

ص ٣٢٥ س ٣ شمس الدين ابن اللبان مات قبل شهاب الدين ابن النقيب ولعل الذي عني هو محمد بن احمد بن علي المتوفي سنة ٧٧٦ وله ترجمة في الدرر

ص ٣٣١ س ٧ زنكي بن آق سنقر

« ٣٤٩ « ١ دار ايوب

« ٣٥٨ ح ٣ جمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي المتوفى سنة ٧٧١ له ترجمة في الدرر

« ٣٦٣ هامش ٦٠٢ — ٦٧٢

« ٣٧٧ س ٣ اسندمر بالنون

ص ٤٠٠ س ١ المزرقي بالفاء
〃 ٤٠٠ 〃 ٥ الحصين بالصاد
〃 ٤٠٠ 〃 ٦ ابو الحسن بن دبين ـ هو علي بن دبيس (بالسين) الموصلي ذكره السيوطي في البغية ص ٣٢٧
ص ٤٠١ س ١٠ ابو نصر بن الشيرازي محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله المتوفى سنة ٦٣٥
ص ٤٠١ س ١١ ابو بكر عبد الله بن الحسن بن الحسين عماد الدين بن النحاس توفي سنة ٦٥٤
ص ٤٠٧ س ١٦ ابو القاسم النسيب هو علي بن ابراهيم بن العباس الدمشقي توفي سنة ٥٠٨
〃 ٤٠٧ 〃 ١٧ ابو الحسن بن قيس أنا أشك في اسم جده قيس اذ ورد ثلاث مرات في مرآة الزمان ابو قبيس بباء موحدة قبل الياء
ص ٤٢١ س ٧ أنا أشك في ابن ماسويه وقد ورد ذكره في الدرر الكامنة ٤ مرات مرتين بابن باسويه مثل ترجمة ٣٨١ (في المجلد الرابع) ومرتين بابن ماسويه بالميم
ص ٤٣١ س ١٣ ابن أبي الاصبغ بالغين المعجمة
〃 ٤٥٧ 〃 ٦ حسام الدين القرمي بالراء
〃 ٤٧٥ 〃 ٩ جمال الدين الحصيري محمود بن احمد بن عبد السيد البخاري توفي سنة ٦٣٦
ص ٤٨١ س ٨ برهان الدين البلخي هو ابو الحسن علي بن محمد له ترجمة في مرآة الزمان
ص ٤٨٤ س ٣ و ٥ ابن الطبر بالباء الموحدة
〃 〃 ١٣ الكديمي بالدال ـ هو محمد بن يونس بن موسى المتوفى سنة ٢٨٦
〃 ٤٨٥ 〃 ٥ عبد الله نجيب الدين
〃 ٤٨٧ 〃 ٧ محمد بن الحسين بن احمد بن الثعالي توفي سنة ٧٨٠

ص ٥٠٤ ح ١ البُرْسقي أرخ ابن الجوزي قتله في سنة ٥١٩ وكذا تبعه سبطه في مرآة الزمان

ص ٥٠٧ س ١٣ فاستعاد أبراجًا (اي فتحها)

« ٥٢٢ « ٦ محمد بن وثاب... النخيلي كذا في ذيل مرآة الزمان لقطب الدين رواية البرزالي عن نسخة في غاية الصحة

ص ٥٢٥ « ٢ ابن روزبه بالهاء غير منقوطة والباء الموحدة من تحت

« ٥٣٧ « ١٦ ابو الحسن علي بن الحسن البلخي توفي سنة ٥٤٩

« ٥٣٩ « ٧ نور الهدى الزيني : ابو طالب الحسين بن نظام بن الخضر توفي سنة ٥١٠ (جواهر)

ص ٥٥٩ س ١ تاج الدين النخيلي : محمد بن وثاب بن رافع توفي سنة ٦٦٧

« ٥٧١ « ٤ رُوزَبِه بالهاء غير منقوطة اسم فارسي

« ٥٧١ ح ٥ عبد العزيز بن دُلَف باللام

« ٥٨١ س ١٣ الصواب مجير الدين كما في ابن كثير وعند قطب الدين اليونيني

(كمبردج) سالم الكرنكوي

استدراك

جاء عن الذرة الصفراء والذرة الشامية في الصفحة ٢٤٩ الملاحظة الآتية : «الأولى من كلمة إيطالية ، والثانية تمت الى لغة الأزتيك في المكسيك» . والصحيح ان هذه الملاحظة ترجع الى الكلمتين السابقتين ، أي الى البنادورى والطماطم فلينتبه الى ذلك .

مصطفى الشهابي

فهرس الجزء الثاني من المجلد الرابع والعشرين

الصفحة		
١٦١	الألفاظ السريانية في المعاجم العربية (٥)	للبطريرك مار اغناطيوس افرام الأول
١٨٢	كنوز الأجداد (١١)	للأستاذ محمد كرد علي
١٩٧	موقفنا من الفلسفة	للدكتور جميل صليبا
٢٠٧	تحقيقات معجمية (٣)	للأب مرمرجي الدومنكي
٢٢٢	المدرسون تحت قبة النسر (٢)	للأستاذ محمد بهجة البيطار
٢٣٤	جزء من رواية أبي عمر الزاهد غلام ثعلب	للأستاذ ا . ج . اربري
٢٤٤	ملاحظات لغوية على ألفاظ زراعية	للأمير مصطفى الشهابي
٢٥٠	كنز من كنوز الجاحظ (٥)	للأستاذ عبد القادر المغربي
٢٦٧	نفائس المخطوطات العربية في المشهد الرضوي (٢)	للدكتور اسعد طلس
٢٧٩	مجموع خطي	للأستاذ كوركيس عواد

التعريف والنقد

٢٨٨	خزائن الكتب القديمة في العراق	للأستاذ عارف الكدي
٢٩٠	المآصر في بلاد الروم والاسلام	» » »
٢٩٣	أقسام ضائعة من كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء	» » »
٢٩٥	معنى الكية	» » »
٢٩٥	محاضرات نقابة المحامين في حلب	» » »
٢٩٧	الاجتهاد في الشريعة الاسلامية	» » »
٢٩٨	المدخل الى الحقوق الرومانية	» » »
٢٩٩	رحلتا مراكشيين عظيمين	» عبد القادر المغربي
٣٠٦	ديوان التميمي	» » » »
٣٠٨	الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث	للدكتور سامي الدهان

آراء وأنباء

٣٠٩	انتخاب اعضاء مراسلين	
٣١٠	النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الاسلامية	للدكتور صبحي المحمصاني
٣١٢	الدارس في تاريخ المدارس	للأستاذ سالم الكرنكوي
٣١٩	استدراك	للأمير مصطفى الشهابي

Bibliotheca Alexandrina
0652743